

Princeton University Library



32101 073584227

K

60

فلاذول العرب الطير

محوث ومقالات

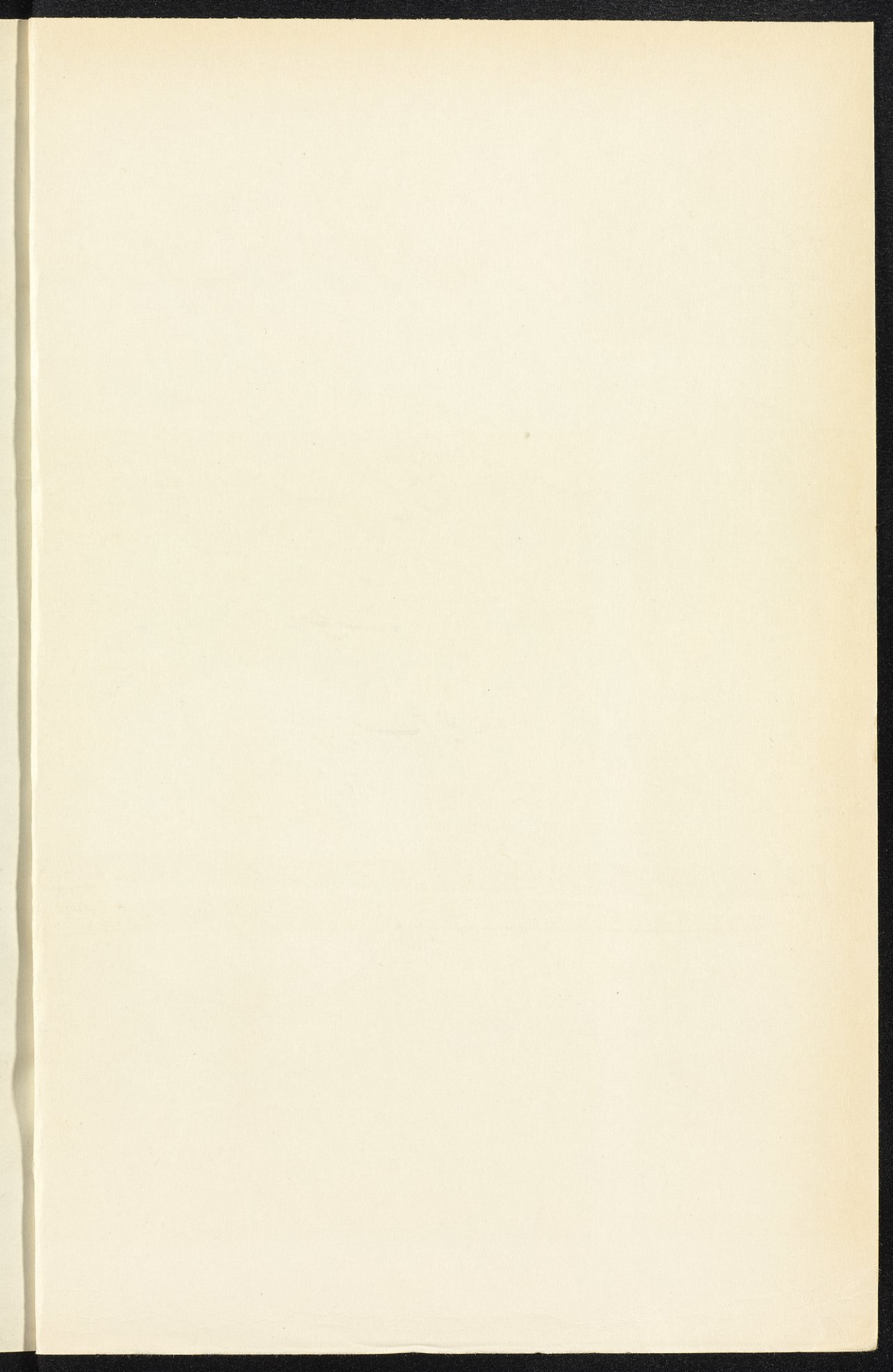
يوسف عزالدين

مطبعة البصري

١٣٨٧ هـ

١٩٦٧ م

سَاعَدَتْ جَامِعَةُ بَغْدَادِ عَلَيَّ نَشْرِهِ



ʿIzz al-Dīn, Yūsuf

Fi al-adab al-ʿArabī

فِي الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ الْحَدِيثِ

بِحُوثٍ وَمَقَالَاتٍ

يُوسُفَ عَزَّالِدِينَ

ساعدت جامعة بغداد على نشره

مطبعة دار البصري - بغداد

١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م

2258

4927

. 4

الى استاذى وأهلى الدكتور محمد طه الحامرى
ذكرى صحبة طيبة تلميزاً فى جامعة الاسكندرية ، وزميل فى جامعة بغداد
وما أغناها من تلمزة وأهلها من صحبة . رقت لهم الصبا ،
ومرت بانسام العبير .

1985

الأدب في جميع الأمم، أهم أسس نهضتها وأقوى دعامة فكرية تسند مسيرتها نحو الحضارة والرفق، وبوساطته يمكن التمهيد لحياة اجتماعية وسياسية واقتصادية تخدم الشعب وتطور حياته (١) .

وعلى الأديب العربي اليوم واجبات صعبة فينبغي أن يقود أمته . ويسير بشعبه نحو مجالات رحبة ، وآفاق واسعة ، ومثل سامية ، ويدلها بقلمه على الدرب اللائح نحو أمانيتها العادلة .

وكلما اشتدت صلة الأديب بمشكلات الشعب ، وشاركه شعوره وأحس بالآلامه وأحاسيسه ، كان أقدر على تلمس العلل وحل مشكلاته وكان حاذقاً في التوجيه ، واصلاً الهدف بأسرع السبل وانجحها ، لأن الأديب يمكن أن يواجه الشعب بانتاجه نحو تطور سريع ، وتبدل فكري شامل ، ونحن اليوم بأمس الحاجة اليهما .

وليست مهمة الأديب العربي اليوم قاصرة على نواح محدودة ، وأسايب

(١) سبق أن كتبت مقالا في جريدة لواء الاستقلال سنة ١٩٥٤ في ٢١ تموز عن (رسالة الشاعر العربي اليوم) وما تزال أحرف هذه المقالة حية في طيات هذه المقدمة .

12-6-61
1985

متميزة ، وأنماط خاصة، في البيان والبلاغة ، وإجادة الاسلوب، وجزالة الالفاظ ، واستخراج المعاني ، لرسم صورة من الصور يُرضي بها قسماً خاصاً من الأدباء أو أرباب السلطان إنما أهم واجباته العمل على تحقيق هذه الصورة التي رسمها لكي يحقق للشعب أمانيه ويساير ركب التطور الحضاري الحديث ويسير على سنن التمدن إذ ان مهمة المعاني المستحدثة ، والخيال المرنح ، وجزالة الأسلوب ، وعمق المعنى ، يجب أن تستخدم لتصوير الحياة الواقعية ولتشعر الشعب بالحركة واليقظة، وتعكس صدق ما في الحياة من احداث فيندفع الشعب نحو أهدافه ليحققها وليساير ركب الانسانية في الخير .

والعراق ما زال بلداً شاعراً يهزه القريض ، وترنح أعطاه الموسيقى العذبة ، والمعاني السامية ، والخيال العالي ، ولكن لو درسنا شعرنا لوجدنا تجربة كثير من الشعراء لم ترتفع بالشعب الى المستوى الذي يجب أن يسير فيه مع التيار الفكري العالمي لأنه لم يقدر على أن يجاري الأحداث العربية ، وبهضم التجربة العربية في توثيقها واندفاعها نحو ما تريد لأن المشاركة الحقة تنتج لنا أدباً طافحاً بصدق الصور ، ودقة التعبير ، والملائمة العميقة للاحداث التي تمر بالسكان العربي فما سبب هذا ؟ !

هل كان أدباء الجيل الماضي أقدر منا على التعبير ؟ أم أن الأحداث هزتهم أكثر مما هزت هذا الجيل ؟ فكانت تجربة جيل الرصافي والزاوي والازري وجواد الشبيبي أصدق تجربة من هذا الجيل ؟ !

والنقاد المحدثون يقيمون لنجاح التجربة الفردية أهمية كبيرة فعلى عمقها يكون نجاح الأديب في إنتاجه ، وعلى مقدار انعكاس الواقع النفسي الشعبي

والتجاوب مع حاجاته . يظهر تفوقه . وتقدر مكانته .

وشعبنا خاض معارك ضارية في مختلف حياته بعد أن خرج من الحرب العظمى الأولى والثانية وابتلي بنكبات متوالية ، سياسية وقومية وفكرية واجتماعية وخلقية ، ومع أنه ما زال ينجب للوصول نحو أفضل السبل للنجاح فإن عوامل التمزق والتشقق ما تزال تعمل عملها في صفوفه فعلى الأديب أن يعالج مشكلات شعبه بسمو ودقة وصدق وعمق وتجرد . . . ويضع نصب عينيه ، تفضيله الصالح العام على مشاعره الخاصة .

وأنا من الذين يتذوقون الشعر ويحبونه ، ويأسرني بجمال معانيه ، وحلاوة صياغته ، وانتشي بالشعر الجيد ، واقدر المهارة الفنية ، والاسلوب الرائع ، ولكن حياتنا الراهنة تفرض مثلاً يجب أن يسير بهديهما الشاعر والأديب ، فيجب أن يكون له هدف واضح ، ورسالة يشعر بأنه مسؤول عن ادائها . فانا أمقت عيب الكلمات البراقة ، وأبغض خدم الأساليب المتحجرة ، ولكنني أكره الاسفاف ، واسخر من هلهلة النسج ، ورفض الالفاظ دون موسيقى ..

ولا أريد أن احكم بعقلية الجرجاني وابن الاثير والجاحظ ، ولا أريد أن أساير ابن سلام وابن قتيبة في نظرتها للشعر والشعراء . . . ولكنني اخرج الشعر من الحوزة العربية إذا كانت تراكميه واخيلته مستوردة من دراسات أجنبية لا تمت للعرب وواقعهم بشيء .

ونحن العرب قد مررنا بمراحل من الحضارة والتطور الفكري منذ النصف الأخير للقرن التاسع عشر ، ويجب الانتعاجل واقنعنا ومقوماته كما لا أريد ان نترك الجيد من الآداب الاجنبية ، والافكار غير العربية ففي تاريخنا العربي الطويل وتراثنا الاسلامي

الزاهر ، مقومات يمكن لها أن تتلائم ومقتضيات الحياة الحاضرة ، ويمكن أن نأخذ منها ما يفيد هذا الأدب العربي المعاصر والفكر العربي الحديث . فعلا م تجاهل هذه التراث وفيه حضارة عميقة قامت على انصهار مع تراث امم كثيرة وتجارب شعوب مختلفة ؟ فيجب أن نقتبس بوعي عميق وإدراك واسع من معين الآداب الاجنبية ونروسي ادبنا المعاصر . لأن أهم اسس الثقة بالنفس التي تدفع الامم نحو الرقي أن تبدأ من تراثها وتأخذ ما يلائم حياتها ويبلور فكرها الحديث مع الحضارة المعاصرة دون أن تضيع الشخصية الوطنية والكيان القومي في هذا الجديد وقد كانت الثقافة في الجيل الماضي وقفاً على طبقة معينة وكان أكثر من تسعين بالمئة في جهالة ثم انتشرت بعد خمسين سنة الكليات والجامعات وكانت وسائل التعليم محدودة والحياة العامة بدائية ساذجة فانتشرت الحضارة ووسائلها المتنوعة واصبح الاختلاف واضحاً جلياً بين الجيلين .

والثقافة صدى لمثل الشعب العامة وقد تعلمنا من الاحتلال والاستعمار ثقافتنا وآدابنا فيجب أن تكون ثقافتنا الجديدة وفقاً لمثلنا الجديدة فقد تحول المجتمع العربي وبدأت طلائع النهضة والاحساس بالذات تتضح . فليس هناك استعمار يقف امام رغبتنا في الثقافة ، وبرزت ثقافة الطبقة المتوسطة وبرز للعامل والفلاحين شأن وتغيرت السياسة الاقتصادية في البلدان العربية .. عما كانت عليه منذ نصف قرن . فالأفضل لنا الاعتماد على ثقافة عربية مسلمة جديدة .. مستفيدة من ثقافة الانسانية وحضارتها المعاصرة دون تميز الابدما يفيدنا ويطور حياتنا .

والفكر العربي من بمراحل تاريخية طويلة وشابته رواسب القرون الطويلة فما الذي يضيره لو تطور مع الجديد ولاءم نفسه مع الحاجات العربية الجديدة ؟

أليس من حق الشعراء أن يكون لديهم فكر عربي جديد فيه من المعايير القديمة القوي الممتاز ليصمد امام تيار الاستعمار الفكري ويمكنه من بلورة جديدة للأعماط الحديثة للفكر العربي والثقافة الاسلامية ويدعم هذا ما حققه العرب والاسلام من خطوات واسعة في مجالات العلوم والفنون والآداب في خلال القرون الماضية .

ان الادب العربي بحاجة الى تغير جذري في المضمون الفكري وان يتخذ سبلاً غير التي اتخذته في خلال السنوات الماضية وان تكون فيه لاكانب شجاعة القائد وعزم الرائد وان يكون الاديب مفكراً ثورياً خلاقاً لا يتزعر أمام الاحداث ولا ينحني امام الملأ ويجب أن يكون بطلاً يخطط تاريخاً فكرياً جديداً في اطار المقومات العربية والاسلامية فقد سادت الحيرة النفسية والبلبلة الفكرية والتقلب الادبي بين كثير من ادباء العرب .

وتتلخص مقومات الادب الجديد بمناهضة الاستعمار ومساندة العمل الاشتراكي ورسم صور جماهير الشعب العربي ليسير نحو الوحدة العربية في إطار ثقافي جديد وإلا فسوف تجرفنا احدى قوى الحضارة الراهنة والعقائد الجديدة وتضيع الشخصية القومية، والسكيان الوطني ويغدو العربي مسخاً غريباً، لأن السكيان الجديد لن تتوحد اسسه الا إذا انعكست المثل الفكرية في السياسة والاقتصاد في الفكر العربي واستخدمت في سبيل خدمة الشعوب العربية ، وتقويتها وبعث الثقة في مقدراتها لاستئناف النضال والدفاع عن كرامتنا مادام العرب يريدون الاستقلال والوحدة والحياة الفضلى والحرية .. ويجب أن تكون لنا خصائصنا القومية ومميزتنا الوطنية حتى ترتبط الوطنية والقومية بالاشتراكية وبالحرية وبالوحدة العربية اذ

أن الاعتماد على التسلط الاستعماري الفكري لن يستطيع خلق ثقافة وطنية حرة صامدة. ولن تقدر الشعوب على تغذية ثورة النضال بسلاح مستورد ما لم تكن هناك طاقات لاستعمال هذا السلاح وقابليات للاستفادة منه .

ولسنا بقادرين على الاستفادة من مصادر الثقافة الأجنبية وحدها دون أن نختار من الثقافة العربية الاسلامية الاصيلة ما يفيد الحاضر بتفحص وامعان، وبنقد عميق واسع ، ودراسة موضوعية . لأنني لا اريد الاندفاع بدون روية وإنما اريد الملاءمة بين الخصائص القومية الذاتية مع الفكر الحضاري العالمي .

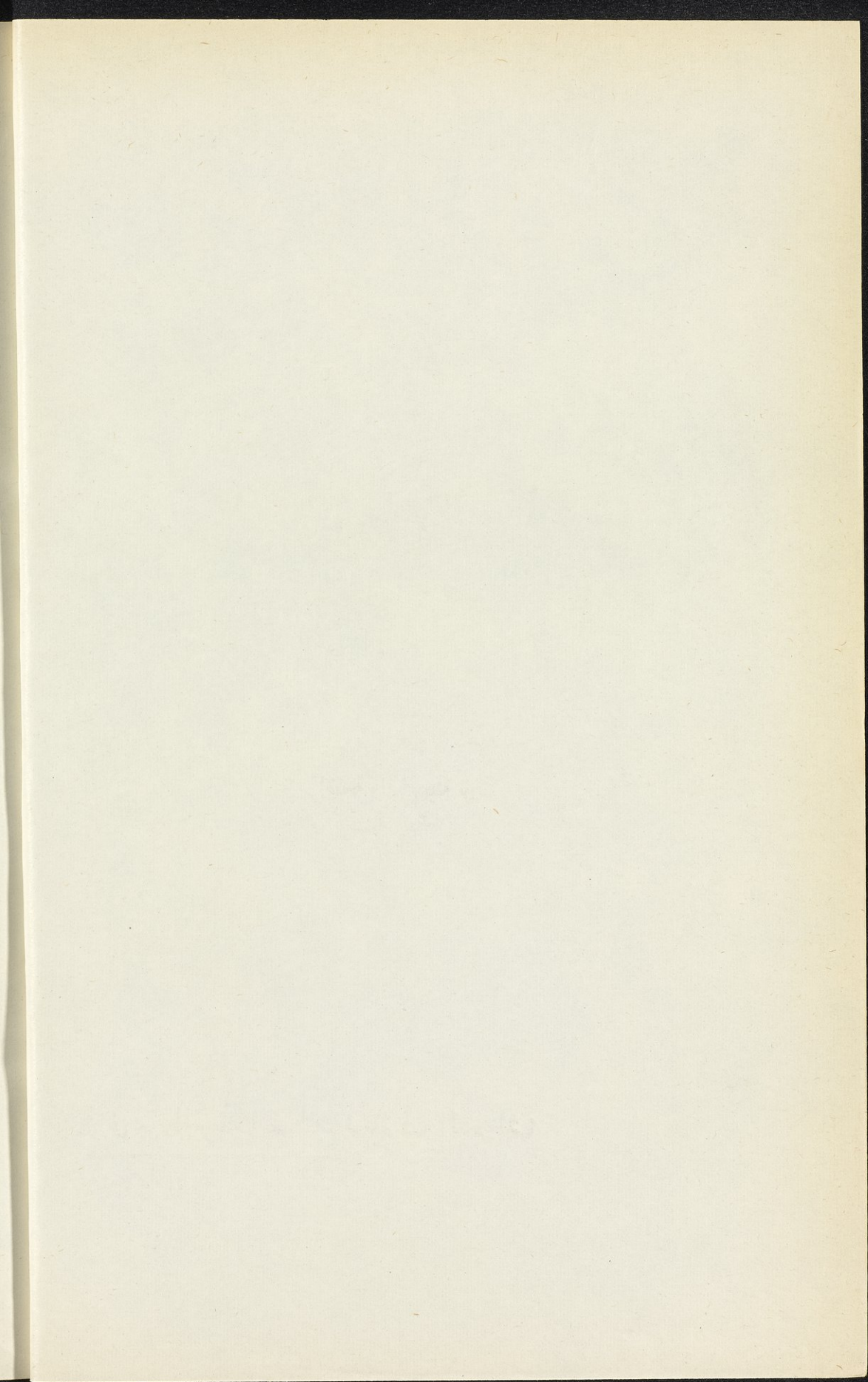
وتتجلى هذه المشكلة في الحيرة التي ما تزال تحيم على فكر الكثير من الذين اتموا دراساتهم في خارج العراق، وخاصة اولئك الذين لم يهضموا ثقافة امتهم قبل السفر فتراهم قلدوا الغرب دون فكر واضاعوا شخصياتهم ، وهذا المثل يصدق حتى على من تخصصوا بالهندسة والطب والاقتصاد كما يصدق على من تخصصوا بالآداب والفنون فهم اعجز من غيرهم عن الملاءمة بين العلوم التي درست في خارج بلدهم وبين حاجات الشعب فتراهم يطبقون ما درسوه دون تمحيص ودون دراسة المحيط الوطني الذي يعيشون فيه دراسة علمية وباندفاع اعمى في تطبيق العلم الجديد البعيد عن حاجات الشعب ورغبات الامة في حياتها الجديدة . وما ظهر على الوطن من قيم جديدة . كنت اريد أن اضع مقدمة لهذا الكتاب غير ان أحداث الساعة هي التي اخذتني اخذاً عن المقدمة فأثرت ان يقرأ القاريء الكتاب نفسه ما دمت قد رسمت صورة للادب الذي أتمنى أن يسود بلادنا العربية في مرحلتها الراهنة والله الموفق .

يوسف عز الدين

بغداد - كلية الآداب

تموز ١٩٦٧

التيارات الأدبية في العراق



للتيارات الأدبية في العراق جذور عريقة يذهب بعضها الى القرن التاسع عشر وبعضها الى قرون بعيدة تمتد الى التراث الأسلامي والعربي في الصدر الأول (١).

ويمتاز التيار الأدبي في العراق في القرن التاسع عشر عن سواه بوحدة الثقافة العامة والمعرفة الأدبية ، فجميع الادباء هم من طلاب المساجد والمعاهد الدينية وقد تأثروا بتيارات تكاد تكون واحدة ، وان كان هناك اختلاف في الانتاج فأساسه عمق الثقافة والذكاء ، وتمثل التجربة الفردية والانفعالات النفسية .

أما ادباء مصر في الجيل الماضي فقد تفاوتت ثقافتهم تفاوتاً بيناً فمنهم من درس في باريس وتأثر بالعلوم الاوربية والآداب الفرنسية ، ومنهم من درس في استانبول أو في الازهر ، وتأثر بالمحيط الذي عاش فيه ، وفيهم ابن القرية الصغيرة وابن القاهرة ، لذلك كانت الفروق واضحة والعالم بينة بين كل فئة واخرى ، كوضوحها بين شعر البارودي وعبدالله فكري مثلاً .

أما العراق فثقافة عبد الغفار الأخرس وعبد الباقي العمري وحيدر الحلي ومحمد سعيد الجبوبي لا تختلف عن ثقافة أي شاعر أو كاتب مثل محمود شكري الآلوسي وحسين العشاري . وما اختلاف الانتاج قوة وجزالة إلا من باب الفروق الفردية كما يقول علماء النفس .

ويبدو التيار الأدبي واضحاً في جذوره فقد كانت تده أربعة روافد تتحد كلها في مجرى واحد ويصقلها متبلورة ، التفكير الأدبي العام .

(١) محاضرة عامة القيت في رابطة الأدب الحديث بالقاهرة .

وأبرز رافد أثر في التيار الأدبي في القرن التاسع عشر هو الدين ، يظهر
 طوراً في رثاء الحسين والدعوة الى محاربة الظلم والطغيان ، وتارة بالدعوة الى
 الاصلاح ، وكان (شعر الحسين) زاخراً بالثورة على الاستبداد ، ومن شعراء
 هذا الميدان جعفر الحلي وحيدر الحلي ومحسن الخضري وابن كونة وغيرهم .
 فجاء رثاء الامام الحسين قوي الأداء ، صادق الاحاسيس ، وفي سمو قدر الحسين
 ومنزلته العظمى خير نموذج يحتذى في سبيل الحق والعقيدة والعدل ، فقد
 قال حيدر الحلي :

عثر الدهر ويرجو أن يقلا تربت كفك من راج محالا
 أي عذر لك في عاصفة نسفت من لك قد كانوا جبالا
 فراجع وتنصل ندماً أو تخادع واطلب المسكر احتيالا
 ولتقف عند هذا البيت ونمعن النظر بما فيه من معان لطيفة وصياغة سامية :
 فرغ الكف فلا أدري لمن في جفير الغدر تستبقي النبلا
 ولتقف عند بيتين آخرين من شعره في وصف الحسين وشجاعته وصبره
 ونضاله في سبيل عقيدته وإيمانه بحقه :

تعثر حتى مات في الهام حدّه وقائمه في كفه ما تعثرا
 كأن أخاه السيف اعطي صبره فلم يبرح الهيجاء حتى تنكسرا
 ويظهر الشعر الديني في مدح الرسول الكريم ، وركن اليه الشاعر ترويحاً
 عن نفس مكروبة آلمها الذل ، وأرهقها القلق والحيرة ، وأوجعها الفقر والامراض
 فيصرخ البزاز قائلاً :

يا غيث الخلق والغيث الذي لم يزل نائله يجري ارتكالم
كن مجبري من أذى الدهر فقد جردت أيديه للبغي حساما

وقد عاش الشعر الديني على المدائح النبوية في شعر كعب بن زهير والبوصيري وابن الفارض . ومن هؤلاء الشعراء حسين العشاري ومحمد شيت الجومرد ونهمان خير الدين الآلوسي ، ويدخل في الشعر الديني شعر الطرق الصوفية كالنقشبندية والقادرية والرفاعية ، فقد خمست قصائد المدائح النبوية ورصع الشعراء شعرهم ببعض آياتها ، وقد صنع شعراء مصر مثل ما صنع أخوانهم في العراق كالساعاتي واضرابه ، فقد كان تقليدهم حرفياً . وحاول الشعراء أن يعيشوا في الجو الذي عاشه شعراء المدائح فوجدنا مثل (رامة ، ولعلع ، وضارج ، والخزاعي ، ونجد ، وحاجر) في شعر أبناء بغداد والموصل والبصرة مع انهم عاشوا في المدينة ولم ير الشاعر هاتيك الديار ولا تلك الآثار لكي يتبرك بها ويذكرها في شعره .

المديح :

والرافد الثاني - والمديح عامة الذي كان يقدم للسلطان والوالي والموظفين فهذا شعر يطفح بالذل ويفيض بالهوان والمبالغات المموجة .

وشعر هذه الفترة صدى لتردي المثل العليا وصدى والخوف والرعب من الولاة والحاكمين فاذا كان الحكم مطلق التصرف نما شعر المديح الذليل في عهده .

لأن السلطات الحاكمة شلت مهمة الأديب الانسانية واتخذته أداة من ادواتها وزينة لمجالسها وحكمها ، ولم تعطه الحرية الكافية وتعترف به انساناً فقد قال التميمي :

من لي بتقبيل كف صوب عارضها يزري بوا كف فيض العارض الهطل

وقال السيد حيدر في مبالغة غير مستحبة :

لو شئت قتل الدهر ثم درى لقضى عليه قبلك الأجل
ان تنتعل قم الملوك فقد توجتهم بالفخر لو عقلوا
وطأت لك الدنيا بأخصها همم بساط نعالها القل

المناسبات :

أما التيار الثالث فهو تيار المناسبات المعروف والذي يفرضه الفراغ الكبير فكان الشاعر ينظم قصيدة في وصف دجاجة وقصيدة في استهداء السعف واخرى في خروج عذار أو بناء غرفة . وهو الجو الذي كانت تعيش فيه مصر في عصر الجبرتي مع فارق واحد هو ظهور لمحات جديدة في الشعر العربي في العراق وجدت في شعر مصر بعد ثورة عرابي أو قبلها بقليل . والخلاصة ان الشعر كان يلبي رغبة كل طالب كما كان وسيلة للمصالح الفردية (١) .

الى جانب هذا الشعر كان الشعر الذي ابتعد عن ذل السؤال وترفع عن الزلني والثناء الكاذب حيث كان بعض الشعراء ذاكرين العهد العربي الزاهر مفتخرين باصلهم العربي ومجدهم العريق ناديين أيام العرب الزاهرة مقارنين بين تلك الايام وما حاق بهم من فساد وتدهور رغم أن الحـكم العثماني كان حكماً مسلماً ، فكان ذلك يبعث الشعر القومي السياسي الذي شب في القرن العشرين وسحقت شجرته وارفة الظلال ، وكانت تلك المظاهر شعوراً بالعزة القومية العربية ورد فعل للمعاملة التي عامل بها العثمانيون العرب حتى تمنى ابن الجليل أن يترك العراق وما فيه ليتخلص من الذل والهوان . فقال :

علام الاقامة في بلدة نعد بها مثل حمر النعم

(١) بصدد الامثلة يراجع الشعر العراقي في القرن التاسع عشر ص ١٨٩ وما بعدها .

وقد وصف الغلامي هذه المعاملة بصورة لطيفة حتى دفعه اليأس الى الموت فقال:

يا ليتنا متنا قبيل الاذى وقبل هذا الذل والمسكنة
وقد أسف الأخرس أشد الأسف لذهاب العرب وعدم فهم الحاكمين

لشعوره العربي فقال :

أسفي على عمر تقضى شطره في خيبة المسعى الى الآمال
وبنات افكار لنا عربية رخصت لدى الاعجم وهي غوالي
يا هذه أين الذين عهدتهم آساد معترك وغيث نوال

الصوفية :

كان التيار العربي قوياً مع أن الحكام لم يكونوا من العرب وقد تأثر الولاة بهذا التيار وحاولوا أن ينصهروا به ، فحاول داود باشا أن يؤسس دولة عربية في بغداد على غرار دولة محمد علي باشا في مصر وحاول غيره من الولاة تعلم العربية وادعى بعضهم انه ينظم الشعر العربي ، وصاهر بعضهم العرب ولسكن لم تسكن هناك وحدة في الرأي ولا وجهة قومية ظاهرة المعالم .

ومع مظاهر الانعزال الظاهرة بين البلاد العربية فانها كانت بلداً واحداً يحكمها سلطان واحد ، وقد كانت بعيدة عن بعضها لصعوبة المواصلات وما يحف المسافر من اخطار ، ومع ذلك فقد كانت التيارات في البلاد العربية تتجه وجهة عربية مشوشة المعالم حتى أعلن الدستور سنة ١٩٠٨ وانتشرت الجرائد فبدأت اليقظة الفكرية في العراق ، إذ استفاد العراقيون من جميع تجارب مصر الفكرية بعد الحملة الفرنسية ، فرأينا الاديب العراقي يقفز ويسير مع الشاعر المصري ، لذلك لم نجد في العراق من مثل دور محمود سامي البارودي واسماعيل

صبري باشا لأن النهضة وصلت العراق كاملة فتأثر الشعراء بتيارات الفكر العربي في مصر وسوريا بوساطة الجرائد والمجلات العربية كالهلال والمقتبس والمؤيد والمقطم والمقتطف حيث نشرت قصائد حافظ وشوقي ومطران الى جانب قصائد الزهاوي والرصافي والدجيلي والشيبلي وخيري الهنداوي .

النتيجة :

ويظهر اثر هذه النقلة في شعر الشعراء ، فاذا قرأنا أول شعرهم وجدناه يعنى بالمحسنات اللفظية وكأنه من شعر القرن التاسع عشر ، فيه ترصيع وتخميس وتشجير ورد الصدر على العجز ، وبعدها نجده شعراً يسير النهضة الحديثة من عناية بالمعاني والسهولة والبساطة ، وبذلك جمع الشعر فترتين من فترات مصر ، فترة الجبرتي التي عنيت باللفظ وفترة ثورة عراقى حيث بدأت عوامل التحرر والتجديد تسري في أعطافه . وبذلك كانت فترة التقليد قصيرة الأمد لو قيست بفترة مصر الطويلة .

ولابد من الإشارة الى أن الشعر العربي في العراق بقيت جذوره الدينية ذات اثر واضح رغم ان الغذاء القومي بدأ يسقى أصوله ، لأن الشاعر العربي لم يفصل بين الدين الاسلامي والقومية العربية ، فقد اراد الإصلاح للأمة العربية وللإسلام في اطار اسلامي ، خوفاً من تشتت الدولة العثمانية وسيطرة الدول الاوربية الغربية عليها .

وكان من نتيجة هذا الوعي أن سار حتى غير العرب في التيار ولم يكن الشاعر يرضى أن يسمى غير عربى ، لأن ثقافته عربية وتفكيره عربى ، ولم يعامله العرب إلا معاملة ابن بار من ابنائهم وكان جزء لاغنى لهم عنه . فقد اندفع الزهاوى

والرصافي في تأييد الفكرة العربية مع انها ليسا من أصل عربي ، فقال الرصافي :
 ونحن العرب نأبي غير عز ونطمع في الحياة الى السموك
 لأنه كان يشعر بأنه شاعر العرب الذي ينافح عن حقوقهم وقال ايضاً :
 عهدتك شاعر العرب المجيدا لماذا لا تطارحنا النشيدا
 وعندما احتل الانكليز العراق كان للأدباء اليد الطولى في الثورة عليهم
 فقد هياؤا الرأي العام للانتفاض علي المحتلين ، بما كانوا ينشرونه من مقالات
 وما كانوا يخطبون به في المساجد أيام الجمع والمناسبات الدينية ويتحدثون به في
 دواوينهم ومجالسهم ومدارسهم ، وقد كان شعر هذه الفترة مسابقة وطنية تطفح
 بالألحان الوجدانية العذاب ، التي تهز المشاعر . كان الشاعر يعتمد على إثارة
 العواطف وعلى الالتقاء ، فشعر هذه الفترة لذلك مثل شعر حافظ ابراهيم من هذا
 الباب الذي يروعك سماه ولا تهيجك قراءته . ومن شعراء هذا الباب كثير
 اذكر منهم محمد مهدي البصير ومحمد باقر الحلي وناجي القشطيني وعبدالكريم
 العلاف ، وقد كان اكثرهم إنتاجاً الدكتور البصير ، فقد كان شديداً على المستعمرين
 صريحاً في المهاجمة ، حتى نفي الى هنجام مع من نفي من العراقيين . ودعا الى أخذ
 الحرية أخذاً لا منحة من المستعمر ، فقد قال :

وأشق من أسري علي بأن أرى يد أسري يوماً تحل وثاق

نورة ١٩٢٠

حدثت الثورة العراقية في حزيران ١٩٢٠ ولكنها لم تصمد طويلاً أمام
 القوات الانكليزية المدربة تدريباً حديثاً ، وقد كان رد الفعل قوياً في النفوس
 فاختلف الشعراء في نتائجها ، كما اختلف ارباب الرأي فيها ، فمنهم من شمله

اليأس ، ومنهم من واصل الكفاح ودعا اليه حتى بلوغ الحرية والاستقلال ، قال
خيرى الهنداوى :

ويك لا ارتضى الحياة بذل قم فمزق إهابها تمزيقا
وأدر لي فى الزافدين حميّا الـ حرب صرفاً وكسر الابريقا
ان موتاً يكون فى ساعة العـ ز لموت أجدر به أن يروقا
يا لقومى لقد دهتها الدواهى وهى تأبى من نومها أن تنفيقا

ولم يكن ضد الثورة غير الزهاوى فانه تجاهل الرأى العام وتحداه وخاطب
« برسى كوكس » فى محطة القطار قائلاً :

عد للعراق وأصلح منه ما فسدا واثبت به العدل وأمنح أهله الرشدا
الشعب فيك عليك اليوم معتمد فما يكون كما قد كان معتمدا
ارأف بشعب بغاة الشر قد قصدوا إثارة الشر فيه وهو ما قصدا
أما وقد جئت مصحوباً بمقدرة فلا أبالي أقام الشر أم قعدا

ويذكرنى هذا الموقف بموقف أحمد شوقى من احمد عرابى فى ثورته
الوطنية فانه هاجمه وموقف الشاعر نسيم من الانكليز .

ولم يهدأ الوطنيون ويكفوا عن المطالبة بحقوقهم وانما كانوا فى صراع صير
مع المحتل رغم تأليف حكومة وزراؤها من العراقيين ، ولكن كان الوطنيون
يعرفون حقيقة هذه الوزارة وحقيقة البرلمان الذى اسسوه ، وقد برز كثير من
الشعراء فى هذه الفترة ما بين ١٩٢٠ - ١٩٣٠ ونظموا فيضاً عارماً من الشعر
السياسى الوطنى ، وتعد هذه الفترة أخصب الفترات الأدبية فى الشعر العربى
فى العراق .

ولابد لي أن اذكر لحضراتكم ان الشعر العربي في العراق خير سجل لحياته
السياسية والاجتماعية ، وما يزال .

القومية :

وقد بقي الشعر سائراً في ركب القضايا الوطنية ولم يخرج شاعر على هذا
الاجماع ، فاذا اخفقت الثورة المسلحة ضد الانكليز فقد نجحت ثورة التبرم
والشعور بالكرامة وضرورة المقاومة ، اذ أن الشعراء أعادوا للشعب ثقته بنفسه
بما كانوا يذكرونه له من أمجاد العرب وقوة العرب واتساع رقعة سيطرتهم وبما
كانوا يعاملون به الناس من العدل ، ويقارنون بين آباءهم العرب وبين قوى
الاحتلال ، فيظهرون المستعمر على مساوئه ويبرزون الصور المشرفة من حياة
العرب الذين لا يقلون مجداً وعزة وتاريخاً عن أية أمة من امم العالم ، فقد قال
ابو المحاسن يعنز بالعرب :

بقوي أسمو راقياً شرف العلا وأسطو بهم يوم الوغى وأصول
هم القوم ، أما عزهم فمشيد تليد أما مجدهم فائيل
أو يقول :

يا ناطقاً بالضاد والفضيلة معنى يتم بغير حرف الضاد
أو ليس عصر النور من آثارهم قيس لواضع نوره الوقاد
واتجه الشعراء الى السخرية اللاذعة من الوزراء الذين لا يقدرّون على عمل

شيء بدون استشارة المستشار الانكليزي فقال محمد باقر الشبيبي :

قالوا استقلت في البلاد حكومة فضحكت اذ قالوا ولم يتأكدوا
الحكم حكمهم يغير منازع والأمر مصدره هم والمورد

المستشار هو الذي شرب الطلا
وقد كان الرصافي أشد الشعراء تهكماً وزرابة وسخرية من نظام الحكم
القائم ومن وزرائه ونوابه ، فقد قال يصف الوزراء الذين هم آلات وكتاب عند
« برسي كوكس » وغيره من الاجانب فقال :

فوزير ملحق كالذئب في عجز الحمار
ذئب أصبح للحكم به أقبح شارة
وهو لا يملك أمراً غير كرسي الوزارة
يأخذ الراتب أما بلغ الشهر سراره

ورغم المقاومة الشديدة الا ان أساليب الاستعمار واعوانه تمكنت من اقرار
المعاهدة وفرضها على العراق بعد أن صبغوها بصبغة شرعية مزيفة ، ثم حدثت
ثورة ١٩٤١ و ثورة ١٩٤٨ وغيرها من الأحداث التي هي بحاجة الى دراسة اخرى
لا يمكنني أن اوجزها في هذه المحاضرة .

الاستقلال :

كان للاحتلال الانكليزي اثر بالغ في يقظة الرأي العام ، فقد فتح الاذهان
على مظاهر مادية جديدة ونظام من الحكم جديد ، وبث في النفوس العناد والاصرار
على المقاومة والنضال في سبيل الاستقلال التام ، ونزل الشعراء مع الجمهور ،
وتركت الابراج العاجية خالية ، لرفع شأن الشعب وخلق جيل قوي يقدر على
الجهاد ومواصلة الكفاح .

وقد كانت المشكلات الاجتماعية متشابكة ، فالتأخر ساد جميع نواحي البلاد
والوطنيون يريدون شعباً قوياً ، ولكن المتحكمين في البلاد هم من الدخلاء

والانتهازيين فوق الرصافي في تكريم الريحاني سنة ١٩٣٢ ونفسه تفيض
حسرة وألماً فقال :

أأمين جئت الى العراق لكي ترى ما فيه من غرر العلا وحجوله
عفواً فذاك النجم أصبح آفلاً والقوم محتربون بعد أفوله
أما الحيا فيه فذياك الحيا لكن مسيل الماء غير مسيله
ولم يصبر الرصافي إلا أن يقول ان العميل المستورد وانباء البلاد الخونة
هم اساس العلة في هذا الوطن ، وقد كان الملك فيصل حاضراً فقام وترك المجلس
عندما قال الرصافي :

من أين يرجى للعراق تقدم وسبيل ممتلكيه غير سبيله
لا خير في وطن يكون السيف عـ نـد جبانه ، والمال عند بخيله
ولعل من أطرف الأقوال قول محمود الملاح يصف الحالة العامة التي تقسمها
الانكليز (المسائر) مثل (سمث) و (كوك) فنعموا بالخيرات دون
اهل البلاد . فقال :

الخـير في هذي البلاد مقسم بين (المسائر) من (سمث) و (كوك)
المرأة :

وقد عولجت مشكلة المرأة وحدث حولها جدل شبيه بالجدل الذي قام في
مصر عندما أثار قاسم أمين المشكلة ، وكان كل فريق يتخذ الاسلام قاعدة للذب
عن مذهبه ورأيه ، وابرز الشعراء الذين ناصرُوا المرأة الزهاوي ، وفي شعره
الكثير من ذلك ، وخلاصة رأيه تتلخص في قوله :

قال : هل بالسفور نفع يرجى ؟ قلت : خير من الحجاب السفور

انما في الحجاب شل لشعب وخفاء وفي السفور ظهور
كيف يسمو الى الحضارة شعب منه نصف عن نصفه مستور
واجمل شعر واعذبه لدعاة الحجاب للشيخ جواد الشيبلي :

منع السفور كتابنا ونبينا فاستنطقي الآثار والآيات
تلك الوجوه هي الرياض قدازدهت للناظرين شقائق الوجنات
كانت تكتمم بالبراقع خيفة من أن تمس حصانة الخفريات
واليوم فتحها الصبا فتساقطت بعواطف الأحاظ والقبلات
صوني جمالك بالبراقع انها ستر الحسان ومظهر الحسنات
ومن الطريف أن دعاة السفور كانوا يحملون بشدة وبقسوة وبصرامة ،
فهم يطالبون بحرق البراقع وخروج المرأة سافرة ، أما في مصر فقد كانت المطالبة
هادئة تمثل في قول حافظ :

أنا لا أقول دعوا النساء سوافراً بين الرجال يجلن في الأسواق

الاقطاع :

وقد استأثر الاقطاع والفلاح بجانب كبير من الشعر العربي في ، فالفلاح
العراقي جائع فقير مريض يكند للاقطاعي ويعمل عنده أجيراً ، وقد هرب
الفلاحون من الريف وسكنوا المدن تخلصاً من الاضطهاد ، وكان شميمخ القبيلة
الذي انقلب الى اقطاعي يعمل جاهداً في سبيل تأخير تعليم الفلاح وتقديمه ، اذ
ليس للفلاح قانون يحميه لنفوذ الاقطاعي وتأثيره في جهاز الدولة ، وخير من
وصف الفلاح احمد الصافي النجفي حين قال :

رفقاً بنفسك ايها الفلاح تسعى وسعيك ليس فيه فلاح

لك في الصباح على عنائك غدوة وعلى الطوى لك في المساء رواح
هندي الجراح براحتيك عميقة ونظيرها لك في الفؤاد جراح
في الليل بيتك مثل دهرك مظلم ما فيه لا تسمع ولا مصباح
فيخر سقفك ان همت عين السما ويطير كوخك ان تهب رياح
بغضون وجهك للمشقة أسطر وعلى جبينك للشقا ألواح
عرق الحياة يسيل منك لآلئاً فيزان منه للغني وشاح
وقد كان هناك عدد كبير من شعراء الفلاح أبرزهم محمد صالح ببحر العلوم
(اذ أهدى ديوانه للفلاح) والجواهري والجبوي ، والمظفري والسوداني .

ولعل أطرف أبيات في شرح حال الفلاح هي قول شاعر اسمه حسين الحاج وهج:

تخذنا من نبات الارض قوتنا ولم نشبع بمكسبنا البطونا
جهدنا زارعين بكل آن فلسنا في المزارع ناجحيننا
بدلنا النفس في جد وجهد وعند الحاصلات (مفلسينا)

الفقر:

وتقابل مشكلة الفلاح في القرى مشكلة الفقر في المدن ، فقد رسم الشعر
صوراً رائعة خالدة ، ولا تكاد تجد شاعراً من شعراء بغداد لم ينظم فيها ،
وعلى رأس هؤلاء معروف الرصافي ، ففي ديوانه جزء ضخم عالج فيه المشكلات
الاجتماعية عامة والفقر بصورة خاصة ، وقد عالجهما متأثراً بالتعاليم الإسلامية معتمداً
على ارهاب الناس بالنار وعذاب اليوم الآخر داعياً الى انصاف الفقراء والارامل
واليتامى ، يطري الاحسان والمحسنين ولم يكن نائراً في دعوته وانما كان هادئاً
يرسل القول رخيماً سهلاً ، فهو يطالب بالأصلاح بحكاية يحكيها أو رواية يرويها

ويستدر عطف الناس فيما بين حوادثها وسطورها فيقول :

ايها الأغنياء كم قد ظلمتم نعم الله حيث ما إن رحمتهم
سهر البائسون جوعاً ونمتم بهناء من بعد ما قد طعمتم

من طعام متنوع وشراب

كم بذلتم اموالكم في الملاهي وركبتم بها متون السفاه
وبخلتم منها بحق الاله ايها الموسرون بعض انتباه

أفتدرون انكم في تباب

هذه هي الملامح العامة للشعر العربي في العراق وقد اتخذته قاعدة للبحث عن الأدب كله لأن النثر في العراق لم يستكمل نضجة ولم يصل الى ما وصل اليه الشعر أما القصة فلا تزال بحاجة الى سنوات اخرى لتصل الى المستوى العالمي رغم وجود بعض كتاب القصة في العراق .

ولا يزال الشعر في العراق ينمو وتتفتح كل يوم أزاهيره عن ألوان جديدة ولا يمكنني حصر الشعراء ، غير انهم من الكثرة ما يخبر بأن الشعر العربي في العراق لا يزال بخير . ومن لم استشهد لهم : علي الشريقي ومحمد علي الجبوبي وبهجة الأثري وحافظ جميل ونعمان الكنعاني وعلي الخطيب واكرم احمد وعبد اللطيف الشهابي ومحمد بسيم الذويب وصفاء الحيدري وعبد الحسن زلزلة وعبد القادر الناصري وخضر الطائي ومهدى مقلد وعبد الرزاق محيي الدين والأزري وكاظم الدجيلي و بدر شاكر السياب وهلال ناجي وشاذل طاقة وعبد الكريم الدجيلي وكثير غيرهم لا احفظ شيئاً من شعرهم .

وقد امتاز العراق بظاهرة جديدة هي بروز عدد من الشاعرات مثل نازك الملائكة وعاتكة وهي الخزرجي واميرة نور الدين و فطينة النائب و لميعة عمارة

واخيراً من الطالبات آمال الزهاوي .

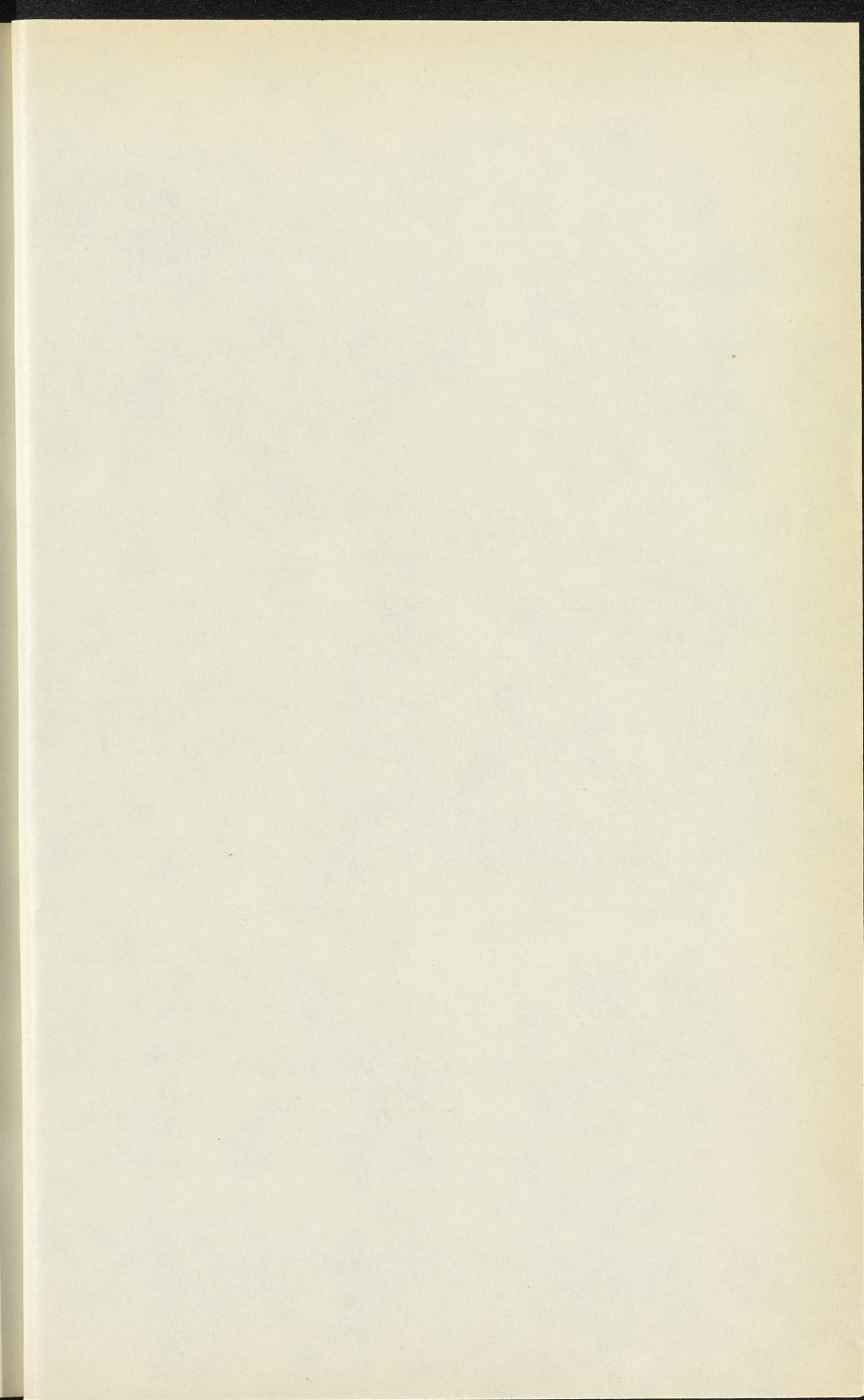
وهناك كُتّاب للمقالة والمسرحية إلا ان هذه الفنون الأدبية تتضاءل تجاه شموخ الشعر العربي ، وقد تركت الحديث عن الشعر (الحر) لأنني لست من المؤمنين بكثير مما انتج منه ، ثم لأن فيه الكثير من الخور والضعف ، وان الكثير منه بعيد عن الشعر وموسيقاه .

وقد ظهرت بعض المسرحيات الناجحة في الشعر مثل مسرحيتي الاستاذ خالد الشواف الأَسوار وشمسو ، وألف الاستاذ خضر الطائي : قيس لبني وأهل الكهف ، ومسرحية مجنون ليلي نظمتها الشاعرة الدكتورة عاتكة الخزرجي ، كما ان المرحوم عبدالستار القرهغولي امتاز بنظم عدة مسرحيات للاطفال بعضها من التاريخ العربي وبعضها من قصص لافونتين .

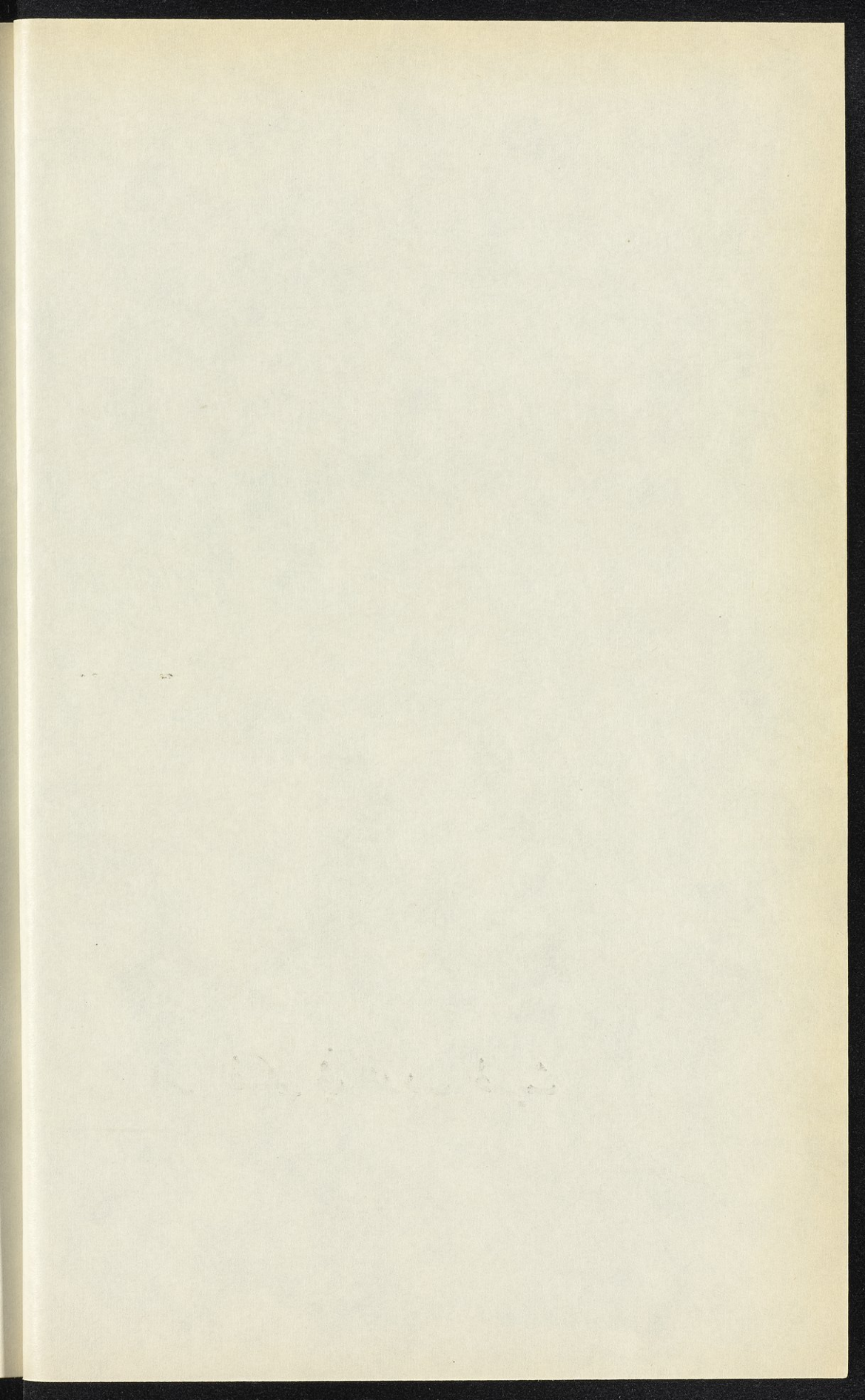
ولعل السير على الاسلوب العربي الأصيل هو أهم مظهر من مظاهر الشعر ، فأكثرية الشعراء ما تزال تؤمن به مع تجديد في المعاني والأساليب والاختيالة ، ويدخل في نطاق هذا أكثر الشعراء المبدعين . وقد امتاز هؤلاء الشعراء بالنفحات العربية الأصيلة من اسلامية وعباسية .

ويتطور الشعر لدى الشاعر تبعاً لثقافته وعمره ومقدار نفعه الفردي وأثر المعاني العامة في نفسه ، ولو دققنا في شعر كل شاعر لوجدنا تمثل التجربة الفردية ومقدار هضمها واضحا بالنسبة الى غيره من الشعراء . وهذا امر طبيعي في النفس الانسانية . وأخيراً ارجو المَعذرة والعفو عن كل تقصير وخلل .

والسلام عليكم ورحمة الله .



اثر الفكر في الادب الحديث



السيطرة على الفكر في عصرنا الحديث طريق للسيطرة على الشعوب والصراع على أشده في سبيل هذه السيطرة بعد أن خسر الاستعمار طريقه التقليدي .. لأن الفكر عامل قوي له أشد الأثر في حياة المجتمعات الانسانية وتطورها .. وهو خير سبيل لمقاومة التيارات التي لا يقرها الشعب وله دور فعال في ارساء أي نظام في أي مجتمع من المجتمعات، (١) .

وقد ظهرت في المجتمع العربي الجديد تيارات فكرية جديدة تقاوم التيارات القديمة ومنها ما هو صالح لهذا المجتمع ومنها ما هو مؤثر في مسيرة تقدمه ومن ورائها قوى تعمل جاهدة لتخريب التنفيذ والتطبيق ..

ولتجديد أي اتجاه فكري وخاصة الفكر العربي الحديث ، لا اجد بُدأ من العودة الى جذوره الأولى للاطلاع على الينابيع التي تغذيه والروافد التي تمده بالعون والقوة ، وفي علمنا العربي الحاضر نجد اخلاطاً عجيبية من الثقافات ، والتيارات الفكرية التي تتسرب في أذهاننا فتؤثر فيها وتتصارع للسيطرة على الفكر العربي الحديث . والموضوع متسع الأطراف ولا يمكن تتبع الاتجاهات في محاضرة تلتقي بين يدي خيرة العلماء وقادة الرأي ، لهذا سأمر سريعاً بالتيارات التي ما زالت تؤثر في الفكر العربي وفصلتها في كتاب أفرده لهذا البحث . ونستطيع أن نميز منها عدة تيارات :

(١) كلمة قدمت في مؤتمر جمع اللغة العربية في الدورة الثانية والثلاثين ببغداد ١٩٦٥ .

التيار الربيعي :

أول هذه التيارات هو التيار الاسلامي ، ولا يريد أن يتحدث عن الاسلام وأثره وتطوره ، ولكنني سأحدث عن أثر هذا التيار في بلورة المفاهيم العامة . فبداية القرن التاسع عشر بدأت الروافد المتباينة ، تتضارب وكان التيار الاسلامي الذي سيطر باسمه العثمانيون على كل البقاع العربية أقواها ، ولكنهم انصرفوا الى أنفسهم وإلى ملاذهم . وكانت الجراح قد اثخنت العرب والمسلمين على حد سواء ، ورضي المسلمون بالركود والهدوء لأنهم مرتبطون بدولة إسلامية ويمنعهم دينهم من الثورة عليها .

ولا شك أن العرب والمسلمين تحت السيطرة العثمانية كانوا في خوف دائم من سيطرة أوروبا فدفعهم هذا الخوف الى التمسك بالعثمانيين ، والواقع ان أوروبا كانت ترمي الى تحطيم هذا الحصن الاسلامي عن طريق الغزو الفكري . وكان شعارها في الغزو الفكري هو الهجوم على الاسلام ، فهو في زعمها دين جامد كان يصلح للقرون الأولى ، وأخذ يدفع المسلمين الى العصبية ، ويملاً عقولهم بالاهام وقد أثار ذلك الزعم فريقاً من الشعراء ودعوا الى التمسك بقيمهم الاسلامية والحفاظ عليها ، والى الوقوف في وجه الهجوم الاوربي وردده ، وفي ذلك يقول الرصافي :

يقولون في الاسلام ظلماً بأنه	يصد ذويه عن طريق التقدم
فإن كان ذا حقاً فكيف تقدمت	أوائله في عهدهما المتقدم
وإن كان ذنب المسلم اليوم جهله	فماذا على الاسلام من جهل مسلم
هل العلم في الاسلام إلا فريضة	وهل أمة سادت بغير التعلم (١)

(١) ديوان الرصافي ص ١٢٨ .

وكان ظهور جمال الدين الأفغان عاملاً فعالاً في هذه الفترة ، فقد رفع لواء السياسة ولواء الدين، ولم يكن يستطيع في هذه الحقبة من الزمن أن يؤثر في الناس سياسياً إلا عن طريق الدين ، ومن أجل ذلك ركز أكثر جهده الثوري في الإصلاح الديني وتطهيره من البدع والرد على المستشرقين من مهاجمي الاسلام .

وجمال الدين الأفغانى كان أشبه ما يكون بسقراط . قيمته في شخصيته الفذة وقدرته على الاقتناع ، وعبقريته تنعكس على تلاميذه الذين وجههم قائلوا في الحياة أمثال محمد عبده ورشيد رضا وشكيب ارسلان وأديب اسحاق وغيرهم .

وكان السكواكي يمثل فكرة الإصلاح في كتابيه « ام القرى » و « طبائع الاستبداد » ، يعالج الناحيتين الدينية في الأول والسياسية في الثانى وإن كان يربط بين الناحيتين في كثير من الأحيان .

فقد هاجم في طبائع الاستبداد ظلم الحاكم الذي انغمر في الدنيا وترك أمر الامة في مهب الريح ، ونلاحظ انه استعمل في مقام كلمة (استبداد) كلمات استعباد واعتساف وتسلط وتحكم وفي مقابلها كلمات شرع مصون وحقوق محترمة وفي مقام كلمة (مستبد) كلمات حاكم بامرہ وحاكم مطلق وظالم وجبار ، وفي مقابل حكومة مستبدة كلمات عادلة ومسؤولة ومقيدة ودستورية . وفي مقام (مستبد عليهم) كلمات اسرى وأذلاء ومستضعفون وفي مقابلها أباة وأحرار وأحياء . ويرى ان الاستبداد ومشتقاته وضروبه يعود الى الحكم المستبدین الذين فرقوا الناس باسم الدين ولكنهم حجروا الدين حين ادخلوا فيه وباسمه ما ليس منه ، وفي ذلك يقول :

« لا يوجد في الاسلام نفوذ ديني مطلقاً في غير مسائل إقامة الدين ، هذا

الدين الحر السمع الذي رفع الاصر والاعلال وأباد الميزة والاستبداد . الدين الذي ظلمه الجاهلون فهجروا حكمة القرآن ودفنوها في قبور الهوان . الدين الذي فقد الانصار والابرار والحكام الأختيار ، فسطا عليهم المستبدون واتخذوه وسيلة لتفريق الكلمة وتقسيم الأمة شيعاً وجعلوه إآسه (كذا) لأهوائهم فضيعوه وضيعوا أهله (١) .

ثم يستخلص ان الأمة ينبغي أن ترأب الحكومة وتحاسبها كما يجري في صدر الاسلام لأن الحكومات متى أمنت محاسبة الشعب ، فلا بد أن تسير في طريق الاستبداد . وقد لا تخيف العلوم الدينية المحضة المستبد ، ولكن فرائضه ترتعد حتماً من العلوم الفلسفية وحقوق الأمم وسياسة المدنية والتاريخ المفصل لأن سلطان العلم أقوى سلطان ، وهنا يحتقر المستبد نفسه كما وقعت عينه على من هو ارقى منه علماً ، فيحارب العلماء من أجل هذا ، ولذلك لا يجب أن يرى وجه عالم ذكي فاذا اضطر الى استحضار طبيب أو مهندس اختار المتصاغر المتملق .

والدكتور شبلي شميل نظرات دقيقة في الموضوع نفسه ، وقد أشاع كل هذا وعياً جماهيرياً بين طبقات المتعلمين في عصره وكانوا يتدارسونها ، وظهرت آثار التيار الجديد في شعر الرصافي عندما قال :

مثل الحكومة تستبد بحكمها	مثل البناء على نقا متهيئ
يا أمة رقدت فطال رقادها	هي وفي أمر الملوك تأملي
كم جاء من ملك دهاك بجوره	ولو الك عن قصد السبيل الأفضل
إن الحكومة وهي جمهورية	كشفت عماية قلب كل مضلل (٢)

(١) طبائع الاستبداد ومصارح الاستعباد ص ١٩ - ٢٠ . ولعلها (آلة)

(٢) ديوان الرصافي ص ١٦٢ - ١٦٣ .

التيار العربي :

ومن خلال هذه الاتجاهات يبرز تيار آخر هو التيار العربي أو القومي ،
والعربي لم يتخل أبدأ عن قوميته والاعتزاز بها ، ولم يكن أحد يجرؤ على مس
العروبة لأن العروبة مادة الاسلام والقرآن عربي اللغة .

وقد برز هذا التيار في النصف الثاني من القرن الماضي ، حين علا صوت
القوميات في العالم وظهر التقسيم الجغرافي الحديث لأوربا على اساسه ، والواقع
ان الجمعيات السرية العربية التي ظهرت في هذا الوقت تحكي عن قوة هذا التيار
بالرغم من أن التربة لم تكن شديدة التمهيد لجريانه ، وكانت جرأة الكواكبي
في دعوته الى خلافة عربية واضحة أتم الوضوح ، خاصة وقد بدأ الصراع يبرز
بين العرب والترك ذلك الصراع الذي بلغ مداه بعد دعوة الأتراك الى الطورانية
ومحاولة تترك العرب بعد الدستور سنة ١٩٠٨ ، كان هذا التيار يحمل في طياته
المطالبة باصلاح المجتمع العربي وجعل اللغة العربية لغة رسمية لأبناء العرب ثم يحمل
في طياته ايضاً الدعوة الى اللامركزية وهي دعوة تطورت فيما بعد الى دعوة للوحدة
العربية الشاملة . كانت أولاً مطالبة بالاصلاح ثم تطورت الدعوة الى تاسيس
حكم عربي ، ومن الطريف ان يذكر لنا الاستاذ ساطع الحصري ، ان جمال الدين
الأفغاني صاحب الدعوة الى الجامعة الاسلامية ، لم تغب عن ذهنه مقومات القومية
ويستشهد على ذلك باحدى مقالاته التي كتبها بالفارسية وفيها يقول : « لاسعادة
إلا بالجنسية ولا جنسية (١) إلا باللغة ، إن الروابط التي تربط جماعات كبيرة
من الناس اثنتان وحدة اللغة ووحدة الدين . . . ووحدة اللغة هي

(١) يعني بالجنسية القومية .

الأساس الذي تقوم على الجنسية « (١) .

فاذا كان من الجائز أن تقوم وحدة بين الافغاني والعربي والتركي والفارسي على اساس الدين ، وكل يتكلم لغة تختلف عن الأخرى ، فمن الطبيعي قيام وحدة تجمع العراقي والمصري والحجازي واليماني وغيرهم ممن يتكلمون لغة واحدة ولهم قيم واحدة ومصالح مشتركة وآمال مشتركة ، فالوحدة العربية ضرورة وخطوة اولى من خطوات الوحدة الاسلامية . وبالرغم مما عاصر هذه الدعوة من أحداث وبالرغم من خسارة الثورة العربية التي قامت في أثناء الحرب العالمية الأولى فقد كانت معبرة عن آمال العرب في الوحدة ، فان صدى الدعوى قد ملاً الأسماع والقلوب ، وتردد على ألسن أكثر الشعراء ، وفي ذلك يقول الزهاوي :

هي وحدة ميسورة	لولا يد للعابثينا
ان العروبة ليس	تأمن غارة المستعمرينا
الا بوحدتها ونعـ	م وسيلة المتفكرينا
وهي التي اتحدت قديماً	بينها لغة وديننا (٢)

ويقول المرحوم الشيبلي يندد باولئك الذين يفرقون شمل العرب ويسيروا وراء الاحاسر من الاجانب برغم ما صبوه على البلاد من تفرقة اكفهرت لها الجواء:

ماذا بنا وبذي الديار يراد؟	فقدت دمشق وقبلها بغداد
بردى وأودية الفرات ودجلة	والنيل غص بمائك الورد
حال العلوج من الأحاسر يلننا	وتعذر الاصدار والايراد

(١) ماهي القومية ص ٢٠٧ .

(٢) الثعالة ص ٨٦ .

الجو وهو مقطب متجهم يبكي لنا والأرض، وهي جماد
يا للرزية كم تفرق بيننا وتصلنا الأضغان والأحقاد (١)

والواقع ان هذين التيارين كانا يسيران وسط ارض مضطربة ، فالصراع بين القديم والجديد يصبغ الحياة ويلبسها أردبته المختلفة ، كانت الحضارة الشرقية إذن قد دخلت في صراع بينها وبين الحضارة الغربية ، ومن الناس من اندفع مع الجديد فعاش في بيئة حياة أقرب إليها وارتبط في ذهنه حاضر الشرق الضعيف.. وتقاليده الموروثة فراح ينادي بالحضارة الغربية ووجوب الأخذ بها في معالمها المادية وتطورها العلمي ، ومن الناس من زاده الغزو الغربي تمسكاً بتقاليده وقيمه الشرقية وارتباطه بكل قديم ارتباطاً يقرب من التقديس ، وفريق ثالث حاول أن يأخذ من صالح الجديد وصالح القديم في وقت واحد . وفي مجلة « التبكيك والتبكيك » لعبدالله النديم مجموعة من القصص في هذا الموضوع فقصته التي جعل عنوانها « مجلس طبي لمصاب بالافرنجي » وقصة « عربي تفرنج » تصوير لاندفاع الناس في تقليد الاوربيين حتى في مساوئهم واستهجانهم للتقاليد الشرقية بصورة عامة عربية أو اسلامية وقد ظهر هذا الصراع في الفكر وفي الحياة الاجتماعية معاً، وظهرت آثاره في الشعر الحديث .

ففريق من الشعراء سار على نسق العباسيين لا يتحول ولا يحميد لأن العصور الاولى هي عصور الصحة والسلامة واقتبسوا تشبيهاتهم واستعاراتهم وصورهم الشعرية ، فتحدثوا عن أماكن لم يروها ، ووصفوا الناقة واستمطروا السحب ووقفوا على الاطلال مثل الكاظمي والبارودي ، وفريق تأثر بالمذاهب والمدارس

(١) ديوان الشبيبي ص ٣٣ - ٣٧ .

الأدبية الأوروبية الحديثة وحاول جلبها جلباً ، فلم تلق محاولته تقبلاً ، لأن المذاهب الأوروبية نشأت في بيئة مهيأة ولدواع قوية ، وقد مثل هذا الفريق العقاد والمنازني وشكري في مصر وفرنسيس فتح الله المرآش في الشام ، أما الفريق الثالث فيمثله شوقي والرصافي ، ويتميز بمحافظته على عمود الشعر العربي ومحاوله التطور في شيء من التؤدة ، لأن الطفرة مجلبة للعترة كما عبر شوقي عن ذلك .

أما في النثر فقد وضح هذا الصراع بين القديم والجديد في النقاش بين مصطفى صادق الرافعي وطه حسين ، فالرافعي متمسك بالقيم الموروثة وطه حسين مطور مجدد ، ولكن الرافعي ربط هذا الصراع الفكري ، بالدين الاسلامي ، ورأى كل دعوة للجديد قد تمس اللغة وتمس المثل وبذلك تمس الدين ، ومن اجل هذا سمي كتابه الذي جمع فيه النقاش بينه وبين دعاة التجديد « تحت راية القرآن » .

ومن الطريف أن نرى شاعراً محافظاً بحكم نشأته وثقافته ، ولكنه بحكم هذا الصراع الذي يعيش فيه ، يحاول أن يخرج من تهمته التقليد فيدعو الى الجديد ، ولكنه لا يقوى على أكثر من مجرد النداء ، ذلك هو حافظ ابراهيم الذي يقول :

آن يا شعر أن نفيك قيوداً قيدتنا بها دعاة الحال
فارفعوا هذه الكأثم عنا ودعونا نشم ريح الشمال
تبار الاستراكية :

لست اريد أن أتحدث عن اصول الاشتراكية وجذورها ولست بحاجة الى بحث عن الفلاسفة الاوربيين الذين دافعوا عن العمال مثل سان سيمون و(هيكل)

وماركس ، ولكن اريد أن أقول إن الاشتراكية لم تقم في أوروبا إلا لظروف اجتماعية . فقد انتشرت الصناعة واكتسحت الجموع التي كانت تعيش بكدها من المهن اليدوية الصغيرة وهاجمت المزارعين الذين كانوا يعيشون في قراهم متمتعين بحريتهم الشخصية . فاصبحوا أجراء ، بعد أن كسدت بضاعة الكثيرين منهم واحتشدوا في المصانع الكبيرة والشركات ، وكان لكثرتهم ، وخوف الجوع ، ان استغلتمهم الرأسمالية الجديدة ، فظهرت الاشتراكية تدعو الى تخليصهم من قبضة المالك واستغلاله والمحافظة على صحة العامل لأنها رأس المال الحقيقي في المجتمع . وكان هذا التيار يجد صدىً لدى المفكرين الشرقيين لأنهم يرغبون في إصلاح المجتمع عن طريق الدعوة الى المساواة دون أن يفكروا في تغليب طبقة على طبقة أو تسليم الحكم اليها ودون أن يفكروا في مسها للدين ، فهي مجرد نزعة إصلاحية يقول شبلي شميل : « ان الاشتراكية تقلل من ويلات الانسان فتضمن له حاجاته وتصور حقوقه ، بعد أن تفرض عليه واجباته وترفعه من مواطنه الأقدام الى مكانة الانسان ، وتعلمه انه عضو في المجتمع لا يجوز أن يبقى عالة (كذا) عليه غير نافع » (١) فهو إصلاح هاديء لا ثورة فيه .

ولكن المفكرين العرب كانت لهم ذخيرة من تفكير إسلامي أصيل اختلط بهذه الآراء التي وردت من أوروبا ومن أجل ذلك وجدنا الآراء التي تتعرض للاشتراكية الإسلامية تجعل الكلاً والماء والنار موارد عامة ، والاسلام جعل في أموال الأغنياء حقاً للسائل والمحروم وفرض الزكاة وحرم الاحتكار . وكانت المجلات العربية تنشر هذه الآراء جميعاً ، ولم يكن لدى المسلمين الاوائل بطالة أو

(١) مجموعة الشميل ص ١٥٣ والصواب « عائلا » .

حتى لم يكن لدينا عمال إذ لم تكن هناك مصانع ضخمة ، لذلك دعا المفكرون الى تطبيقها على الفقراء . فنشأت احزاب سمت نفسها اشتراكية في البلاد العربية ثم تطورت فكرة الاشتراكية وأصبحت رمزاً للإصلاح .

وآمن كثير من الشعراء في وقت مبكر بالدعوة الاشتراكية ، مثل شوقي واحمد الكاشف والرصافي وحافظ ابراهيم ، وقد بشر احمد الكاشف بها فقال :

للاشترائية العقبى إذا شملت شتى الشعوب وجاراها المجارونا
فلا الكثيرون ملكاً للاقلينا ولا الاقلون ملكاً للكثيرينا
ولا نرى واحداً ملأى خزائنه بالمغنيات وآلافاً يجوعونا
ولا نرى درة في رأس محتكم تهفو اليها قلوب المستظلينا (١)

والزهاوي يحدثننا عن جمهورية اشتراكية يستمددها من خلايا الجسد ويراها أفضل وأسمى اشتراكية ، لانها طبيعية ويرى العالم صائراً اليها لانها امر حتمي ، ونرى الشعراء يلتفتون الى العمال وكأنما يكتشفون طبقة اجتماعية جديدة لم تكن موجودة ، ويتحدثون عن الزكاة ، وعن حق الفقير ، بدلا من الحديث عن الرحمة به والاحسان اليه (٢) .

العلم :

وقد أثرت الحياة المادية الاوربية والفلسفية في رأي الشعراء وظهرت آثار نظرات فلسفية وعلمية في شعرهم مثل آراء ديكرت (انا افكر فانا موجود) ونظريات الفلك كما ظهرت أسماء المخترعات الاوربية الحديثة وان كانت نابية

(١) شعراء الوطنية المرافعي ص ٢٤٠ .

(٢) المجلد مما أرى ص ٥٢ .

في الشعر في كثير من الاحيان ومن يدرس الشعر يجد الامثلة السكثيرة .
وقد هزت النظريات الحديثة المثل القديمة التي عاش عليها الشعراء وبدأ
الشك يتسرب الى نفوسهم في كثير من المعلومات القديمة التي ورثوها فان
الاختراعات الجديدة واسماها فتح الاذهان على عوالم جديدة شككت بما ألفه
المفكرون من نظريات قديمة ، فقد قال :

والعلم قد انكر منهاجنا ولم يبين أين هو المهيـع
فرقت يا علم رداءاً لنا كنا ارتديناه فهل ترفع ؟ !
فجعتنا يا علم في أمرنا أمعبت أنت اذا نجزع
لقد طغت حيرة اهل النهى هل فيك يا علم لها مردع (١)

كما كثرت اسماء الخترعات في شعرهم مثل (التومبيل) و (التلغراف)
و (الفونوغراف) و (القاطرة) وغيرها مما يجده المتبع في شعر
هذه الفترة .

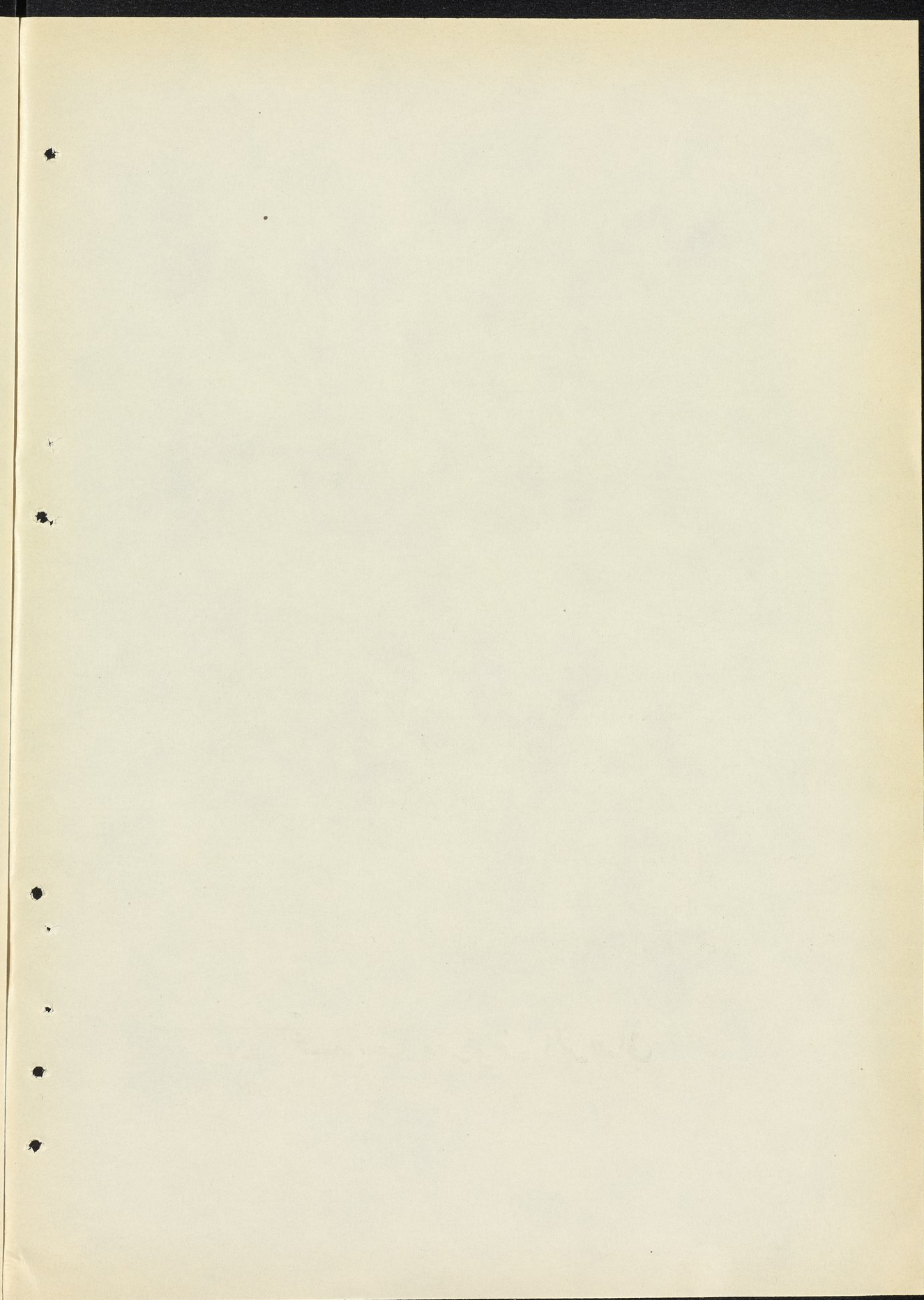
وختام القول ان هذه مذاهب سياسية ومذاهب اجتماعية تصطرع في محيطنا
اكثرها عميق الجذور ، وبعضها ظهر نتيجة الصراع بين الحضارتين الشرقية
والغربية ، ولسكنها في مجموعها تؤكد حيوية الامة العربية ، وتصديها
للجديد تناقشه ولا تتقبله مستسلمة ، وترفض الزائف في النهاية ، وتتقبل
الأصيل ، ومؤمنة بحتمية التطور .

(١) ديوان الرصافي ص ٢٢ .

وقد ظهرت هذه المذاهب أول الامر في الادب ظهوراً ساذجاً بسيطاً ثم أخذت تتبلور المذاهب الفكرية وأخذ الادباء يدعون اليها عن عقيدة وعن إيمان وعن فهم يختلف عن الجيل السابق فقد درس الادباء هذه المذاهب بعد أن ترجمت الى اللغة العربية ومنها من استوعبها ودعا اليها عن إيمان صادق ومنهم من دعا اليها لمصلحة فردية . . . ولكن أثر الفكر في الشعر الحديث رسم خطوطه العريضة .

والسلام عليكم ورحمة الله .

تجديد معروف الرصافي



تمهيد :

في كل عصر من عصور الأدب ، وفي كل أمة من الأمم ، نجد الثارين على التقاليد القديمة ، والداعين الى التجديد ، ونجد قسماً منهم يملكون الجرأة والاقدام ، فيهدمون كل السدود القديمة الواهية التي تقف حائلاً دون تجديدهم وهؤلاء هم الذين يخلد تاريخ الأدب ذكرهم .

وعندما كان المذهب الاتباعي أو المدرسي Classicism مسيطراً سيطرة فعالة على الأدب الاوربي ، لم يكن بمقدور أديب أوربي أن يخرج على مارسمه له من قواعد وأسس ، فقد كان الأدباء ، سواء اكانوا في ايطاليا أم فرنسة أم انكلترة يكتبون باللغة اللاتينية ، أدباً تقليدياً لا يخرج عن مفهوم الأدب الذي رسمه لهم أرسطو في كتابه « فن الشعر » ، لذلك نجده قد استحال الى نوع من انواع التمرين يثبت فيها الأديب قدرته على المهارة في العبارة ، بعيداً كل البعد عن العواطف والمشاعر (١) غير أن كولرج Coleridge ووردز ورث Wordsworth ثارا على هذا التقليد في الديوان المشترك الذي نشره باسم « القصائد الغنائية » (٢) Lyrical Ballads ، فكانت هذه الثورة مولد « الشعر

(١) لاحظ دائرة المعارف البريطانية ، الطبعة الرابعة عشرة ، المجلد الخامس ص ٧٧ .

(٢) مؤلفات وردز ورث جمع توماس هاجنس . اوكسفورد ١٩٥٠ ص ٧٣٤ .

الابتداعي» (١) Romanticism ، وثورة على التقاليد الأدبية القديمة ،
لتحرير الشعر من سيطرة التقليد الثقيل الذي أرهاق كاهل الأدباء وأفكارهم
ونفسياتهم ، فكان من جراء ذلك ظهور حركات تحررية أخذت وجهات نظر
متعددة، كالواقعية Raelism ، والمثالية (٢) Idealism والرمزية Symbolism
والوجودية Existentialism وغير ذلك من المذاهب التي كان أهم باعث لها
التخلص من التقليد ، وترك النفس تعبر عن رغباتها حسب ما تشتهي وما تريد .
وكما ظهرت ثورات في الآداب الأوربية ، حفل تأريخ الأدب العربي بكثير منها
فاذا اشتهر في الأدب الأوربي شاتو بريان ، واندرية شنيه ، ولامرتين ، وكيثس
وبايرون ، وسارتر ، والبير كامو ، ففي الأدب العربي عناصر في مختلف عصوره
كأبي نؤاس ، وبشار بن برد ، وابن الرومي ، والبارودي ، ومطران ، وشوقي ،
وحافظ ، والرصافي . ويختلف أثر كل ثورة باختلاف مفاهيم الشعوب وباختلاف
الحياة التي تحياها ، ومقدار رقيها وحضارتها . فقد تركت الآداب الأوربية تقليد
الأدب اليوناني الروماني ، عندما تغيرت طبيعة الحياة التي كانت تحياها تلك
الشعوب . فعندما انتقلت من حياة الزراعة الساذجة البسيطة الى حياة الصناعة
المعقدة المتنوعة المطالب ، بدأ الأوربي يحس بأن الادب لم يعد يلائم حياته الجديدة
وما فيها من تعقيد ، وما استجد فيها من مطالب ، وعندما وجد الفرنسيون
أنفسهم قد خسروا حروب نابليون ، فقدوا المجد الحربي الذي كانوا يتباهون به،

(١) دائرة معارف جامبرز لندن ١٩٥٠ .

(٢) مقالات مختارة من الادب الانكليزي الحديث . لندن ١٩٣٩ لياتن كير ،

لاحظ الروماتيكية ص ١٥١ .

انتقلوا الى حياة اخرى ، والى مطالب من الحياة جديدة ، لانهم احتاجوا الى العزاء والسوى مما اصابهم ، فثاروا على ما كانوا يعيشون عليه من أدب ، وانصرفوا الى أدب جديد يدخل العزاء الى قلوبهم .

ولما انتشرت العلوم وحلت التجربة محل الخيال تفتحت أمام الادباء آفاق جديدة لم يكونوا يتصورونها من قبل ، وقد كانت حلماً من أحلامهم ، فلهزات العلمية والانتصارات السياسية ، ومشكلات الحياة الجديدة ، دعت الاوربي الى أن يثور على أدبه وأن يجدد فيه تجديداً يلائم الحياة الجديدة ، فالعلم قتل فكرة الاعتقاد بالآلهة المتعددة والوثوق بقدره الشياطين والمردة على السيطرة على الانسان تلك الافكار التي كانت تلائم عقلية المزارع الساكن في كوخه ينتظر أوان الحصاد ، وقد وجه كل أمل الى الطبيعة لترعاه وتزوده بالمطر لانبات زرعه . وسقوط نابليون أثار في نفوس الشباب الفرنسي اللوعة ، وصددهم بواقع الحياة التي لم يكونوا يتوقعونها ، فاضطروا الى الانصراف الى الاحاسيس الخاصة ليعبروا عما اصابهم ، فانطلقوا من عقل القديم ليجدوا العزاء والسلوان في شعرهم ونثرهم .

تجريد الرصافي :

وقد كانت اكثر البلاد العربية في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين تعيش عيشة البداوة والزراعة ، وتسير على وتيرة واحدة ساذجة محدودة المطالب ، لكن هذه الحياة تطورت بعوامل كثيرة أهمها الطلائع المتحررة التي ظهرت في الفكر والعقيدة ، والتفاعل الشعبي بين الاديب وامته ، فلم يعد الادب بأساليبه القديمة ومثله الجامدة يستوعب مطالب الحياة الحديثة .

فثار الاديب على «عرار نجد» و «النقا» و «متعرج اللوى» و «عقارب الصدغ» وغيرها كثير مما كان مألوفاً استعماله في القرن التاسع عشر ، وأعرض عن الوقوف على الديار والطلول لانها ليست مما يراه في حياته الجديدة ، ولا من متطلباتها ، وصار يفتش عن معان جديدة ، باذلاً عناية خاصة في ذلك ، مؤثراً إياها على الالفاظ وموسيقاها .

وكان الرصافي من أوائل الطليعة الواعية المتحررة التي تفاعلت مع الآراء الجديدة ، فترك قديم الالفاظ وعني بالمعنى وبالفكرة وبالرأي ، تاركاً وراءه الاحتذاء بقصائد القدامى من الشعراء ومعرضاً عن معارضتها ، غير مكترث بالقواعد والاساليب البالية التي لم تكن تخرج عن اغراض معينة نافذة واصطلاحات محدودة الفناها في القرن التاسع عشر وقبله .

حقاً انه نشأ في المسجد ، وتثقف بالعلوم العقلية والنقلية ولكن جيله اختلف اختلافاً كبيراً بتياراته السياسية وحاجاته الاجتماعية واتجاهاته الفكرية ، فاخذ يتخلص من جامد الشعر الذي لا حياة فيه ، ويتعد عن نهج المدارس القديمة التي التزمت المحسنات اللفظية ، وترك لحسه وشعره وذوقه وفكره وسائل التعبير ، فتدفق ينبوع الادب وخرج من جموده الى الحياة يتلمس منها موضوعاته فلم يعد الشاعر نديماً لوالٍ أو ملك أو وزير ، ليطيب المجالس بالنكات والطرائف والملح ، بل أصبح معبراً عن رغبات شعبه ، مطالباً بالاصلاح وهدم الفساد .

وقد أرادت قوى القديم في عهده الابقاء على نفوذها وسيطرتها ، كما أرادت الكنيسة من قبل في اوربا السيطرة على الادباء وقسرم على اتخاذ اللغة اللاتينية لغة الادب ، ومجارات الآداب اليونانية والرومانية ، غير أن قوى

القديم في عهد الرصافي خابت في مسعاها كما خابت من قبل قوى الكنيسة في اوربا ، لان ركب الحياة ثورة وتجديد وتطور ، ولا قدرة لسلطة على الوقوف بوجه هذا الركب .

وكان من نتيجة الثورة على سلطة الكنيسة في اوربا أن دخلت روح جديدة متطورة على الاساليب الادبية ، روح تلائم الحياة الصناعية الجديدة التي ظهرت في اوربا ، وكان من أهم دعائمها التجربة والمشاهدة ، فوجت الادب الغربي جهة العلم ، فكتب هنري ابسن H. Ibsen النرويجي رواية أظهر فيها أثر الوراثة الفعال في الاولاد ، فطبق علم الحيوان فيما كتب ، والحياة الصناعية الجديدة هي التي دعت ماركس وانكلز ووبرناردشو الى الكتابة في الاشتراكية ، ولم يقف هذا التجديد في الغرب ، بل انساب الى الشرق فوجد فيه تربة خصبة كان من بوادرها الثورة على استبداد السلطان في حكمه ، والثورة على كل قديم لا منفعة من ورائه وقد وقف الشعراء من الثورة على استبداد السلطان عبداً الحميد مواقف مختلفة ، تتدرج من موقف الهدوء والسكون الى موقف القوة والعناد ، على أن الثورة على القديم والرغبة في الجديد كانتا شعراً اتخذته كل الشعراء ، وخاصة بعد اعلان الدستور العثماني سنة ١٩٠٨ .

وأول عنصر من عناصر التجديد في العمل الشعري كانت تمثل التجربة الذاتية ، فقد سيطر الشاعر على تجربته سيطرة ناجحة ، فعبّر عما يختلج في نفسه ، فظهرت التجربة التي يعيش فيها الشاعر فلام بينها وبين بيئته . وقد كانت تجارب الرصافي من التجارب الناجحة في كثير من شعره الذي نظمها ، على ما في بعض شعره من مسحة القديم ، فوجدته مثلاً في قصائده

« الساعة » و « سفر في اوتومبيل » و « التلغراف » و « في القطار » شاعرًا ناجحًا ، على رجة بعض الكلمات التي هي من مصطلح العلم الحديث ، فقد غطى عليها بأسلوبه وبراعة وصفه ورسم تجربته في أكثر الموضوعات رسماً واضحاً جميلاً وثاني عنصر من عناصر التجديد في العمل الشعري ظهر في السبك العام للقصيدة ، وملاءمة الموضوع لها ، ويحوي عنصر السبك وحدة الموضوع وجمال الموسيقى والصياغة السليمة ، وقد أفلح الرصافي في هذا العنصر في كثير من قصائد ديوانه ، قال من قصيدة يصف الساعة :

وخرساء لم ينطق بجرف لسانها	سوى صوت عرق نابض بحشاشها
حكّت لهجة التمام لفظاً ولم تكن	لثُفصيح إلا بالزمان لغاشها
جرت حر كات الدهر في ضرباتها	وباتت مواقيت الورى بعاشها
على وجهها مُخطت علامٌ تهتدي	بها الناس في اوقاتها لمناشها
تدور عليها عقربٌ دور حائر	بتيهام غمّت في الظلام صواها (١)

ومن قصيدته « في القطار » ، بعد أن وصف القطار وصفاً جميلاً ، قال :

تعاليت يا عصر البخار مفضلاً	على كل عصر قد قضى أهله نخبياً
فكم ظهرت للعالم فيك معاجز	بها آمن السيف الذي كذب الكتبياً
متى يُنشيء الشرق الذي اغبره أفقه	سحابة علم تُمطر الشرف العذباً
فإن دبور الذل ألوت بعزه	وكادت سموم الجهل تحرقه جدباً (٢)

وقال يصف السيارة « التومبيل » :

(١) الديوان ص ٢٣٧ .

(٢) الديوان ص ٢٠٧ و ٢٠٨ .

وفدْفِدِ قَاتِمِ الْأَعْمَاقِ مُتَسَعِمِ
 (بتوميل) جرى في الأرض منسرحاً
 طويت أجوازه طي المكاتب
 كما جرى الماء من سفح الهاضيب
 ينساب مثل انسياب الأيم تحمله
 عوامل عجالات من دواليب
 كأنها وهي بالمطاط مُنَعَلَةٌ
 تمشي بأخفاف أنواق مطارب
 يمر كالريح لم تسمع لأرجله
 سوى حفيف كنفخ في الانابيب (١)

وكان الرصافي شاعراً نائراً مجدداً ، مهد لثورة شعرية رائعة نرى آثارها في شعر الذين لازموا وتلمذوا عليه . أراد أن يهدم القديم بكل ما أوتي من قوة ولكنه لم يتوصل الى ما توصل اليه غيره من الثائرين ، لأنه لم يكن له مذهب واضح في البناء ، وقد ثار على قسم من التقاليد ولكنه بقي محافظاً على قسم من الأصول القديمة ، ثم جاء من بعده شعراء شطوا واشتطوا في فهم التجديد إذ لم توضع للدب العربي في العراق الأسس التي وضعت في أوروبا سواء للعمل الشعري أم الموضوعات ، وكان الأدباء في أوروبا وضعوا خطة واضحة المعالم في الإصلاح الاجتماعي في العمل الشعري وفي الأسس العامة للشعر ، واتخذ ايسون طريقة علمية في تأليفه ، وسار كارل ماركس على نظام واضح ، ولم يكن هذا الأمر مقصوراً على الأوربيين ، فقد كان للعقاد والمازني وشكري في مصر مذهب في التجديد رسموه لانفسهم وأرادوا أن يسير عليه الشعراء ، وقد هاجموا على أساسه شوقي في « الديوان » .

أما الرصافي فبذر بذرة كبيرة في الثورة على الأدب التقليدي من غير أنها لم تكن واضحة المعالم في ذهنه ، ويمكننا مع ذلك أن نستخلص من تجديده شيئين

(١) الديوان ص ٢١٣ .

مهمين الاول انه نقل الشعر من قصور الولاة والسلاطين وابرارهم العاجية الى دنيا الشعب ومشكلاته وقضاياها العامة ، وكان ذلك مدعاة نظمه لشعره الاجتماعي والثاني انه تحول من اللفظ الى المعنى ، والتحول من اللفظ الى المعنى انما هو ثورة الشعر العراقي الحديث ، وهي نقطة تحول قلبت مفهوم الشعر القديم .

وقد يظن ان الرصافي لم يأت بمعان جديدة بل طرق فنونا جديدة في القول وهذا بذاته عمل جدد فيه بمعان جديدة ، ففي الدعوة الى تحرير المرأة والى سفورها معان جديدة لم تكن مألوفة في القرن التاسع عشر قال في « حرية الزواج عندنا » :

واذا الزواج جرى بغير تعارف	وتحجب فالحسير أن تترهبا
هو عندنا رمي الشباك بلجّة	أصيب أخت أم تصادف أطيبا
أو مثل محتطب بليل دامس	أيدوس أفعى أم يلامس عقربا
تركوا النساء بحالة يرثى لها	وقضوا عليها بالحجاب تعصبا
قل للألى ضربوا الحجاب على النساء	أفتعلمون بما جرى تحت العبا
شرف المليحة أن تكون أدبية	وحجابها في الناس أن تهذبها (١)

وفي دعوته الى الدستور ووصفه المتحرعات الحديثة ، معان جديدة لم تكن مألوفة في القرن التاسع عشر ؟ على أن اكثره من ذلك أداه احيانا الى الحشو والابتدال وأحيانا الى السقيم من القول .

ومن الشعراء الذين جددوا وحافظوا على وقار التركيب ورصانة الاسلوب الرصافي والشبيبي وعلي الشرقي والجواهري وغيرهم ، غير أن الزهاوي أسف في تجديده .

وقد كان الرصافي يستقي ثورته على القديم من مصدرين ، المصدر الداخلي

(١) ديوان الرصافي ٣٤٧ .

هو التطور الذي طرأ على المجتمع العربي ، والشعور بحاجاته الجديدة من حرية وإخاء ومساواة وإصلاح اجتماعي شامل .

والمصدر الخارجي وهو الفلسفات الجديدة التي وصلت من الغرب من اشتراكية وديمقراطية ، فقد كان الرصافي يقرأ الآراء الجديدة في العلم والمعرفة في المقتطف والهلل والمقتبس وغيرها من مجلات بلاد العرب التي كانت تنشر آراء دارون وبركسون وديكارت وكارل ماركس مترجمة ، فازدادت ثقافة الشاعر وتوسع أفق خياله ، ولكنه لم يقدر أن يكون له فلسفة خاصة أو رأياً يمكن أن يفرد به عن سواه من المفكرين ، إذ لم تكن قد وصلت الفلسفة الى فهم عميق يتأثر بها لا شعورياً . فهو الى جانب ما كان يحمل من ثقافة دينية وعربية أصيلة اختلطت في ذهنه أجزاء من هذه الثقافات الجديدة .

وقد كان للرصافي استعداد للتجديد والثورة ، وكان فيه ذكاء دعاه الى المقاتلة بين حال الشعب السيئة وما طرأ على ذهنه من آراء جديدة ، فثار لهدم هذا البناء القديم الذي وقف بوجه رغبات امته وشعبه ، وقد قرأ فيما قرأ الاشتراكية وما فيها من منافع جليلة للشعب ، ورأى الشعوب تحكم ولها كلمة نافذة ثم وجد السلطان يتحكم هو واسرته في رقاب الناس ويعيشون على كد الشعب وكده من غير أن يقدموا له أي عمل مشر ، فنظم قصيدته « آل السلطنة » التي يقول فيها :

تركوا السعي والتكسب في الدن يا وعاشوا على الرعيـة عاله
يتجلى النعيم فيهم فتبكي أعين السعي من نعيم البطاله
يا كلون اللباب من كد قوم أعوزتهم سخينة من نخاله (١)

(١) ديوان الرصافي الطبعة الخامسة سنة ١٩٥٦ ص ٤١٠ .

لأنه ما كان يرضى أن ينعم هؤلاء في خيرات الشعوب ويعيشوا في بجموحة
من النعيم على حين يعيش غالبية الشعب في جوع وآلام وحرمان قال :

تلك والله حالة يقشعر الـ حقّ منها وتشمئز العدالة
هي منهم دناءة وشنار وهي مناسحاق وضلالة
ليس هذا في مذهب الاشتراكية إلا من الامور المحالـ
وهو في الملة الحنيفية اليبـ ضاء كفر برنا ذي الجلاله (١)

ويرى الرصافي ان الحياة الاجتماعية يجب أن تقوم على التعاون ورعاية
المعوزين من مختلف طبقات الشعب ، ويتمنى لو كانت الأموال مشاعة بين الجميع
ويرى ان خلاف ذلك يؤدي الى الشقاء :

وما مدنية الأقوام إلا تعاونهم على عُغر المساعي
ولم يصلح فساد الناس إلا بمال من مكاسبهم مشاع
تشاد به الملاجيء لليتامى وتمتار المطاعم للجماع
وتبنى للعلوم به مبان تفيض العلم مؤتلق الشعاع
وإلا فالشقاء لهم حليف وما حمل الشقاء بمستطاع (٢)

وقد كانت دعوته الى الاشتراكية ملازمة للدعوة الى التمسك بتعاليم الدين
الاسلامي لأن المجتمع الذي ولدونشأ فيه الذي كان مجتمعاً دينياً ، فلما دعا الى إصلاح
اجتماعي أو سياسي كانت الآراء الاسلامية البحتة تظهر في شعره ، واسكنه
اخذها بطريقة خاصة وخطها بالآراء الجديدة .

[١] ديوان الرصافي ، ص ٤١١ .

[٢] الديوان ص ٨٣ .

وهذا ما دعا بعض رجال الدين الى اتهمه بالمروق والكفر في أواخر أيامه لأن الرصافي ينظر الى الدين من موضع يختلف عن الموضع الذي ينظر منه رجال الدين .

وكان الرصافي شاعراً مصلحاً نائراً على تقاليد المجتمع البالية ، فكان صدى صادقاً لرغبات المجتمع ، انتقد الحياة التي يحياها الشعب ، سواء من الرجال أم النساء ، وثار على أسلوب هذه الحياة ، فنظم « أم اليتيم » و « دار الايتام » و « اليتيم في العيد » و « المطلقة » و « الفقر والسقام » و « المدارس ونهجها » و « في المدرسة » و « الفنون الجميلة » و « في المعهد العلمي » و « المرأة في الشرق » و « نساؤنا » و « حرية الزواج عندنا » .

أما ثورة الرصافي على اللفظ وعنايته بالمعنى ، فلها سبب يخص حياة الرصافي وتطورها ، فانه نشأ في بغداد وسافر الى الأستانة ولم تكن بغداد حينئذ إلا بلدة ضائعة بين بلدان وأقطار الامبراطورية العثمانية الواسعة ، وكانت آراؤه الأولى كأنها آراء البدوي الساذج والفلاح المحدود الأماني والغايات .

وفي الاستانة أصبح عضواً في جمعية « الاتحاد والترقي » ، وكانت مبادئ هذه الجمعية متأثرة تأثيراً كبيراً بالآراء الاوربية ، ولا سيما الثورة الفرنسية ، وكان شعار الجمعية « العدالة والمساواة والحرية » .

فامتلاّت أسماع الامبراطورية من ترديد هذا الشعار ، وأخذ يُقرأ في الأناشيد ويكرر في الشعر والاغاني ، ولما وصل الرصافي الى الاستانة وأراد أن يلائم نفسه مع هذه الآراء الجديدة وحياة العاصمة الكبرى ، وجد بضاعة البدوي أو الفلاح التي يحملها لا تقدر على مسايرة حياة المدنية الزاخرة وما فيها

من حضارة وترف ، وما في جنباتها من تبذل وثورة ، ولعل خير ما يعبر
عن هذا الاضطراب النفسي قوله :

وفي النفس ما أعيا العبارة كشفه
ومن خاطرات النفس ما لم يقم به
ويارب فكر جال في صدر ناطق
ويارب معنى دق حتى تجاوزت
أرى اللفظ معدوداً فكيف أسومه
وأفق المعاني في التصور واسع
ولولا قصور في اللغة عن مراننا
لما كان في قول المجاز لنا عذر (١)

وقد أراد الرصافي ، وهو شاب حينئذ ، أن يعبر عن آرائه وعن تجاربه
الجديدة في هذه الحياة ، فلم يسعفه أسلوب التقليد القديم الذي نشأ عليه ، والذي
كان يحفل باللفظ دون المعنى ، فقد احتاج الرصافي الى معان جديدة ليعبر عن
أشياء جديدة رآها ، ولا يهمننا أكانت الأستانة أو بغداد الجأته الى العناية
بالمعنى أكثر من عنايته باللفظ ، ولكن المهم ان الرصافي ضاق ذرعاً بالقديم
الذي لم يمكنه من التعبير عن أحاسيسه ، فقد قال :

لست بالشاعر الذي يرسل اللف
أنا لا أبتغي من اللفظ إلا
إنما غاتي من الشعر معنى
ظ جزافاً لكي يصيب جناسه
ما جرى في سهولة وسلاسه
واضح يأمن اللبيب التباسه (٢)

[١] الديوان ص ١٨٤ .

[٢] الديوان ص ٣١٣ .

وديوان والرصافي انتقال كبير من القرن التاسع عشر إلى القرن العشرين
ومع صعوبة وضع حدود فاصلة للتيارات الأدبية لآداب الأمم ، نقدر أن نقول
إن شعر الرصافي كان حداً فاصلاً بين القديم والجديد في الشعر العراقي الحديث.
وكما أعدّ نظم « القصائد الغنائية Lyrical Ballads » حداً فاصلاً بين
الرومانتيكية والكلاسيكية ، ففي ديوان الرصافي تحديد ثورة واضحة المعالم على
الأسلوب القديم وإيمان وثقة بالتجديد والثورة على القديم . وقد قال :

سقيتهن المعالي فارتوين بهسا	وكن فيها مكان الماء في الثمر
كم تشرب لها الأسماع مصفية	إذا تنوشدن بين البدو والحضر
طابقت لفظي بالمعنى فطابقه	خلواً من الحشو مملوءاً من العبر
أني لا تنزع المعنى الصحيح على	عري فاكسوه لفظاً قد من درر
واجرد الشعر ما يكسوه قائله	بوشي ذا العصر لا الخالي من العصر
لا يحس الشعر إلا وهو مبتكر	وأني حس لشعر غير مبتكر (١)

ورغبته في التجديد والثورة ، تلح عليه وهو لذلك يكرر التعبير عنها . قال :

لقد فاز من باري جديد به جدّه	وخاب الذي في جده لم يباريه
وليست حياة الناس إلا تجدداً	مع الدهر في إيباسه واخضراره
وما الناس إلا الماء يحيه جريه	ويرديه مكث دائم في قراره (٢)

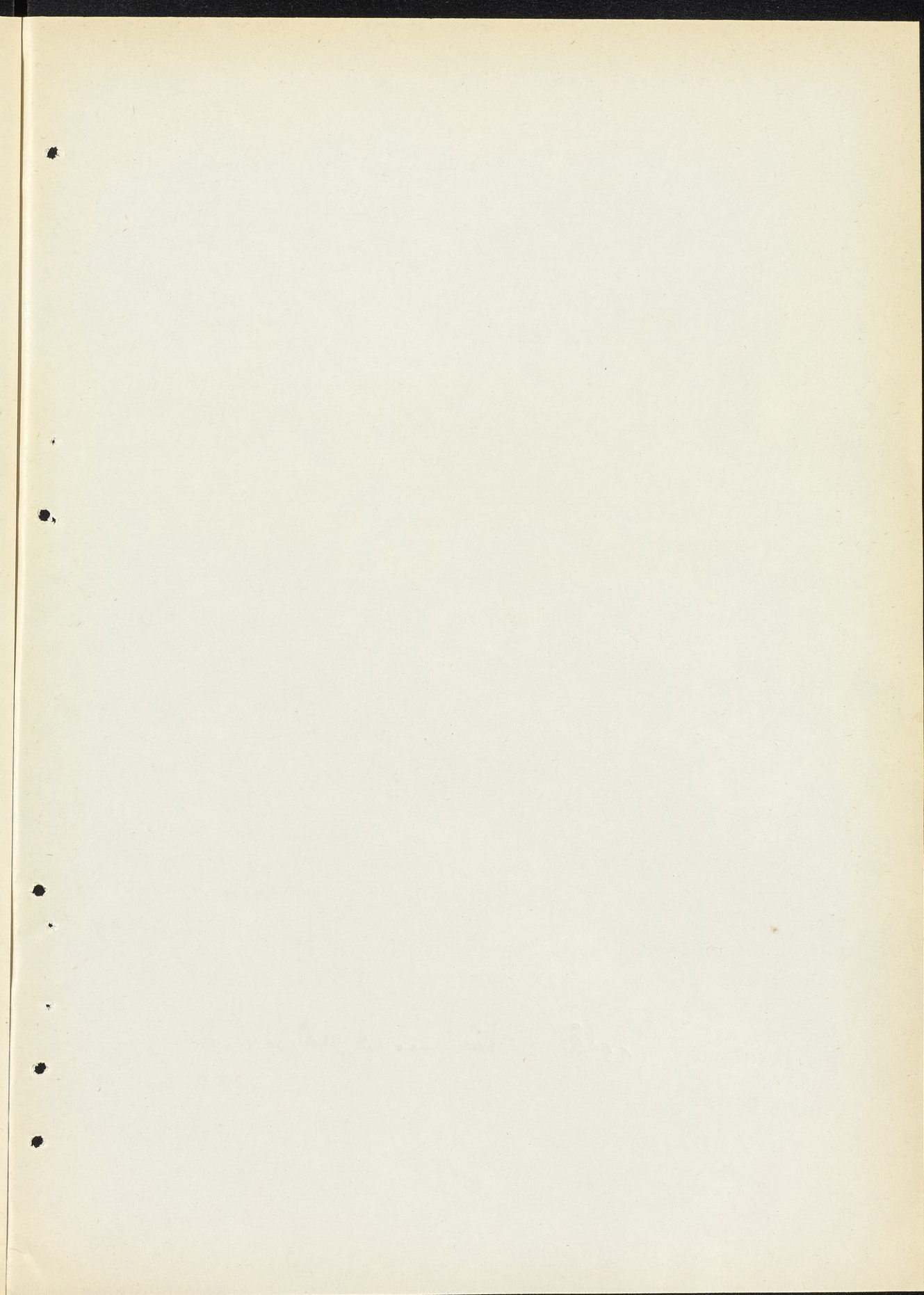
ولما عبر عن رغبته هذه فيما نظم من آراء اجتماعية وفكرية اتهم بالمروق
من الدين وبالفكر والزندقه ، وقطع عنه مورد رزقه ، ولكنه استمر في
آرائه بلا خوف أو تردد .

وقد أوتي الرصافي ما يحتاج إليه المجدد المصلح القومي ، فقد كان

له قدر كبير من الذكاء ، واستيعاب لما كان يقرأ ، وكانت ثقافته معه
في ذهنه ، اينما حل وأرتحل .

ولذلك لم ير أحد له مكتبة عند وفاته ، ولا اظنه حوى مكتبة ما طوال
حياته ، لانه كان يعتمد على ذاكرته في علمه الذي وعاه . وهو دليل ذكاء
خارق ، وذهن متقد استوعب كثيراً من المعاني والالفاظ واستعملها طوال
حياته في شعره .

الزهاوي ... الشاعر القلوب



١ - عصر الزهاوي :

عاش الزهاوي في عصرٍ قلقٍ مضطربٍ اهتزت مثله وتقاليده وعاش بين قرنين مختلفين ، القرن التاسع عشر الحامد المتحجر ، والقرن العشرين المضطرم المضطرب المتوثب فقد شاهد الهدوء والثورة وتأثرت نفسه المرفهة الشاعرة بالنقلة الجديدة .

عاش الزهاوي في العصر التقليدي الموروث ، وما فيه من ركود وهمود ، ورأى عصر الدستور العثماني وما صاحبه من ضجة حين اعلانه وفرحة عند نشره وأحس بالخيبة التي اعتورت الناس عندما استأثرت جمعية الاتحاد والترقي بالحكم وبالخيرات ، دون أن يكون لشعوب الانبراطورية العثمانية أي نصيب . ثم كانت النتيجة تقسيم الامبراطورية العثمانية ودخول الحلفاء بلاده ، وما جر هذا الاحتلال على البلاد من ويلات وثورات جرت الى تأسيس دول وامارات ، وكان العراق أحد هذه الدول . ولم يرض العراق بالاستعمار فثار ثورته سنة ١٩٢٠ وكان من جرائها دخول الملك فيصل العراق وسلسلة من المعاهدات كان يفرضها الحاكمون ويرفضها الوطنيون .

انه عصر حافل بالاحداث السياسية . .

وقد صاحبت هذه الاحداث ، أحداثاً فكرية واجتماعية هزت المجتمع ،

وفتحت الاذهان على مثل جديدة ، واكتشافات حديثة ، وآراء غريبة عن المجتمع ، فقد أخذ المثقفون يتحدثون عن نظرية النسوة والارتقاء ، وعن دارون وعن الديمقراطية ، والاشتراكية ، والفاشستية ، وغير ذلك من التعابير الجديدة والمفاهيم الغريبة .. وسمع الناس صيحات تطالب باطلاق حرية المرأة ، ومساواتها مع الرجل وكان من جراء الحرب الاولى مطالبة الشعوب الضعيفة بالحرية والاستقلال وتقرير حق المصير ، ونشر مباديء ولسن المعروفة (١) .

انه عصر طافح بكل جديد وموار بكل حديث وحديث ..

وقد كان لهذه الآراء ، وهذه الاحداث صداها في النفوس وفي التفكير فأخذ بعض المفكرين في مؤازرتها ونشرها بين الناس ، ونشطت بعض الآراء لمقاومة هذه التيارات الجديدة ولم يكن النشاط أو المقاومة وفقاً على امة من الامم أو على جانب من الكرة الأرضية ، فقد تغنى العرب بالحرية وتغنى بها أحرار الاتراك مثل نامق كمال وكان القصد ايقاظ الامم من سباتها الذي طال أمده واذا نادى قاسم أمين بتحرير المرأة في مصر فقد كان صدى هذه الدعوة يتردد في جنبات العراق ، وحدث فيه ما حدث في مصر من تأييد للفكرة ومعارضة قوية لها (٢) .

وقد شهدت الدنيا حركات عنيفة وثورات سياسية واجتماعية ، واجتاح التيار القومي أكثر بقاع العالم ، وكان من أثر هذا التيار ابتعاد العرب عن الدعوة

(١) « الشعر العراقي الحديث » . . فيه تفصيل واف طبع في بغداد ١٩٦٠ ، وطبع

في القاهرة ١٩٦٥ .

(٢) المصدر نفسه ص ٢٥٠ وما بعدها .

الى الجامعة الاسلامية ، ونشاط انصار الجامعة الاسلامية لتأييد دعوتهم والذب عنها بالخطب تارة وبالكتب مرة اخرى (١) وبالدعوة الى احياء مجد القرآن الكريم والسير تحت راية الدولة المسلمة التي أخذت تهاجم من الكفار وأعداء الدولة الكافرين .

وفي هذا العصر تظهر الدعوة القومية العربية قوة عارمة يصحبها دعوة الى انشاء انبراطورية عربية تضم شمل العرب في أقطارهم المختلفة ، فتداعب أحلام العرب وتبسم آمالهم وأمانيتهم لاستعادة الامجاد العربية القديمة ، فبعثت هذه الدعوة القوة في النفوس والعزيمة في مناهضة الاجنبي مستمدة من التاريخ العربي والاسلامي روح الكفاح والجهاد ، خاصة وأن الدستور العثماني قد أعلن على أسس الحرية والعدالة والمساواة بين شعوب الانبراطورية العثمانية فيتألف حزب جديد من أعضاء مجلس الامة (المبعوثان) العرب باسم الحزب العربي (٢) لرعاية حقوق العرب في البلاد العربية وغير البلاد العربية .

وفي مثل هذا العصر تظهر روح المجازفة في روح أبنائه ، وتظهر الرغبات الكامنة في النفوس فيسير بعضهم في ركاب الحركة الجديدة ، ويعتري آخريين اليأس والخيبة لانهم لم يفوزوا بأمانيتهم . وفي مثل هذا العصر تهيمن الفوضى الفكرية ويظهر القلق الروحي والاضطراب النفسى بين الأفراد ، لأنهم يرون مثلهم التي عاشوا عليها قد انهارت أمام أعينهم .

(١) أصدر حبيب العبيدي « حبل الاعتصام في وجوب الخلافة في الاسلام » بيروت

١٩٦٠ و. ج. ص ١٠٢ .

(٢) تراجع جريدة المفيد وجريدة صدى بابل ففيها تفصيل عن الحزب العربي .

وقد كان أثر هذا القلق ظاهراً على شعراء العرب فانعكس في شعرهم (١) .

٢ - الزهاوي والعصر العثماني :

وقد كان موقف الزهاوي واضحاً فقد آزر السلطان عبد الحميد ومدحه والف كتاب (الفجر الصادق) يدعو الناس فيه الى الجامعة الاسلامية لأن الفسكرة الاسلامية كانت مسيطرة بسيطرة الدولة العثمانية ، ودعا الناس للسير تحت راية العثمانيين واعتبر من لا يسير تحت هذه الراية ملحداً أو كافراً وباغياً وهاجم الحركة الوهابية واعتبرها حركة الفرقة الهالكة لأنها شقت عصا الطاعة على الدولة العلية وأوجب تدمير هذه الفرقة التي نقضت بيعة السلطان وخرجت على طاعته . ودعا صراحة الى أن شروط الخلافة ليست ضرورية ولم يكتثر بالشروط التي وضعها المسلمون للخليفة من العلم والفضل والخلق (٢) لأنه كان يريد ارضاء السلطان ويخشى شره ويتقي أذاه (٣) ولكن هذا الخوف أخرجه

(١) تراجع « الشعر العراقي الحديث » للكاتب ص ٣٢ الى آخر الفصل والفصل الثاني بصدد الأمانة .

(٢) الفجر الصادق ص ١ تراجع المقدمة طبع القاهرة ١٩٠٥ والشعر العراقي الحديث ص ٢٥ وما بعدها .

(٣) في نسخة السيد هبة الدين الشهرستاني حاشية كتبها السيد هي « وقد اعتذر لدي مما صدر منه في صدر هذا الكتاب بأنه آلفه مخافة استبداد عبد الحميد واضطهاده له » والتوقيع في ٢٤ شوال ١٣٣٤ بغداد وعنوان الكتاب « الفجر الصادق في الرد على منكري التوسل والكرامات والخوارق » وكتب فيه « تأليف علامة العراق ونابعته بالاجماع والاتفاق من هو لكل فضل حاوي حضرة جميل افندي صدق الزهاوي » وقد قرضه « ذو الادب الوافي معروف افندي الرصافي » بقوله :

هذا كتاب فيه يتضح الهدى
علمنا قسطع للعقول حقائق
ياظلمة الشبهات والكذب انجلى
فلقد بدا للحق فجر صادق

عن مثله العليا اذ خلق من السلطان عبد الحميد انساناً شبيهاً بالاله ، فجعل جميع
نصفاته فوق الشك وسياسته المثل الاعلى التي يجب أن تحتدى وبعزمه وحده
يحفظ الاسلام ، وبقوته ينشر الاسلام . فقال في افتتاح (فصل يلذ) :

سلام البرايا في كلاءة احمد بيلذ لا يغفو ولا يتغيب

وان امير المؤمنين لو ابل من الغيث منهل على الخلق صيب (١)
وقد افتتح فصل (الخليفة الاعظم ايده الله) بقوله :

سياسة مولانا الخليفة مخدم يفل به الامر العسير ويحسم

لقد سعدت ، أمنا بلاد وسيعه بعدل أمير المؤمنين تنظم

لقد دام محفوظ الجنب ما أثر اضاءت على الآفاق منهن انجم

وقد بعث الله الخليفة رحمة الى الناس ان الله للناس يرحم

ففي عهده قد أصبح الملك عامراً به الأمن يزهو والاماني تبسم

هو الملك السبر الرؤوف بأمة أنار هداها والامام المعظم

اقام به الاديان اركان دينه فليست على رعم العدى تنهدم (٢)

وقد كان شعراء هذا العصر وما قبله يعتبرون الخليفة العثماني رمزاً للوحدة

الاسلامية وكانوا يشيدون باخلاقه وفضائله ويرفعون ذكره وجعلوه ظل الله في

ارضه فهو الذي يحمي بيضة الدين ويدافع عن المسلمين ويقا تل المشركين

والكافرين (٣) وكان الزهاوي احد هؤلاء الشعراء وسار على ما تقتضيه امور السلطنة

(١) الفجر الصادق ص ٣ .

(٢) المصدر نفسه ص ١٠ .

(٣) بلا حظ (الشعر العراقي في القرن التاسع عشر) للكاتب فصل في مدح السلطان

يصدد التفصيل .

٣ - احتلال العراق :

وتتوالى الأحداث على العالم العربي ويحتل العراق ، وتظهر دعوات جديدة فيه من أجل نظام الحكم المقبل في ظل الاحتلال ، فقد قامت جماعة تنادي ببقاء الإنكليز في العراق وقامت جماعة أخرى تدعو الى الجمهورية ونادت جماعة أخرى بالملكية واختلفوا فيمن يحكم البلاد هل النقيب أم الشيخ خزعل أم أغاخان ورشح آخرون أحد أبناء الحسين وقد كان مصير البلاد واقعاً بين حفنة من الناس لا تهمها غير مصالحها تتنازع بعيدة عن الشعب وعن غاياته وأهدافه ولا يعرف الشعب عامة بما يحدث وما تتقاذفه من التيارات .

وفي هذا الخضم الزاخر بالأحداث تطالعنا جريدة العرب التي كان يصدرها الاحتلال بقصيدة بتوقيع (شاعر عربي) يقول فيها الشاعر المتخفي :

احب الانكليز واصطفئهم لمرضى الاخاء من الانام
جلوا في الملك ظلمة كل ظلم بعدل ضاء كالبدر التمام (١)
ويهاجم الاتراك مهاجمة عنيفة ويذكر ما سبهم وكيف انهم سلبوا حقوق العرب ويندفع بحماسة وحرارة ويقول :

تبصر ايها العربي واترك ولاء الترك من قوم لثام
ووال الانكليز رجال عدل وصدق في الفعال وفي الكلام
وانت تسومك الاتراك خسفاً وتسلب من حقوقك باهتضام (١)

ولما بحثنا عن قائلها وجدنا الزهاوي فقد نشرها في ديوانه الكلم المنظوم

(١) جريدة العرب سنة ١٩١٨ والكلم المنظوم ص ١٤ طبع ١٩٠٩ .

سنة ١٩٠٩ ولم تكن نلومه لو لم يعد سببها ونشرها سنة ١٩١٨ (١) ويعجب القاريء كيف وقف من الاتراك هذا الموقف وانقلب عليهم .

لا شك ان القلق النفسي الذي استحوذ على الشاعر هو الذي دفعه الى هذا التناقض دفعاً . فقد كان الزهاوي مكرماً و كان عزيزاً وكانت له منزلة سامية رسمية ، زمن الدولة العثمانية وعندما دخل الانكليز العراق خشي أن يفقد مكانته وخشي اذى السلطة الجديدة الحاكمة وقد هدد فعلا بالاعتقال باعتباره من رجال الدولة العثمانية المرموقين وبالنفي الى الهند لكنه أثبت انه كان مراسلا للجريدة (المقطم) الموالية للانكليز فعني عنه . ولكنه لم يصل الى ما وصل اليه في العهد العثماني وانما اهل شأنه ، وبذلك كُتبت في نفسه غريزة التقدم والظهور في المجتمع الجديد ، وفقد غريزة التأكيد على النفس .

كان رد الفعل في نفسه عميقاً ، وكانت تدور فيها معركة حامية الوطيس ، بين موالة السلطة الجديدة وبين التأكيد على الذات ، فغلبته الغريزة لأن جنورها كانت عميقة في نفسه وتطمئن رغباته . . لم لا يحصل على مراكز اجتماعي اعلى من المركز الذي حصل عليه في الدولة العثمانية ؟ فقد كان نائباً عن بغداد ونائباً عن المنتفق (٢) ، ولم تكن في العراق مناصب مرموقة تتمشى وغروره غير الوزارة . فلم لا يكون وزيراً في وزارة النقيب الاولى ، وقد أصبح فيها وزيراً من لا يساويه في العلم والشهرة والمقام الاجتماعي ؟ ! ان عدم حصوله الى ما تطمح اليه نفسه كان إهمالا لقدره وطعناً في ذاته ، وتجاهلاً لمكانته ، فظن الزهاوي

(١) الادب العصري ج ١ .

(٢) المنتفق لواء من ألوية العراق الجنوبية ويسمى الآن لواء الناصرية .

بأنه أصبح كماً مهملًا وأنه سيفقد احترام الناس وتقديرهم له . والانسان حريص على تقدير المجتمع واحترامه ، وعدم حصوله على المنصب الرسمي معناه اندحار واحتقار له ، فتسرب القلق الى نفسه والخوف الى قلبه .

كانت معركة نفسية انتصرت الغريزة فيها ودفعته الى مدح الانكليز ونسيان كل ايام الأتراك ومناصبهم في البرلمان أو في تحرير جريدة الزوراء الرسمية أو في حصوله على الوسام المجيدي (١) .

كان الزهاوي رحمه الله يتدفق حيوية ونشاطاً وكان شاباً متوثباً رياضياً يفنصب اعجاب الاقران ويتفوق عليهم (٢) فقد ألفت نفسه التقدم صغيراً لنشاطه وذكائه ، وحاطت به هالة من التقدير والاحترام لانه كان ابن مقي بغداد وزادت مكلته الرسمية عندما فاز بالنيابة في البرلمان العثماني مرشحاً عن جمعية الاتحاد والترقي وهي السلطة الحاكمة . فالقوة والمركز الرسمي ومركز الاسرة أموراً كدت ذاته حتى انه برز بين اخوانه نواب العراق وتميز عنهم عندما تبنى القضايا العربية وطالب بجعل اللغة العربية لغة رسمية في العراق أسوة بما هو في الشقيقة العربية سورية (٣) فنال التقدير والاحترام وحف النواب العرب وغيرهم به تقديراً واعجاباً .

أراد الزهاوي أن ينال مثل هذه المكانة في هذا العهد بمد أن تفرقت اشلاء

(١) الادب المصري ج ١ .

(٢) رسائل الزهاوي نشرها في مجلة الكاتب المصري .

(٣) نص أقواله في مجلس المبعوثان مترجمة في شخصيات عراقية للاستاذ خيرى العمري

الانبراطورية ودخل العراق في حوزة الانكليز . وقد أراد اثبات ذاته فمهرع الى المحطة مع الناس ووقف خطيباً في استقبال حاكم العراق السير كوكس وأوغر صدره ضد الثورة العراقية (١٩٢٠) وكانت البلاد في أتونها تسعر . كما ساند عبدالرحمن النقيب وحزبه (الحر المعتدل) وانضم اليه كما انضم من قبل الى الاتحاد والترقي آملاً أن يحوز منه ما حاز في الماضي ، غير ان سياسة الحزب لم تمكن على أسس شعبية وما استهدفت مصالح الشعب لأنها كانت تسند عبدالرحمن النقيب الذي استند اليه الانكليز لجعله واجهة يتسترون وراءها في حكم العراق ، مفتنمين كبر سنه وممعة اسرته الدينية ومنزلتها بين الناس ، ولكنهم سرعان ما نبذوه لأنه لم يسر في الخط الذي كانوا يرسومونه له ، ووجدوا من يقوم بخدمتهم وخدمة مصالحهم .

كان الزهاوي يترقب قلقاً واجفأ الحصول على وظيفة وقد رضي عنه الانكليز واعتبروه شاعراً (١) وجاء عبدالمحسن السعدون زميله في مجلس المبعوثان الى الحكم فعينه سنة ١٩٢٥ عضواً في مجلس الاعيان .

تضافرت كل عناصر القلق على الزهاوي تقدم في السن ، وخور في القوى ، وامراض وشلل ، وبدت أعراض المرض تقوى وتشد عليه فلا يكاد يمشي منفرداً خوف الاكباب والسقوط . وخيبته من الملك فيصل عندما هرع بحيه بقصيدته المشهورة :

(١) لاحظ مذكرات « مر بل » المطبوع في لندن سنة ١٩٢٧ الصفحات ٥٦٢ ، و ٥٩٣ و ٦٠٦ فقد جاء في الصفحة ٦٠٦ ما معناه « ثم هض شاعرنا الكبير الذي طالما اخبرتك - جميل الزهاوي ٢ - و ص ٥٦٢ في شأن خطابه في قدوم كوكس .

نا محيوك فاسلم ايها الملك ومصطفوك لعرش زانه الفلك (١)
ويهدي ترجمته لرباعيات الخيام له فيطلق عليه شاعر الملك ، ويخصص له
راتب قدره ستمئة روبية يرتفع الى ثمانئة ، فيرفض الزهاوي ، لانه لا يريد أن
يكون مجرد زينة في البلاط وإنما يريد أن يكون له مقام اجتماعي ومركز رسمي
يشعر بذاته وبكيانه وبقابليته وقال انه لم يرفض استكباراً وإنما الشاعر الاجير
لا يمدح عن شعور (٢) والواقع ان الزهاوي اعتذر ، مع انه بالغ في المديح
وأوغل في الزلفى لانه يريد أن يكون مهموماً ويريد أن يكون في عمل يحترمه
فيه الناس لا أن يكون زينة .

أراد الزهاوي أن يصل ويصل بسرعة فهادن الانكليز وسار مع الحزب
الحر وهاجم الاتراك طمعاً في اثبات ذاته وتأكيداً لشخصيته ، فأضاع الوفاء
الذي حفظه الرصافي للعثمانيين .

٤ - ثورة الزهاوي :

ولما لم يتحقق للزهاوي حلمه رفع راية التمرد لاثبات ذاته ولتأكيد شخصيته
فدعا الى تحرير المرأة بالعنف وبالقوة ودعا الى الفلسفة والى الاخذ بنظرية
دارون وحشر نفسه في أمور كثيرة مثل نظرية الجاذبية ودارون
والكائنات (٢) وغيرها من الامور لكي يثبت انه عبقرى وانه فيلسوف
وانه عالم وانه يأتي بما لم يأت به غيره من الاقران .

(١) المطلع يذكرنا بقول عمير بن شميم التغلبي [القطامي] :

انا محيوك فاسلم ايها الظلل وان بليت وان طالت بك الطيل

(٢) راجع « الكاتب المصري » ص ٤٦٥ العدد ١٥ السنة الرابعة ١٩٤٦ . والمجلد مما

أرى المطبوع عام ١٩٢٤ .

والواقع ان دعوته الى الفلسفة وتحرير المرأة وما طالب به لم يكن إلا إندحاراً
 نفسياً للتأكيد على الذات فقد توهم بأنه مندحر والانسان حريص على أن يكون
 محترماً وأن يكون محفوفاً بالتقدير والفوز لذلك لما توهم بهذا الاندحار توهم بأنه
 أهين وان كرامته قد جرحت لذلك شكاً بكل حرقه ولوعة للاستاذ احمد حسن
 الزيات واستجداه الاحترام عندما قال له (أذيب عمري في شعري والامة تقذفني
 بالبهتان والحكومة تخرجني من مجلس الاعيان ..) فحسب الشعب والحكومة ضده
 فكان صدى هذه الخيبة ثورة في شعره يعترضها الألم فقال :

افتحوا للفتى الهضم الطريفاً فلقد جاء يزبتر حنيقاً
 رافعاً راية التمرد تهفو حاملاً من يراعه منجنيقاً (١)

أرأيت أشد قسوة من هذه الثورة العمياء التي تريد أن تدمر كل المنجنيق دون
 وعي لتطفيء غلة الزهاوي الذي لم يفتح له الطريق والذي منع من اثبات ذاته
 وفرض شخصيته فظن أنه مُنع من التقدم وانه لم يُقدر حق قدره فقال :

ايها الدائسون بالرجل حقي ليس حقي بأن يداس حقيقاً
 قل لأبناء يعرب ان في القبر أباكم يذم هذا العقوقاً
 أخذت آمالي تضيع واخشى اني لا أرى لها تحقيقاً

لم ينل الزهاوي ما يريد فسخط وثار وتألم لأنه رأى غيره يتقدم في
 مناصب الدولة وقد تأخر هو عنها وبذلك لم تشبع رغبته في التقدم واثبات ذاته
 والتي برزت كثيراً في شعره :

وللحق والتاريخ أقول ان الزهاوي كان أحسن بكثير ممن تسنموا وظائف

(١) الاوشال ص ١١٤ .

الدولة المرموقة الثقافية منها وغير الثقافية ولكن اندفاع الزهاوي وتقلبه السريع
وعدم رزائته ، حوائل حالت دون وصوله الى ما يريد ، فقد فت في عضد
الوطنيين خلال الثورة العراقية . ثم راح يرثي الشهداء ثم هاجم الدخيل ومدح
الانراك ثم هاجمهم وهاجم الوهابية ثم مدح الملك السعود الوهابي .

ولما رأى ا-لامه تنهار انكش على نفسه وندب ايامه في ظل الحكم العثماني
مستغفراً لما قدمه قائلاً والحسرة ملاً قلبه :

ان عزي في دولة الانراك انا مما فقدته أنا باكي

كنت بالامس راضياً عن حياتي وانا اليوم من حياتي شاكي (١)

وليظهر قدرته وتبرمه وليثبت ذاته سمي القصائد التي نظمها في الملك

« المطرودات » ولسان حاله يقول :

قد مدحت الذين لم يستحقوا مدائحي

احسبوها على ضرور تهسا من قبائحي

وتطول بالرجل أيام الانتظار فيرثي له اخوانه ويؤمنون له الفوز ولكن

تطول أيام الانتظار فيقول :

يقولون صبراً يا جميل على الذي أصابك من ضيم وأنسى لي الصبر

ولا بد من حرب على من تعصبوا علي فأردى أو ينيء لي النصر

وكل امرء يسعى الى المجد جاهداً ولكن طريق المجد اكثره وعر (٢)

وأراد أن يكسب الرأي العام ويؤكد أهميته فاعلن انه سيهاجر وانه يترك

(١) الاوشال ص ١١٤ .

(٢) الاوشال ص ١١٣ .

العراق لانه لم يأخذ المكانة اللائقة به فقد أضناه العذاب وأرهقه الابهال ، وهاجم
الدخيل الذي يستفيد وحده من خيرات وطنه وقال :

اني على الاوطان انفق مهجتي أما الدخيل فأبي شيء ينفق
قد يسكت المهضوم إلا زفرة منه وإلا عبرة تترقرق (١)

هذا القلق كان كما رأينا نتيجة من نتائج المجتمع نفسه أثر على الزهاوي
نفسه وهي غريزة يصاب بها كل انسان وشدة الحرص نتيجة لما يعتور النفس
الانسانية وخاصة اذا كانت تتعلق بالمركز الاجتماعي لانسان تتمتع بهذا المركز
وأحيط بالأحترام والتقدير وقد صورت نفس الزهاوي القلقة آلامه أكثر من
واقعا لرهافة حسه فظن الأمر على غير حقيقته فقال :

قد تعذبت في العراق كثيرا كنت في حبه أقاسي سعيرا
والذي فيه قد أطال عذابي كان خصما على عذابي قديرا (٢)

وقد تصدت له احدى الجرائد عندما أعلن رأيه وقالت انه عندما طلب
جواز السفر منحه الحكومة اياه مع راتب لمدة سنة فاسقط في يديه ولم يسافر
إلا بعد ثلاث سنين (٣) فهل أراد أن يثبت ذاته للسلطة فلم يفلح فقال :

ان اعدائي في العراق كثير كلهم فيه آخذ بخناتي
سأولي ربوع بغداد ظهري تاركاً خيرها لاهل النفاق

وتتجلى رغبته النفسية ومقدار ما يريد له لنفسه في قوله :

(١) الاوشال ص ٣ .

٢ . الاوشال ٦٧ .

(٣) جريدة شط العرب سنة ١٩٢٤ .

قد رحلنا عن العراق جميعاً
وقوله :

ما عسى أن تفيد نفسي المساعي
ان قضت بالحبوط فيها الدواعي
انا والحق في العراق مضاعاً
ن ، وما فيه غيرنا بمضاع (٢)

٥ - الزهاوي والرصافي :

وقد زاد في قلق الزهاوي بروز عامل جديد في حياته هو عامل المنافسة الذي لم يكن يحسه بهذه الحدة وانتشار أمره بين اصحاب الجرائد والمجلات الذين كانوا يريدون اثارته . والناس متى وجدوا ثغرة في ضعيف جسموها له واستغلوها حسب اهوائهم ورغباتهم . خاصة والزهاوي لم يعد عضواً بمجلس الاعيان وظن المنصب الحكومي يزيد في تأكيد ذاته وشخصيته ، وقد استغلت الجرائد شعر الرصافي وقوته وقارنوا بين الشعارين ، ولم يكن للزهاوي سند غير شعره الذي لا يضاهي شعر الرصافي وشخصيته التي لا تقوى على مجابهة شخصية الرصافي . فقد كان الرصافي شاعراً شاباً قوياً الاسلوب ، رصين العبارة ، ضخماً الجثة ، مهاب الطلعة ، وكان الزهاوي مريضاً ، مشلولاً ، ضعيف الاسلوب ، مترجماً الشخصية .

٦ - الجرائد والزهاوي :

وزاد في قلق الزهاوي ، وضاعف أساه الحركة التي شنها أنصار الرصافي على الزهاوي . فقد كتب رفائيل بطي مقالاً يمتدح به الرصافي ويقول بأنه أول من نظم الشعر القصصي ، فيثور الزهاوي الذي لا يرى غير نفسه شاعراً

(١) ديوان الزهاوي ص ٣٤٥ .

(٢) ديوان الزهاوي ص ٢٠٢ .

العراق وعلامته ونابعته فكيف يفوقه الرصافي . فتظهر مقالة مهاجم كاتب المقال وتظهر الزهاوي بمظهر السباق وانه أول من نظم الشعر القصصي في العراق وتبالغ وتقول انه « اسبق شعراء العرب » والطريف ان الناشئة الجديدة عندما تنشر المقال تقول ان الزهاوي أملاه على كاتبه وتشتد الخصومة وتكتب عنه قائلة ان الزهاوي دعا الفيلسوف الالماني انشتاين الى المبارزة و « قد اعد للمبارزة جذبا ودفعاً ورباعيات ، ولا نخال انشتاين يتهور فيقدم على هذه المبارزة لأن تلاوة رباعية واحدة كافية لصرعه في حلبة البراز » وقالت (ان لجنة الطب الأدبي قررت تلقيح الجرائد والمجلات بلقاح يقيها جراثيم الرباعيات) ، وتذهب بعيداً في التهم وتقول (ان جامعة اكسفورد قررت ترجمة قصيدة الزهاوي الفلكية ليستظهرها الاساتذة المختصون) (١) .

ويتصدى له محمود احمد ويرجع جميع آراء الزهاوي الى الشعراء والكتاب الآخرين ويأتي بأمثلة من نظم الزهاوي لآراء كوستاف لوبون ومنها « عجباً للحب يخاف الريب والشك ينميه واليقين يميته » أخذه الزهاوي :

الحب بالشك يحيا وباليقين يموت

وأخذ من الشريف الرضي قوله :

سأكت أنت والاعادي تقول ومضربك السكوت الطويل
فقال الزهاوي :

راحل أنت والليالي تزول ومضربك البقاء الطويل
وان قول الزهاوي :

(١) تراجع اعداد الناشئة الجديدة سنة ١٩٢٣ .

ولولا دفع رب الناس
بعض الناس بالبعض
لدالت دولة الانسا
ن أوزالت عن الأرض
مأخوذ من قوله تعالى :

﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ﴾
وان قوله :

لو كان يسعى منبر
لسعى اليك المنبر
أخذه من قول البحري :

ولو ان مشتاقاً تكلف فوقي ما
في وسعه لسعى اليك المنبر
وأخذ من جوامع الكلم لكوستاف لوبون قوله :

عاشر اناساً بالذكاء تنزهوا
واختر صديقك من ذوي الاخلاق
من الصفحة التاسعة من الكتاب « قلما اجتمع لامرء خلق وذكاء لذلك
ينبغي عليه أن يختار اصدقاءه من أهل الخلق ومعاشريه من أهل الذكاء » .
وأخذ من الكتاب نفسه قوله :

وفي السياسة للالفاظ مقدره
ليست على سامعيها بالبراهين

المعاني الموجودة في الصفحة الحادية والعشرين « من ضرورات فن سياسية
الامم معرفة طائفة من الألفاظ المؤثرة لأن فعلها اشد من فعل الادلة العقلية » .
ويدافع عن نفسه في المجلة ثم يتصدى ابن أخيه ابراهيم أدهم الزهاوى ويدافع عنه
وبهاجم محمود احمد ورفائيل بطي ويتدخل الادباء منتصرين لجانب من الجانبين، فتقف
مجلة (ليلى) الى جانب الزهاوى ولا تتأخر جريدة الأمل عن المساهمة في المعركة
وتؤدى نصيبها منها .

ويصدر الزهاوي مجلة (الاصابة) (١) التي قال عنها انها منار للنضال عن الحق في العلم والادب وانه ينازل فيها انصار القديم الذي لم تعد فيه فائدة للامة التي تريد النهوض في القرن العشرين ، ولن يتساهل أو يراف بمن يتشيع للباطل وسيصليهم حرباً شعواء ...

٧ - مقارنة وماتمة :

وقد جمعت الناشئة الجديدة آراء كل شاعر من الشعراء بزميله بجوار لطيف فيه كثير من الرأي الصادق الذي يعبر عن دخيلة الشاعر ومن هذه الآراء :
يقول الزهاوي : ان ترجمة حياة الرصافي في « الادب المصري » غير صحيحة ويقول الرصافي : ان دعوى الزهاوي في ترجمته تحتاج الى اثبات .
ويقول الزهاوي : ان الرصافي اشعر من شوقي وحافظ شاعري مصر الكبيرين وهو تلميذي .

ويقول الرصافي : ان الزهاوي لا يعرف من العربية بقدر ما يعرف طالب « ملائي » وطالما صلحت شعره في اول عهدي بالنظم .
ويقول الزهاوي : ان شعر الرصافي بدرجة شعر « البناء » أو هو من الوسط أو دونه .

ويقول الرصافي : اني لا افهم كثيراً من رباعيات الزهاوي التي يدعي انها فلسفية .

(١) لم يصدر الزهاوي غير ستة أعداد عدد صفحاتها جميعاً (٤٨) صفحة فقد صدرت في يوم الجمعة ١٠ ايلول سنة ١٩٢٦ و صدر آخر عدد منها يوم الجمعة ١٥ تشرين الاول من السنة نفسها .

ويقول الزهاوي : اني أول من سن نظم الشعر القصصي في العراق أو في العالم العربي وتعلم الرصافي الطريقة مني .

ويقول الرصافي : لانجد صفة من صفات الفلاسفة عند الزهاوي ولا نعرف ما هي فلسفته التي أرهقنا بذكرها .

ويقول الزهاوي : معروف صديقي وهو فرحتي لأنني علمته الشعر وفقهته في الاجتماعيات .

ويقول الرصافي : مسكين جميل له خيلة أوسع من الفضاء فيتصور كثيراً وان كانت تصوراته أوهاماً وهو لا يستحق محبتي بل عطفى وشفقتي .

وهناك قصص كثيرة عن مثل هذه المعارك والمنافسات بين الشعراء . كان يتدخل في إصلاح ذات البين بينهما اخوان الشعراء والاختيار منهم ومن ذلك ما قام به الاستاذ محمود صبحي الدفترى مرة اذ جمع بين الاديين وصالحهما (١) .

وقد بقي الزهاوي قلقاً يتوقع أن ينال عملاً وجل آماله كانت معقودة على العودة الى مجلس الأعيان غير أن القدر لم يمهل اذ توفي في شباط ١٩٣٦ .

رحم الله الزهاوي فقد أتعب نفسه كثيراً ، ولكنه سجل في لوح الخلود

(١) شخصيات عراقية للاستاذ خيري العمري .

ابو القاسم الشابي ثورة وشاعر

Handwritten text, possibly a signature or date, is visible in the lower center of the page.

الثورة :

الثورة حركة وشباب وتحرر وانطلاق وقوة وهي دعامة قوية راسخة من دعائم الانسانية تلذ للثائرين فيها الاتعاب والاهوال ويرون في المكابدة في سبيلها نشوة تدفعهم الى العمل ولذة المواصلة والسهرة عليها لأنهم يننون ببناء جديداً بدل قديم بال متهدم والحياة قوة وثورة في جميع جنباتها الاصلاحية ولن يكون اصلاح الا بالثورة على القيود القديمة التي تشل حركة التوئب والتحرر وكما انتشرت الثورة بين ابناء الشعب وكثر اعتناق آرائها ومبادئها في أذهان الثائرين والقادة كلما أدت الثورة رسالتها في البناء لأن الشعب بكثرتة خير سند لكل ثورة وتعتمد الثورة على القادة والمفكرين الذين تشربت روح الثورة وأهدافها في قلوبهم وثقافتهم المدافع عن ابناء الشعب ضد الظلم والطغيان والعبودية ويزبدها اشتعلاً الايمان العميق بها وبناتجها ولولا الثورة لما تحرر شعب على وجه الارض فهذه فرنسا قضت على الباستيل وقضت على النظام الملكي الفاسد في ثورتها وهذه روسيا قضت في ثورتها على استبداد القياصرة وتحكمهم في رقاب « الرعية » ولولا الثورة لما تحررت الصين ولولاها ما استهان ابطال الجزائر ومراكش وتونس بالموت ورضي الشهداء بالموت والتعذيب ولولا الثورة لما انتشر الدين الاسلامي . واعداء الثورة في كل زمان ومكان معروفون لا يمكن ان تتخطاهم العين ولا يحتاج الانسان الى أن يحدس ليعرفهم . وأول هؤلاء الأعداء الاستعمار الضاربي

والاقتطاع الشره والحكم المطلق الأعمى ، ثلوث يتآمر على حرية الشعوب في كل زمان وفي كل مكان وحوله جماعة من الاذئاب يتآمرون معهم على سلامة الشعب والوطن ، ولهذا الجماعة فضل آخر فضل ايقاظ الشعوب من رقدتها مطالبة بالحرية والاستقلال . وبعد الثورة يخرج « الرعاع » مواطنين ولن تكون حياتهم منحة الحاكم المستبد ويكون المواطنون هم المسيطرين على مصائرهم ولن يكون للاقلية حكم عليهم .

أرب الثورة :

وأدب الثورة أدب الواقع الذي لا يزيفه الملوك ولا يشوبه الأمراء ولا تنمقه وتختار كلماته شعراؤهم انه أدب السهولة واليسر والوضوح الأدب الذي يشرح لهم مشكلاتهم ويجنبهم ما يحيق بهم من مؤامرات على حريتهم واستقلالهم ويفتح عين الشعب على كل دساس ظالم وطاغر ومستعمر انه ادب الكرامة والانسانية انه أدب الحياة ، والادب فضل كبير على الأمم فهو الذي يخلق الثورات ، والثورات تغير وجه التاريخ فهو خالق التاريخ فقد خلق الأدب في فرنسا تاريخاً جديداً هو تاريخ الثورة الفرنسية وخلق للصين الشعبية تاريخاً مجيداً هو تأريخها الحديث وأعد الأذهان العربية للثورة .

وناضل الأدب نائراً في مصر وسورية وتونس والجزائر وعمان والبحرين فالأدب خالق الثورة وصانع التاريخ ولنرى مدى هذا الأدب في تاريخ تونس الشقيقة .

فرنسا وتونس :

اكتسحت فرنسا تونس عام ١٨٨١ . . (١) فاحتلتها بعد حرب ضروس

(١) خلاصة تاريخ تونس ص ١٧٧ وما بعدها وهذه تونس ص ٢٦ .

ولكنها خلقت في نفوس أبناء تونس روح التحدي والنضال ، روحاً بقيت
ثائرة في سبيل استعادة كرامتها ، روح شهب يريد أن يعيش حراً مستقلاً ،
فحارب قوى الاستعمار الضاربة الفتاكة بصبر وجلد لأن المستعمر جاء مستغلاً
لا صديقاً فقد « تناول نواحي من حياة البلاد فهدم معالمها وسد منابعها ، وتناول
نواحي أخرى فغير أوجها وحول مجاريها (١) اذ كان اكتساح الاستعمار الفرنسي
للحياة العربية مرعباً شمل البلاد كلها وتدخل في كل شيء وشمل حياة تونس
جميعها ، اثر في اللباس والنظام والآلات والمصالحات والمصنوعات والاطباء
والمهندسين والصيدلة والقضاء (٢) استولى على كل شيء وأخذ يستجلب ابنائه
مهاجرين يزاحمون أهل الوطن في حياتهم ورزقهم ويسومونهم سوء العذاب
كان الاستعمار الفرنسي يريد أن يقضي على مقومات الشخصية العربية
والنزعة الاسلامية والفكرة الانسانية ، كان يحارب الثقافة والعلم والحرية الفكرية
كيلا تثور عليه الجماهير العربية المسلحة وتطالب بحقوقها في هذه الحياة ، وقد ساعد
الاستعمار البيثة الاقطاعية في تونس وأعوان الاستعمار ، فعاشت تونس تحت وطأة
ارهاب استعماري دكتاتوري رهيب فقد كانت « السياسة الفرنسية المتبعة هي
مصادرة الحريات العامة ، سواء في الأجواء أو القول أو التنقل (٣) .. » .

فقد قضت فرنسا على كل الانظمة الدستورية التي كانت تصدر عدا جريدة

(١) الحركة الأدبية في تونس ص ٥ .

(٢) المصدر السابق ص ٨ .

(٣) هذه تونس ص ٧٥ .

واحدة (١) وكانت تزيد في القوانين الاستثنائية حتى خشي التونسي أن يتحدث في بيته بل انها حولت المقيم الفرنسي اعتقال أي شخص دون محاكمة وفي الوقت نفسه اطلقت حرية الصحافة الفرنسية (٢) وكتمت أنفاس الشعب التونسي ومنعت عنه حتى حق التعبير عن رغباته وحرية الاجتماع فكانت تجمع في صعيد واحد ديموقراطية لابنائها ودكتاتورية للعرب (٣).

وقف أبناء الشعب من هذا الاستعمار موقنين : وقف قسم منهم ذاهل النفس مجروح الكرامة فقد اقتنع بقوة المستعمر وبتفوقه في جميع نواحي الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية وكان هذا القسم ضعيف الشخصية حائراً يشعر بالنقص فأراد أن يعرض عن شعوره هذا ، فالتجأ للفرنسيين يستفيد من زائل الجاه وضائع المال درس لغتهم وتلقمهم وسار في ركابهم - وقد حدث مثل هذا في العراق ابان احتلاله من قبل الانكليز - ، وكان مع السائرين مع السلطة المحتلة الشاعر الزهاوي ونشأت طبقة جديدة ساندت المستعمر وآزرته فكانت حرباً على أبناء وطنها (٤) زادت في النفس اشتعالاً وانتقاداً فالتجأ العرب الى تراثهم القديم يستمدون منه العون لتقويم هذه الشخصية العربية الهزيلة وقد كان

(١) هذه تونس ص ٧٥ .

(٢) هذه تونس ص ٧٦ .

(٣) لم يستسلم الشعب التونسي وقاوم الاحتلال الفرنسي بالسلح بثورة عارمة انتشرت في ارجاء الوطن ولم يسكن أو يسكت انما بقى هذا الشعب الابي يكافح خلال ستين سنة كفاح الابطال المغاوير وضرب مثلاً رائماً في التضحية وانكار الذات ولم تقدر فرنسا بكل ما امتلكت من وسائل الارهاب والاضطهاد أن تقمع هذه الحركات ، ومتى قدر حاكم على القضاء على مشاعل الحرية وموقديها ؟ - « هذه تونس ص ٣٠ . الفصل الثاني عشر ص ٨٣ »

(٤) الحركة الادبية ص ٤٨ .

على رأس هؤلاء البشير صفر الذي يقظ القومية في نفوس أبناء تونس واتخذها سبيلا لا يقاظ الشعب لاسير في ركب الحضارة المتحررة فكان هذا هو القسم الثاني المدافع عن كيان الشعب وقوميته واستقلاله ومنه نشأت طبقة الاحرار المناضلين . وقد ساعد في هذا النضال ما كانت تتمتع به تونس قبل الاستعمار الفرنسي (١) من استقلال وبما كان لها من صلات باوربا فقد كانت فيها نهضة فكرية وأدبية خاصة في عهد الوزير خير الدين (٢) من انشاء المدرسة الصادقية (٣) وتنظيم التعليم في جامع الزيتونة وتأسيس المكتبة العبدلية وتشجيع الصحافة والطباعة ساعدت هذه الاعمال في تطوير حياة الفكر وصدرت جريدة الرائد واكثرت من نشر الكتب العربية .

وقد كان لجامع الزيتونة والمدرسة الصادقية بعوث في اوربا للدراسة وكان لهذه البعثة فعالية كبيرة عند عودتها الى الحياة التونسية والادب التونسي (٤) . اذن فقد كانت بلداً يختلف عن غيره من البلاد وليست جماعة من الجاهلين المتوحشين كما ادعت الحكومة الفرنسية (٥) تتفاعل مع التيارات العالمية والاتجاهات الفكرية الداخلية .

(١) خلاصة تاريخ تونس ص ١٦٦ ، ١٦٧ .

(٢) لاحظ خلاصة تاريخ تونس ص ١٧٦ بشأن اصلاحاته وما بعدها .

(٣) أول من ادخل الطباعة الى تونس محمد باي الثاني . خلاصة تاريخ تونس ص ١٧ وكان قد استعمل قبل ذلك الطباعة الحجرية . وأول من أدخلها الى العراق مدحة باشا دخل بغداد سنة ١٨٦٩ . لاحظ لونسكريك كتابه أربعة قرون وخلاصة تاريخ تونس ص ١٧٤ .

(٤) الحركة الأدبية في تونس ص ٢٩ ، ٤٥ ، ٢٣ ، ٢٧ في شأن حركة خير الدين الاصلاحية

(٥) اجتمع شاليسوري بوادنجتون في أروقة مؤتمر برلين سنة ١٨٨٧ وقال له « انكم

لا تستطيعون أن تتركوا تونس بين ايدي البرابرة » راجع (تونس وفرنسه) ص ٦٩ .

وعندما احتلت فرنسا تونس اعتبرتها وطناً لها ونظروا الى التونسيين من على نظرة السيد للعبد وغدا كل شيء عربي أو اسلامي حقير فسخروا من تقاليدهم ومن دينهم ومن لغتهم ، ومما زاد آلام الشعب تلك الحركة الفتاكة بالشعب حركة تجنيس القطر العربي بأن سهلت الخروج من الجنسية التونسية واعطاء تسهيلات كبيرة للتونسيين لكسب الجنسية الفرنسية واعطت الحق للاجانب المقيمين في تونس في الحصول على الجنسية الفرنسية واخراج الاجانب الذين ولد اجدادهم في تونس من الجنسية التونسية والحاقهم بالجنسية الفرنسية الى آخر ذلك من الوسائل الجهنمية للاكثار من الجالية الفرنسية وتعزيز العنصر الفرنسي (١) .

ابو القاسم السالي :

في هذا الجو الخانق المكفهر المتوثب نشأ الشابي وفي النفوس ثورة وفي القلوب غصة وكانت هذه الثورة في قلب كل ابي فقد قضى الشابي عشرين سنة يتنقل مع والده القاضي من بلد الى بلد وتعرف مباشرة على مشكلات هذا الشعب في مختلف طبقاته ، وكان والده قاضياً ينشد الحق فيأخذه من الظالمين ، وكان الشابي يحتك بالزارع والتاجر والمحامي والمثقف والاديب وغيرهم وكان يرى والده يحكم بين هؤلاء ويرد الحق للمظلومين . كان ينظر للناس نظرة متساوية نظرة القاضي ، فنمت الانسانية في قلب الشاعر ولم يعد يرى فرقاً بين انسان وانسان ، الكل متساوون في الحقوق والواجبات ، والكل لهم نفس المشاعر والاحاسيس والكل يتألمون ويفرحون ، يؤلمهم الظلم والجور وما أشد الظلم واعمق

(١) هذه تونس ص ٧٩ وما بعدها . وللكاتب تعليق على الشابي نشر في جريدة اليقظة

للاستاذ سلمان الصفواني نشر في ١٦ - ١٠ - ١٩٥٦ .

أثره في النفوس الحساسة ، نشأ الشابي على حب الحق وتقديس الحق وكان والده يقوي هذا الحب في نفسه بما يوصيه به فقد قال له : « ان الحق خير ما في هذا العالم وأقدس ما في الوجود » (١) ولكنه يلتفت فيلقى هذا الحق يئن جريماً مما يصبه عليه المستعمرون في وطنه . كانت عوامل نفسية جامحة مضطربة في نفس هذا الشاب الذي رأى والده يعطي الحق لابناء الشعب فرادى ويتنصف من قويمهم للضعيف ومن ظالمهم للمظلوم ولكنه لم يكن بقادر على أن ينصف هذا الوطن وهذا الشعب من العالم المتجبر - من الاستعمار - ، كان شاعراً بطبعه فوجد الشعر الذي بين يديه شعراً تقليدياً لا يشفي غلة ولا ينقع اواما ولم يجد في شعر تونس ما يعبر به عن خلجات نفسه فيتبرم به قائلاً : « وهانحن تشتاق قلوبنا الشعر الصادق الحي فلا نظفر به إلا في دواوين معلومة للشعراء الأقدمين وهانحن أولاء تتوقد نفوسنا الى الشعر الوطني الحماسي فنستعيره من شعراء الشرق الذين خاضوا بحره وصارعوا موجه المتلاطم حين رماهم القدر بالنكبات والارزاء وساق اليهم عادي الدهر الاحداث الهائلة والخطوب الجسام فقاوموا المحتلين وتغنوا بالحرية وحلوا بالوحدة العربية .. » (٢) .

كانت الظروف تستعد كلها لشهرة ابي القاسم الشابي ، والظروف طالما خدمت الادباء والشعراء في الشهرة ، وليس الشابي بأشعر شعراء تونس ولا باعلم علماء تونس ، ولكن حالقه الحظ في هذه الشهرة ولم يحالف الحظ أخواناً له يفوقون الشابي شعراً وعلماً وفضلاً . وشهرة الشابي لا تتناسب وشاعريته فقد

(١) اغاني الحياة ص ٩ .

(٢) الشابي وجبران ص ٢٦ .

دوت هذه الشهرة في كل مكان وخدمته الظروف خدمة صادقة ، فكم من شاعر أشعر من الشابي وأصدق عاطفة ولا يقل عنه وطنية و إخلاصاً في بلاد العرب لم يصل الى ما وصل اليه الشابي ، ولعل تفردّه في تونس كان مثار اعجاب ، فنحن لا نعرف عن تونس شيئاً ، ولما سمعنا بشاعر تونس ينظم هذا الشعر الجميل العاطفي الرقيق أدهشنا هذا الصوت وأعجبنا به ولا شك في أن هناك من الشعراء في غير تونس من البلاد العربية من ييز الشابي ويبرز على سواه في الجزائر أو المغرب أو عدن ولكن لم يتح له ما اتيح للشابي . ويتجلى هذا الاعجاب في كثرة ما كتب عن الشابي من مقالات وكتب ، فقد كتب (١) عنه أكثر مما كتب عن الزهاوي والجواهري وعن الرصافي نفسه ، مع ان الشابي لا يكون تلميذاً في مدرستهم الشعرية .

شُهرة الشابي :

ساعدت الظروف العامة على شهرة الشابي ولست بمنتقص من قيمة الشابي ولكن أقول ان شهرة الشابي الواسعة لا يسندها شعره المنشور في « اغاني الحياة »

(١) اسماء بعض الكتب التي ألفت عنه :

- ١ - ابو القاسم الشابي : حياته وأدبه ، زين الدين السنوسي ٢ - شاعران معاصران ، عمر فروخ ٣ - ابوالقاسم الشابي شاعر الحرية ، طه باقي مرور ٤ - الشابي وجبران ، محمد خليفة التليسي ٥ - مع الشابي ، محمد الخليوي ٦ - كفاح الشابي ، ابو القاسم كرو ٧ - ابو القاسم حياته وشعره ، ابو القاسم كرو ٨ - ابوالقاسم الشابي والشابي والحياة ، محمد الشعبي . لاحظ عكاظية تونس ص ٥٤ . ٩ - الشابي شاعر الحب والجمال ، الدكتور عمر فروخ نشر الاستاذ ابوالقاسم كرو « آثار الشابي وصداه في الشرق » بعد كتابته هذا المقال جمع فيه ما كتب عن الشاعر .

ولا مقوماته الفنية . ولم تسكن الحالة العامة وحدها عاملاً في هذا الأمر ، فقد كانت عوامل حياته الخاصة تدفعه دفعا ، كعامل الحيبة الذريع الذي حالفه طوال حياته ، الحيبة في أحاسيسه وعواطفه ، وأولها الحيبة في حبه الأول ، فعندما تفتحت ينابيع لبه الشاب تفتح عن فتاة عذبة الطفولة والاحلام وكان كبيراً في قلبه وفي حبه ولكن هذا الحب مات في عمر الزهور وكانت الذكبة موجعة ممضة ، فقد ماتت الحبيبة ، ماتت ولم يرها ، ماتت وهو بعيد عنها فحفر هذا الموت أول اخدود في قلبه الطري النابض الحساس وحب الطفولة الحب الاول ، الحب المخلص الصادق البريء ، يترك اللوعة طيلة العمر في القلب . فقد أرسله والده الى جامع الزيتونة للدراسة وبينما هو في الغربية إذ ماتت فتاته الاولى التي ترك موتها في اللاشعور منه حزناً دفيناً بقي ظاهراً على كل شعره حتى على شعره الذي ظن بأنه يفتح بالسعادة والهناء (١) فقد جمد الموت أحلامه وأمات البسمة من شعره والضحكة من الحانه فكان انغماً حزينة شجية تطرب الشريين الذين يفرحون بالحن الحزن والهموم ، فوجدت مكاناً في القلوب وخاصة ما حاق بهذا الموت من شباب ، ونحن الشرقيين اكثر انسانية من الغرب ويهزنا الشباب ويحزننا موته ، ونحن عاطفيون تطربنا كلمات الاسى على العذارى اللواتي في فجر العمر اللواتي لم يتمتعن بهذا العمر فلا عجب ان وصف الشابي ليلاه التي أغضض الموت أجفانها ، أغضضها زهرة فواحة طاب أريجها وتضوع شذاها :

(١) قال زين الدين السنوسي : اننا نعرف ان الشابي قد كان زواجه سعيداً . وفقاً ، وبالفعل فاننا نجد للشابي غمرات سعيدة في زواجه ٠٠ « ص ٢٩ أبو القاسم الشابي حياته وأدبه .

أجفان فاتنة تراءت لي على فجر الشباب
كعروسة من غايات الشعر من شفق السحاب
ثم اختفت خلف السماء وراء هاتيك الغيوم
حيث العذارى الخالدات يمسن ما بين النجوم (١)
هذه الحسناء أبقت الحسرة حية والابن نائراً واللوعة تتردد طوال حياته
فقد مات الفجر ولم تشرق نضرة الحياة بعدها :

آه لقد كانت حيائي فيك حاملة تמיד
وتعيش في كون من الغفلات فتان سعيد
فضى الردى بسعادي وقضى على الحب الوليد (٢)

الطفولة في شعره :

بقي الشابي يحب الطفولة ويتغني بالطفولة ولولا انها لم تمت في الطفولة لما
ترددت هذه الكلمة مرات في شعر الشابي . كل ذلك دليل على شدة تعلقه
وولعه ومقدار الحبيبة في حبه الأول ، فليس هناك شيء أعذب من الطفولة ،
وليس هناك حلاوة مثل حلاوتها ، وليست هناك ذكريات أحب اليه من
ذكريات الطفولة (٣) فهي كنز الرجولة والشباب وعليها تعتمد شخصية الرجل
طوال حياته واتجاهاته وتفكيره ، ومن الطفولة تتكون هذه العقد النفسية
فيكون الانسان سمحاً رضيعاً أو يكون شحيحاً بخيلاً . ففي حركات الانسان

(١) اغاني الحياة ص ٧٠ .

(٢) اغاني الحياة ص ١٠٦ .

(٣) الشابي وجبران ص ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧١ .

ومقدار العناية التي يعنى بها أو الاهمال الذي يهمله تبدو شخصية المرء . وقد يكون الانسان سعيداً برعاية والده ولكن هناك من المنغصات ما تملأ حياته هماً ونكدآ . ولا أظن حياة الشابي أو طفولته سعيدة (١) رغم رعاية والديه فان شعره الطافح بالاحزان والآلام خير دليل على ما كانت تعانيه نفسه فقد تكون لوالده آراء أراد ان يشب عليها أو أن له اتجاهآ يريد ان يسير عليه ولا بد أن تكون اخلاق ابن القاضي خاصة وان يعيش ويتصرف تصرفات تتسق مع سمعة والده ومركزه وهذا وحده حد يحد الطفولة من الحركة والحرية .

زواجر :

وحادث ثان أثر في حياة الشابي ، حادث زواجه ، وهنا يقف الباحث متسائلاً ما الذي دفع بوالد الشاعر الى تزويجه ، أراد أن ينسيه حبه الأول أو انه أراد أن ينجب له ولداً ؟ نعرف أن والده هو الذي أراد أن يزوجه وكانت رغبة والده في هذا الزواج اكيدة (٢) ولم يكن للشابي مطلب في هذا السبيل ... كان الدافع كريماً باي حال من الاحوال ، دافع والد يريد أن يريح ولده بأن يطفيء غلة الجسد المتعطش ولينسيه آلامه وأوجاعه ويرفئه عن قلبه الغارق في همومه ولكن هيهات أن ينسي الزواج الحب ، فقد يكون المرء راضياً مرتاحاً

(١) يقول الاستاذ محمد خليفة التليسي ان طفولة الشابي كانت سعيدة مغمورة بمطف ورعاية والديه - الشابي وجبران ص ١٧٠ .

(٢) حدثنا الاستاذ السنوسي ان الشابي جاءه وعيناه لا تفارق الارض . جئتك لاستشيرك هل أتزوج فقد كان والده يجب أن يتخذ له نسلاً عرق خلود وبقاء ، فهو يكره ، والشيخ أحرص ما يكون على بقاء جذوره مع أن الشابي كان منكش الفؤاد يتهيب الزواج بعقله المدرك . ابو القاسم الشابي ص ٢٧ .

لاستجابة جسمه لنداء الطبيعة ولكنه ان يكن سعيداً وقد يكون هادياً الطبع
ولكنه سيقى يتطلع الى الحب والى الحنان ، فالشاعر طفل كبير يريد من يسبح
عليه الحنان ويغمره بالعطف والحب والاحاسيس الفياضة ، يريد أن تتجاوب الحسناء
مع قلبه ومشاعر روحه ، فاذا كان هذا الزواج بلا رغبة منه أو فرض عليه
فسيقى معتقداً ان عطف الزوج تصنع تفرضه الواجبات الزوجية وحنانها
تكلف تدفعه المصلحة الفردية لذلك كانت زوجه ترعاه عندما يلحق في خياله
وينصرف واجماً شارد اللب حائر القلب ، قال عنها :

راعها منه صمته ووجومه وشجها شحوبه وسهومه

فهي تريد أن تعيده الى دنيا الواقع ، فلا يسرها أن ترى زوجها غريق
المحوم ، وقد تظن انه بعيد عنها يفكر في التي ماتت فتقول له :

أبدأ يحمل الوجود بما فيه كأن ليس للوجود زعيمه (١)

انا لا اشك في أن هذا الزواج كان زواجاً مخفماً عاناه شاعرنا بقلبه الكبير
وروحه الرضية فقد كان زواجاً مفروضاً عليه هداً من نداء الجسد ولكن أنى
له أن يصل الى خفقات القلب وومضات الروح ؟ أنى له أن يصل الى آمال الشاعر
وأحلامه ؟ انها خيبة ثانية اصيب بها الشاعر وساعدت على شهرته وبعد صيته .

موت والده :

اما الامر الثالث الذي اصيب به الشاعر فقد كان موت والده الذي اعاقه
عن التمتع بالحياة والاعتراف من حريتها وطلاقتها ، انه شاب قوي الرغبات ،
ثائر الاماني خائب في حبه وزواجه يريد أن يعوض عما فاته يريد أن يتمتع نفسه

(١) اغاني الحياة ص ١٤٤ وقد صدرت طبعة جديدة منه سنة ١٩٦٦ طبعها دار التونسية للنشر.

الحيرى الظامنة يريد أن يجد سلوى عن فتاته يريد أن يحيا حياة شاعر غير مسؤول .
حياة اللذة والمتعة واللاأبالية حياة الشاب الغنيفة المغامرة الجريئة ، يأكل متى يريد
أن يأكل ويشرب متى أراد أن يشرب لكن موت والده الذي ترك وراءه
اسرة وقع عبء إعاشتها على الشابي حالت دون ذلك فلن يتنعم بلذة طعام وشراب
وراءه حنان ام واخوان وزوجة تصده عما يريد وتفرض عليه العمل الدائم
الدائب ومجاراة من لا يستحق المجارة ، قال شاعرنا من قصيدة له :

وأود أن أحيا لبكرة شاعر

فأرى الوجود يضيق عن أحلامي

إلا اذا قطعت أسباني مع الدنيا

وعشت لوحدي وظلامي

لكنني لا أستطيع ، فإن لي

أمّاً ، يصد حنانها أوهامي

وصغار إخوان يرون سلامهم

في الكائنات معلقاً بسلامي

انه الشعور بالمسؤولية العميقة القائمة على العواطف الكريمة الخالصة هو
شعور الاخ الكبير الحاني الذي يدوب في سبيل اخوانه الصغار يحرص عليهم
اكثر من حرصه على حياته فيضحى في سبيلهم بكل شيء ، ولكن لا يقدر على
اسعادهم واسعاد روحه لما تريد ، فيثور على الدنيا ويصرخ قائلاً :

الويل للدنيا التي في شرعها فأس الطعام كريشة الرسام (١)

١ اغاني الحياة ص ١١٥ .

حأقت بروح الشابي الهموم من كل ناحية ولسكنه لم يكن بقادر على ابعادها
عن روحه بغير الثورة في الشعر وطالما خفت ثورة الشاعر عن قلبه بعض الآلام
فاذا ما نظم نائراً واذا ما انتهى من تفرغ ما في روحه دفقات في شعره يحس
بالسعادة وكأنه القى عن صدره ثقلاً. فالشعر والكتابة خير متنفس للحزين الباكي
والشائر العارم سيتحول بعد ذلك الى الصفو والهدوء ، وكلما كان المصاب كبيراً
كلما كانت الثورة عنيفة . كان مصاب الشابي متأثراً من الموت الذي أفقده حبيبته
ووالده ، فهل له من القدرة على صد هذا المصاب انه أقوى من أي شيء في هذه
الحياة ، انه الشيء المجهول القوي الذي لا يقدر عليه ، ووراء الموت
الاله العظيم .

كانت هناك قوى تصده أن يطلق نفسه على سجيته وان يعيش كما يريد
ومن هموم الشعراء انهم يريدون أن تكون الحياة مفصلة كما يتخيلون وان تكون
وفق ما يشتهون ومن هموم الشعراء انهم لا يأخذون الحياة كما هي في واقعها
ويتصرفون وفق الحياة وقواها ومن هنا تأتي الثورة في نفوسهم . فهو أراد شيئاً في
خياله ونما في ذهنه وظن انه سوف يلاقيه وسوف يحصل عليه ولسكنه اصطدم
بالواقع مرأً بالنسبة اليه فقد وقف حائلاً امام الشاعر الحساس . والمصائب تتأني
على الناس جميعاً ويتأثر بها الناس جميعاً ولسكن وقعها يكون أعمق أثراً وأشد ألماً في
نفوسهم لما امتازوا به من رهافة الحس ورقة الشعور والاحاسيس .

ثورة الشاعر :

ثار الشاعر الشابي ولسكن لم تجده ثورته وتأثرت نفسه ولسكن لم يفده ذلك

فتميلاً فهو لا يقدر أن يطاول من أنزل به هذا المصاب ، انه الله الذي يحشاه ويرتعب ان سماع عنه ما يمسه من قريب أو بعيد ، ان ابن القاضي والمترجي تربية دينية ، لابد أن يجد الشاعر متنفساً يرد به عن قلبه آلامه وان يخفف من هذه الانفاس الحرى المصعدة ، ومتى ثار الانسان لابد أن يبحث له عن مكان يفرغ فيه هذه الثورة فقد يجد في المجتمع أو في الشعب أو يجده في نفسه ، وقد وجدته الشابي في المستعمر الجاثم على صدر تونس . فثار عليه ثورة عارمة ، فكان شعره السياسي خير معبر عن ثورة الشعب ، ان المستعمر لا يخرج بابيات من الشعر أو قصائد ينظمها الشعراء ، انما باعداد آراء الشعب وتوجيهه توجيهاً صحيحاً واعداده للثورة ، وشأن الشعراء هو اعداد هذا الرأي العام الموحد ضد المستعمر وضد الاستعمار وكان الاستعمار يفتك في الشعب وتزداد ثورة الشعب عليه وتزداد ثورة الشابي معه .

والشابي مؤمن بقوى شعب مؤمن ايماناً عميقاً في تاريخه الطويل الحافل خير سند وفي الأقطار العربية المناضلة الف دليل على انهم بأبون الضيم والجور ولا يستسلمون لمحتل أو مستعمر ، وكان الشابي يشعر بأن له رسالة (١) في هذه

(١) يرى الدكتور فروخ ان الشابي يحمل ممول الهدم في تشاؤمه ونقمته وليست له رسالة فيقول : « والشابي شاعر ناغم يزعم أنه يريد أن يؤدي رسالة ولكن في الحقيقة يحمل موعلاً يهدم به كل شيء في الحياة والناس والبلاد والوطن والامة . . . وان اداء الرسالة يقتضي اتجاهاً واضحاً ونباتاً على مبدأ واحد . . . شاعران معاصران ص ١٦٩ .
وأرى أن النعمة والتشاؤم في طور الاحتلال ضرورة للشعب حتى يسترد استقلاله وحرية ، فالشعب الناغم هو الشعب الثائر الذي يحس بأنه مغبون وبأنه مظلوم ، وحتى يشعر الشعب بالظلم والغبن ثار وانتفض على الظالم والمستعمر ، والتشاؤم هو خوف من مستقبل سيء ومن حياة ذليلة أو من واقع مظلم صرير ، وهذه صفة كريهة للشعب فانها تحفزها نحو حياة أرغد =

الحياة ، رسالة كل فرد من أفراد الشعب ، رسالة كل متحرر فكانت الثورة
النفسية تؤلمه ، فهو يرى الفرنسيين يتمتعون بالخير ويترك سواه لشعبه .

وكانت ثورته على المستعمر تكتمسح معها التقاليد المتحجرة وصور
الشعر التقليدي الميته ، وجد الناس يعيشون على رمم القدامى وكان يريد أن
يسير مع الانسانية حيث النور والحقيقة ، حيث التجديد والتطور فكان لذلك
حرباً على الرجعية التي تريد أن تجمد القوى الانسانية المتحررة التي تتدفق حارة.
ونار على الشعب الذي لا يحارب المستعمر ويرى الشعوب كلها تطالب بالحرية
والكرامة ، وشعبه لا يطالب ويعيش في سبات فيقول :

ان يم الحياة يدوي حواليد ك فأين المغامر المقدم
أين عزم الحياة ؟ لا شيء إلا الموت والصمت والاسى والظلام
عمر ميت وقلب خواء ودم لا تشيره الآلام
وحياة تنام في ظلمة الوادي وتنمو من فوقها الأوهام
ويزداد سخطه فيستعير من المتني شطراً فيقول :

أي عيش هذا وأي حياة «رب عيش أخف منه الحمام» (١)

= ومستقبل افضل ، وكيف يكون الشعب هائلاً سعيداً وهو يئن تحت وطأة الاستعمار والذل
وكأنني بأستاذنا فروخ نسي حاجة الشعوب الى الكفاح ونسي ماجره الاستعمار على البلاد
العربية من ويلات ، والشعر صادق لاحتاسيسها ، وما الشابي إلا المصور الماهر الذي عكس
روح النقمة والتشاؤم التي كانت تسود ، ولا تزال تسود في البلاد العربية . أما الرسالة فقد
كان يحمل رسالة هي محاربة الاستعمار وان لم تكن لها حدودها المرسومة وليست الاعمال بما
ترممها لها من حدود وانما بما يصنعه الانسان وما يتركه من آثار .

(١) اغاني الحياة ص ١٧٥ .

از النعمة والتشاؤم والثورة على الشعب تستحيل عنده الى يأس ، فيدفعه
هذا اليأس الى مهاجمة الشعب الذي لا يقدم من التضحيات والنضال ما يراه جديراً
به وليس هناك أبلغ من هذا اليأس من قوله :

يا إلهي .. أما تحس أما تشدو أما تشتكي أما تتكلم
مل نهر الزمان أيامك الموتى وأنقاض عمرك المهتم

ويخاطب الاستعمار :

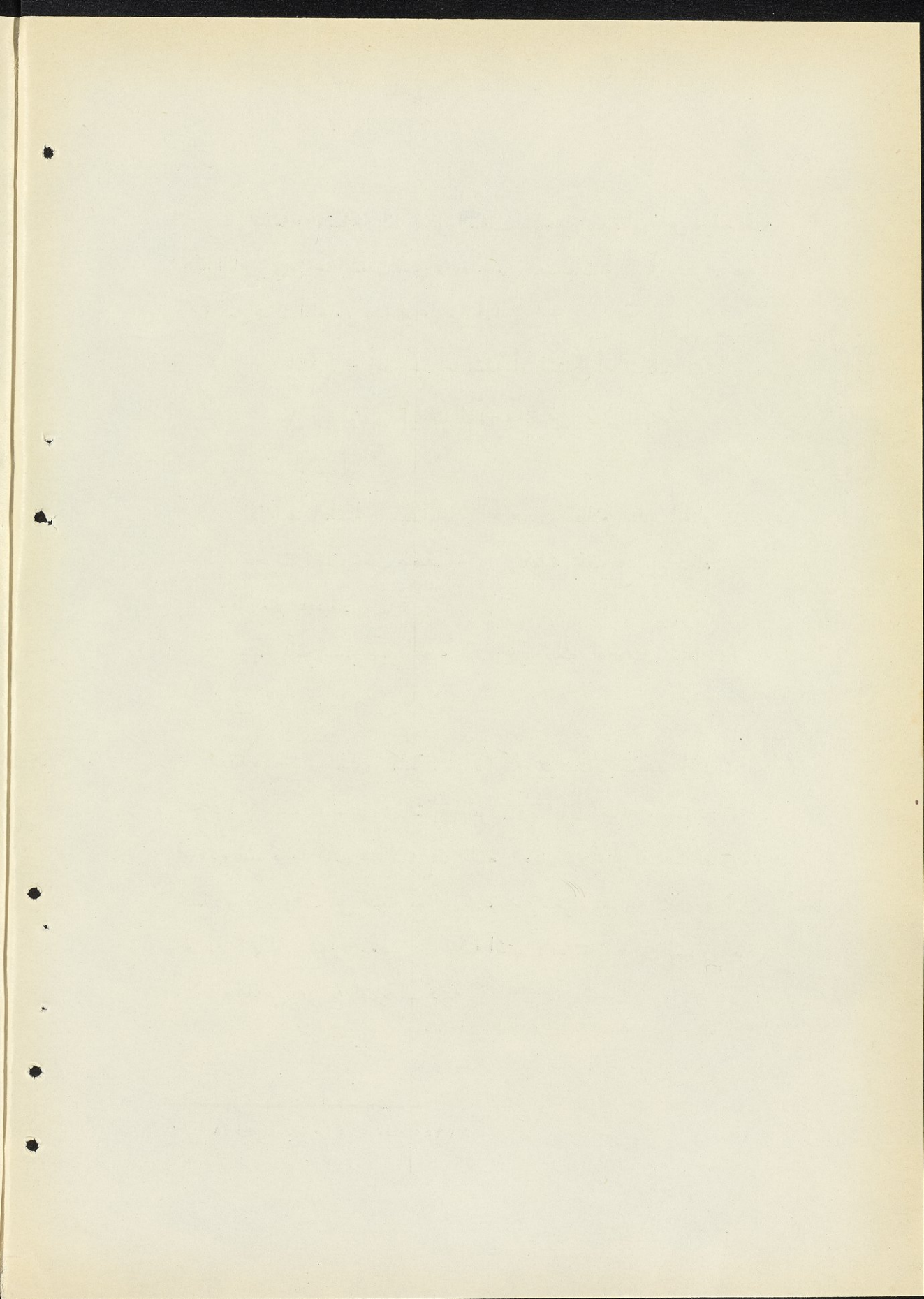
ألا أيها الظالم المستبد حبيب الظلام عدو الحياة
سخرت بأنت شعبي ضعيف وكفك مخروبة من دماه
وقال من القصيدة نفسها :

سيجرفك السيل سيل الدماء ويأكلك العاصف المشتعل (١)

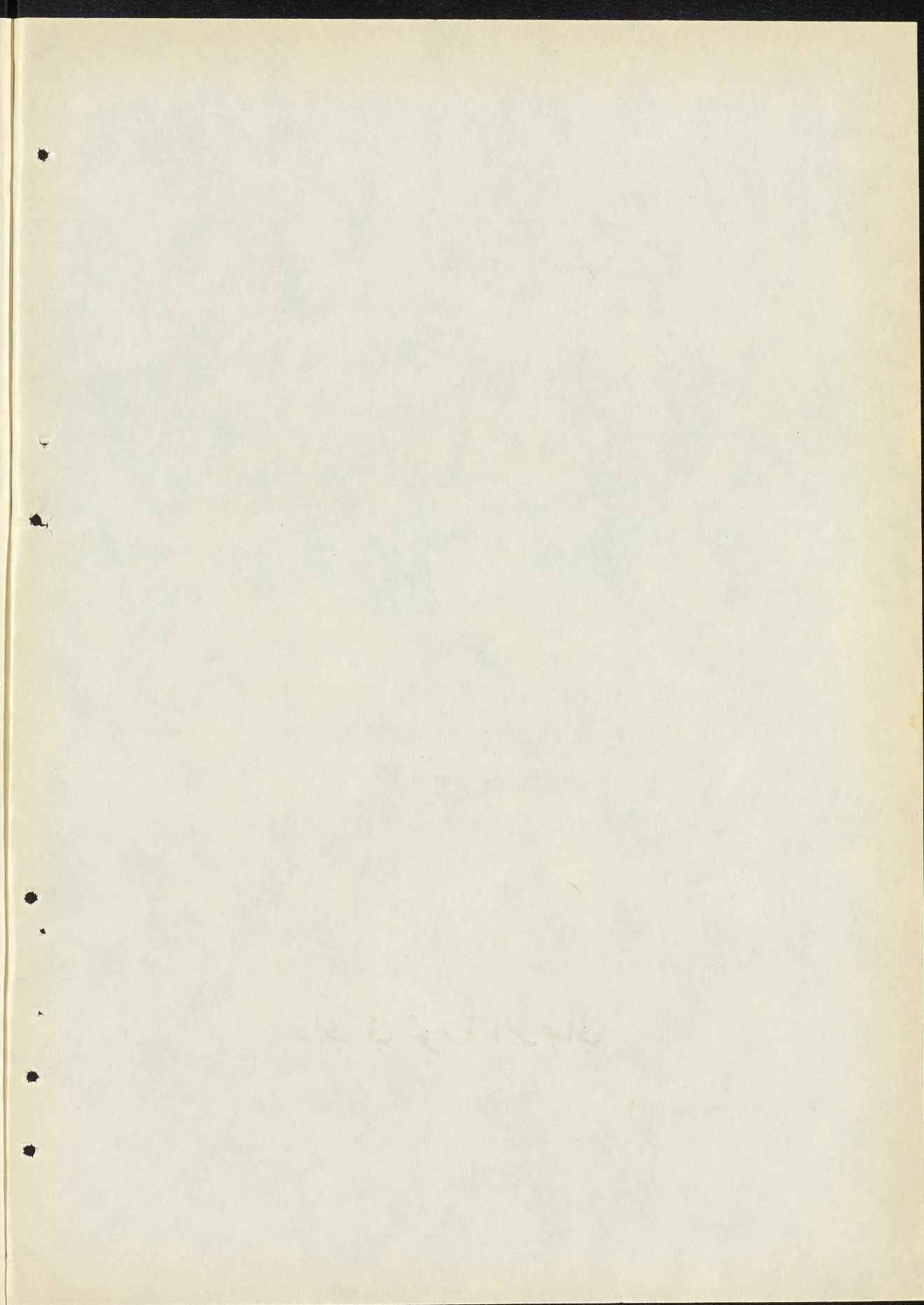
خاتمة :

هذا هو الشابي الذي اكتسب شهرة أكثر مما يستحق ساعده على ذلك عدم
وجود ذكر لشعراء تونس في المشرق العربي وما حفت حياته من مآسي وزاد
في هذه الشهرة ما كتب عنه لانه يمثل الشعر العربي في شمالي افريقيا العربي ولو
نحلنا ديوانه لما وقف على قدميه مع أي شاعر من شعراء الدرجة الثانية في البلاد
العربية كالعراق وسورية ومصر . ولكنه اشتهر لاننا سمعنا به في المشرق العربي
ولأنه وجد من يعنى به العناية الكافية .

(١) اغاني الحياة ص ١٨٥ مصر ١٩٥٥ .



رأي في ثورة الرصاصي



الرصافي والوطن :

رحم الله الرصافي ، فقد كان انساناً تضنيه مصائب الانسانية ، وتؤلمه آلمها
كان يحس احساساً عميقاً صادقاً بأن حال قومه لن تستقر ، ولا بد أن نقضي ان ثورة
تقضي على كيان النظام القائم ، ولكنه لم يكن يقدر على تعيين زمن الثورة
التي يتوقعها .

كان يرى ان نظام الحكم سائر في غير مصالح الاكثرية ، وكان الرصافي يرى
الشعب يعذب من جراء الجوع والسغبة ، وهو مسلم يقتضيه الدين الاسلامي
وجوب مساعدة هذا الشعب ، ويرى جماعة ترقص مع كل حاكم ، وتعطر الجو
لكل أمير ، وتهرج لكل قادم ، من غير أن تهتم إلا بمصالحها الذاتية ، فكان
ناقماً متبرماً ، شديد النقمة عميق الشكوى .

والرصافي على ما كان عليه من نكد الحظ وسوء الحال ، لم يهاجم أبناء وطنه
بل كان هجاءه ينصب على الاجنبي « أصحاب العثون » ، فقد كانت روحه السمحة
الآبية ، ترى جفوة وطنه له ، شيئاً جميلاً يقدمه له الوطن ، كما يتأول العاشقون
أحياناً جفوة أحبائهم ، فقال قولة المتصوف :

إن جفتنا أوطاننا فهي حبٌّ ومن الحبِّ يُستلذُّ الجفاءُ
لم نحل عن عهدنا منذ جفتنا بل لها الود عندنا والوفاء

قد بكينا شجواً عليها ومنها
 كم أردنا سخطاً عليها ولكن
 أما هذه المواطن أمّ
 إن خدمنا فلا نريد جزاء
 وعانا سقامها والشقاء
 غلب السخط في القلوب الرضاء
 مستحق لها علينا الولاء
 ومن الأم هل يُراد الجزاء (١)

وحب الانسان ، هو الذي يفرض عليه أن يعفي عن سيئات أبناء شعبه لأنه يرى نفسه جزءاً من هذا الشعب ، فما عليه إلا أن يكون صريحاً في قوله ، جريئاً في معالجة مشكلاته ، وقد كان الرصافي صريحاً وواضحاً ، وقد وصفه صديقه الأستاذ مصطفى علي بقوله « ... كان في الصراحة في القول والوضوح في الشخصية والصفاء في النفس والسمو في المقاصد بحيث يأبى أن يضرب بينه وبين الناس حجاباً من الرياء ، ويأنف من أن يخيط عليه ثوباً من النفاق .. » (٢) وقد كان شعره مثلاً واضحاً في ذلك ، وهو على الشقاء الذي حاق به ، لتجاهل الوطن لحقه ، نراه يترنم وقد دهمت الوطن المصيبة بعد ثورة ١٩٤١ قائلاً:

وطن عشت فيه غير سعيد
 أتمنى له السعادة لكن
 أخصب الله أرضه ولو آني
 كل يوم بعزّه أتغنى
 ما حياة الانسان بالذل إلا
 عيش حرّ يأبى على الدهر عوجه
 ليس لي فيه ناقة منتوجه
 لست أرعى رياضه وموجه
 جاعلاً ذكر عزه أهزوجه
 مرة عند حسوها بموجه (٣)

(١) ديوان الرصافي ص ٣٣٩ .

(٢) « الرصافي » تأليف الأستاذ مصطفى علي ص ٨ .

(٣) ديوان الرصافي ص ٤٦٨ .

أجل عاش معروف غير سعيد ، لما أصابه وأصاب وطنه من فقر وحرمان
واستعمار وسيطرة أجنبية وتمزق بين ابنائه وتطاحن دائم ، والرصافي إنما يتعلق
بوطنه ، ويظل في كنفه ، ليتها له التحرر ، ولتنتشر فيه حرية الفكر فقال :

وما حبها إلا لأجل تحرر يكون الى العلياء بالناس منجرًا
وما حسنها إلا بأن سماها تضاحك من أحرارها أجمًا زهرا
إذا كان في الاوطان للناس غاية فخرية الافكار غايتها الكبرى (١)

صبر الرصافي :

وقدرضي الرصافي بالعيش في وطنه ، رغم احساسه بسوء حياته ونكده
فيه ، لأنه يحب الوطن ، ولا يرى سواه بديلا ، وقد ساعد الرصافي على ثباته في
ذلك أمور منها :

انه كان يعيش فرداً وغير مسئول عن أسرة يخشى عليها الأذى ، أو اطفال
يخاف أن يهبط جناحهم العوز والفاقة ، وهذا يذكرنا بالجواهري ، فانه اضطر
الى مهادنة السلطة بعد أن أثقلت أسرته كاهله .

وعندما احتاج الرصافي في أواخر أيامه ، وجد بين الطيبين من أمده بالمال
والطعام ، وكانوا يقيلون عثرته المالية ثم ان الرصافي لم يسجن ولم يُعتد عليه طوال
حياته بل لقي خير ما لاقاه شاعر معارض في زمانه .

الادارة والرصافي :

أما انه لم يُنط به أي عمل حكومي مرموق فان للعمل الحكومي صفات ، منها

(١) ديوان الرصافي ص ٥١

المحافظة على الآداب العامة ، ولم يكن الرصافي يحافظ عليها ، فانه اشتهر بالشذوذ الجنسي ، وكان يسكن بين العاهرات من غير أن يبالي . وقد حدثني المرحوم خيرى الهنداري عن استهتاره بأشياء كثيرة ، لا تتفق والعمل الحكومي ومظهره الرسمي .

الرصافي والانتكيز :

واعل الانتكيز كانوا يريدونه أن ينضم الى صفوفهم وقد علموا معارضته وقصائده ولعلمهم أرادوا أن يعينهم الرصافي في حكم العراق وخاصة ان النقيب كان يزمع أن يرشح نفسه للحكم ورشح الرصافي لأصدار جريدة تسانده فقد قالت جريدة العراق « عاد من القاهرة عن طريق البصرة السيد بركمي كوكس ومعه بعض رجال السياسة ... وحضرة الشاعر الكبير معروف افندي الرصافي ... » غير أن الخطط التي خططها جماعة من الانتكيز في اسناد طالب النقيب لم تنجح ونجحت ملكية العراق .

وتاريخ الرصافي يظهر مقاطعة الانتكيز مقاطعة بائنة غير اني وجدته يصدر جريدة الأمل والغريب انها كانت تقف مع الانتكيز وتمتدح الاحتلال البريطاني وتهاجم من يهاجم احتلال العراق فقد نشرت في صفحتها الأولى : « اننا لا نستطيع القول استناداً الى الحق المجرد والعقل المنزه عن الهوى ان الجنرال مود لم يرفع بفتح بغداد شأن امته فحسب بل خدم القضية العربية أعظم خدمة ... » (١)

« وكثير من قصار النظر يعدون يوم فتح بغداد يوم حداد ومصيبة وهو صحيح لو بدل هذا الفتح استعبادنا القديم باستعباد جديد ونقلنا من الحكم التركي الى الحكم الاستعماري والسكن الأيام اثبتت عكس هذه الأوهام فانه

(١) العدد ٥٦ الصادر في السادس من كانون الاول ١٩٢٣ .

لم تمض أعوام قليلة إلا وتسلم أهل البلاد زمام أمورهم وأصبحوا سادة أنفسهم
وتمتعوا بحكم عربي هلكت أجيال عديدة في حسرته وجميع الدلائل متوافرة
متظافرة على أن هذه البلاد سائرة بخطى واسعة نحو الامام كلما أحسننا التفاهم مع
حلفائنا وتجملنا بالدهاء والكياسة وليس على من ينكر فضل الجنرال مود على
العراق إلا أن يجيب على هذا السؤال :

ماذا يحل بالقضية العربية لو بقيت بغداد على ما كانت عليه في العهد السابق؟
وفي العدد نفسه نجد خطاب المعتمد السامي الذي يقول عن قدوم مود الى
العراق بأنه مثل قدوم اسكندر الاكبر وتراجان وخلفاء النبي وهولاكو
أثراً وجلالاً ... !!

فهل كانت هذه المقالات هي الاسباب التي دعت الى تعيينه مفتشاً للغة العربية
سنة ١٩٢٤؟ وهل نشرت المقالات دون علم الرصافي؟ إذن ما كان موقف
الرصافي من نشرها؟ ومن نشرها؟ ومن المسؤول عنها إذا لم يكن صاحب
الجريدة مسؤولاً؟! ولو كان غير الرصافي صاحب الجريدة لكان له عذر فالرصافي
بشخصيته القوية وبوقاره المعروف وبكلمته المسيطرة تدل دلالة واضحة على انه
مسؤول عن كل ما صدر في الجريدة، ولكن هذا لم ينله ما أراد إلا عملاً لم يكن
يتسق وآمال الرصافي ورغباته الكبيرة في الحكم فكانت ثورة جديدة على
المستعمر فلو ان الرصافي استوزر كما استوزر غيره أكان يهاجم الانكليز (١)؟
أم يسير في ركابهم ..

(١) أصدقاء الرصافي مسؤولون عن كثير مما لا يعرف المعاصرون للرصافي وعليهم تبعة
توضيح كثير مما نجهل .

بقي الرصافي بعيداً عن كرسي الحكم زمناً ولم يكن إلا نائباً في المجلس فهل كان إبعاده عن السيطرة هو السبب المباشر لثورته ومعاداته للانكليز؟
 اشتهر الرصافي بمعارضته الواضحة وبالتهكم على الوزراء والدولة وكيانها وتهكم على المظاهر الكاذبة وهو يعلم جيداً ان الانكليز يحكمون العراق وليس أبناء وطنه فهل عافت نفسه كرسي الحكم لأنه وجده كاذباً والفي السيطرة الفعلية للانكليز . . وهو إنسان يريد الحكم صالحاً ودون تدخل؟ ورضي أن يكون نائباً وهو يعلم ان النيابة بالتهيئة؟! ان في حياة الرجل غموضاً وتناقضاً وقد يستطيع المعاصرون وخاصة أخوانه ومريدوه أن يوضحوا هذه الأمور؟
 فلسفة الرصافي :

لرصافي فلسفة الواقعية ، فهو يريد أن تجله السلطة ، مفضلة إياه على غيره ، لمنزله ، ولشعره ، وهو يكره اولئك المنافقين الذين يعملون في السر أشياء تخالف مظاهرهم التي يبديونها للناس ، لانهم يتعاون خلقاً تجاه الناس ، حتى اذا خلوا الى شياطينهم تسافل خلقهم . ولم تكن السلطة والسياسة لتقر الرصافي على حاله هذه ، وهو لذلك لم ينل ما قال غيره ، فشن حرباً شعواء على المنافقين ، الذين يلبسون الباطل لباس الحق واعلن كرهه للسياسة والسياسيين فقال :

قد أبت هذه السياسة إلا أن تكون الغشاشة الدساسة
 وأبت أن تصافح الناس إلا بيد من خديعة فراسه
 كلما مست الأمور بكفٍ لوثتها بما بها من نجاسه (١)

والحق ان طبيعة الحياة العامة في ذلك النظام كانت قائمة على النفاق وتسمية الامور بغير مسمياتها ، فقد كان العراق مستعمراً ولكنه يسمى مستقلاً

(١) ديوان الرصافي ص ٣١٣ .

أو ملكياً، وكان الساسة يموهون على الشعب، ويسخرون منه، باسم النظام الدستوري تارة، وبالديمقراطية تارة، وباسم الحرية والاستقلال آونة أخرى. لذلك سلط الرصافي لسانه على هؤلاء الساسة، وقد حاولت السلطة أن تداريه وأن تصطفيه وأن تقر به وأن تعزبه بأمور غير الحكم فلم تفلح على حين استفاد غيره من الجاه والمال والسلطان (١).

الرصافي وفيصل:

وللرصافي رأي في حكم العراق فقد كان صديقاً للنقيب الذي رشح نفسه لرئاسة الحكم جمهورياً كان أم ملكياً وكان طاب النقيب قد استدعاه لما كان وزيراً للداخلية لإصدار جريدة تناصره في هذا الرأي وقد كان الرصافي يأمل أن يكون شيئاً في هذه الدولة وإن يكون مسموع الكلمة بما سوف يناله من عمل رسمي بيد أن النقيب ابعث إلى هنجام وماتت كل آمال الرصافي التي تمنها.

(١) من تلك الاغراءات تخصيص قطعة أرض له في أبي غريب القريبة من بغداد فقد زودني الاستاذ عبدالمجيد حسيب القيسي نص رسالة متصرفية لواء بغداد المرقمة ١٥١٤٩ المؤرخة في ٣ - ٧ - ٩٣٨ وهو: الى الاستاذ السيد معروف الرصافي: « قررت اللجنة في جلستها المنعقدة في ٢١ - ٨ - ٩٣٨ تخصيص قطعة أرض في أبي غريب الى الاستاذ معروف الرصافي تبلغ مساحتها الف دونم وذلك بالنظر لمكانة الاستاذ المشار اليه الادبية والاجتماعية ونظراً للخدمة الثمينة التي أداها للعراق وقد وقع الرسالة الاستاذ أحمد زكي الحياط رئيساً والسادة أمين خالص وديجبرن وويليامس اعضاء وسكرتير اللجنة يونس عوني. وقد علق الاستاذ القيسي على الرسالة التعليق التالي: « يلاحظ ان هذه الفقرة لم تشمل الا الرصافي فقط حيث وزعت الاراضي كما يلي: ١٧٦٠ دونماً للدوائر الحكومية، الف دونم للرصافي، ١٤٨٥ دونماً للمستحقين من اصحاب المستسكات وعددم ٢٢٠ أي بمعدل سبعين لكل فرد وم من رؤساء العشائر والفلاحين، واعطي ٢٣٦ الى اصحاب الازمات ». »

وقد زاد الطين بلة حين جاء الملك فيصل الى العراق وكان الرصافي يرى
في والده الملك حسين انساناً حارب الدولة العثمانية الاسلامية ولجأ الى الانكليز
الذين كان ينظر اليهم نظرة الكافرين .

وبدوا هناك دافعين دفعا الشاعر الرصافي الى كراهية الملك فيصل ،
الاول : اعتقاده بأن العراق يجب أن يكون محكوماً من ابناء العراق ، ومعنى ذلك
أن يكون طالب النقيب رئيس الحكم فيه واذا ما جاء طالب النقيب سيعتمد
عليه وسيكون الرصافي شأن مرهوق في هذه الدولة ويحق للرصافي أن يطرح أن
يكون أحد حكام العراق فقد كان ممثلاً عن العراق في مجلس المبعوثان وكان
عضواً في جمعية الاتحاد والترقي ووقف معها حتى النفس الاخير . والسبب الثاني
اعتقاده ان الانكليز والفرنسيين ما جاءوا إلا لاستعمار البلاد العربية وتفريق
شملها والقضاء على الاسلام لذلك وجدناه ينظم قصيدته في الثورة العربية التي
قام بها الملك حسين :

هي النفوس وان لم تبلغ الحلم	مطبوعة الطبع إن لؤماً وإن كرماً
تجري على ما اقتضاه الطبع جامحة	ولن يغير منها قولك الشيا
إن الحديد على ما القين يطبعه	عليه في السكور إن سيفاً وإن جلماً
قد كنت أحسب ان اللؤم أجمعه	على الحسينين في مصر قد انقسما
حتى بدت مخزيات الدهر مشرحة	من الحجاز حسيناً ثالثاً بها
فدان قد أخجل الاهرام بفيهما	وبغي هناك ابكى البيت والحرم
قالوا الشريف ولو صحت شرافته	لم ينقض العهد أو لم يخفر الذم
فكيف وهو الذي بانته خيانتته	فصرحت عن طباع تجلب النقما

لم تكفه في مجال البغي فتنته حتى غدا بعدو الله معتصما

اذ راح بالانكليز اليوم ممتنعا فضعاف الشر فيما جبر واجترما

ويظهر بوضوح نزعته الى الوحدة الاسلامية وكل خروج على هذه الوحدة خروج على الدين الاسلامي لذلك رأيناها يهاجم العريسي في الشام لما عقد مؤتمراً في باريس وقد وقف من شهداء عاليه موقفاً سليماً واضحاً وقد انتهزت الناشئة الجديدة بعد ذلك شعره الذي ذم فيه أبناء الشام وهاجمته بعنف واعتبرته من الموالين للاتراك الاتحاديين وانه وقف موقفاً سليماً من القضايا العربية وقالت انه هاجم العرب وسبهم ولعنهم في أحلك ظروف حياتهم السياسية .. ولكن الرصافي لم يسكت فرد في جريدته الأمل يدافع عن نفسه ويوضح فكرته ويهاجم صاحب الناشئة بعنف ويعلن انه لا يساجله ولن يرد عليه .

ولكن هذا المهجوم لم يبرر مواقفه السابقة من القضايا العربية ، وعندما هاجم أبناء الشام وهاجم الثورة العربية ، لأن فيصل الاول كان ملكاً على العراق ولا إخال الرصافي قادراً على الدفاع عن نفسه وشرح وجهة نظره لأن الفكرة القومية كانت قد انتشرت بين الشعب واعتنقها الناس وكانت تسير مع الفكرة الاسلامية ولم يستطع الرصافي أن يقف امام تيار الرأي العام وامام السلطة فسكت .

وقد بقي كرهه للملك فيصل مستقراً في قلبه لأن الملك فيصل أصبح رئيس الحكومة وأصبح الرصافي كساً مهملاً بالنسبة للسلطة والحكم وذهبت محاولات الكثيرين سدى في الاصلاح بينهما لأن الملك فيصل لم يعطه ما يريد والرصافي يرى من هم أقل منه كفاءة ومقدرة وشعراً قد أصبحوا وزراء فلماذا لا يكون هو وزيراً ..

وقد حاول عبدالمحسن السعدون وكان من اصدقائه الاصلاح بين الملك
فيصل والرصافي ، وهو الذي لم يرد طلباً للسعدون ، ولكنه أخفق بل لم يحضر
الى حفلة حضر فيها الملك فيصل وكتب الى السعدون يقول :

ففى السعدون قد حاولت صعبا	فلم أر فى المليك لي اعتصاما
ولو خاصمت نفس الموت يوماً	واحضرتني زدت له خصاماً
وما يخفى عليك أبا علي	مقام لا يخلد لي مقاماً
شمخت على الحياة فكيف ارضى	بجال لا تيسر لي المراماً
يعز علي يا حراً اعتداري	اليك وقد عصيت أخاهما
فانك عاذر في الناس حراً	يعاشر في مواطنه الكراماً
وأنت اذا هزرت به جبلاً	لعادت تستجيب لك احتراماً
يجور الملك معتدياً وإني	لذو شرف نهضت به غلاماً
ألم تر انه في كل أمر	يسأل علي من حقد حساماً
فما ارضى لصدري غير عز	يلوح عليه من خلق وساماً

فهو لا يرى في فيصل انساناً يعتصم به لأنه لم ييسر له المرام الذي يطلبه
ويريده ، لذلك سأل عليه سيف الهجاء ونظم أبيات من اقدح أبيات الهجاء في
البلاط ومن يحيط بالبلاط من رجال ، وخير ما يمثل هذه الرغبة التي تضطرم
بين رزائمه ووقاره وبين احساسه التي تمثل الحرب الدائرة في نفسه لاطهار
رغباته المكتومة ابيات قالها في بيروت في تكريم الريحاني :

هي النفس أغشى في رضاها المعاطبا	واحمل منها بين جنبي قاضبا
تكلفني ان اخبط الليل بالسرى	وان امتطي فيه من الهول غاربا

وتنهضي للمجد بالعزم ماضياً
وإني لاشكوها اليها تظلماً
على ان لي منها حصاة رزينة
لقد تعبت فيما تروم من العلى
وبالهم مقلاناً وبالرأي صائناً
فارجع عنها بعد شكواي خائباً
قتلت بها كل الامور تجارياً
كذلك نفس الحر تلتق المتاعباً

ولكنه لا يلبث ان يثور ويوجه كل هجومه نحو العراق واهل العراق فيقول:
الا عدت عماً في العراق واهله
معايب لو أني هتكت ستارها
ويقولها صراحة:

لنا ملك تأبى عصابة رأسه
تبوء عرش الملك لا بحسامه
ولكن بطيارات قوم تطايرت
وليس له من امره غير أنه
لها غير سيف التيمسين عاصبا
وما كان في يوم له الشعب ناخبا
فكانت علينا من شواظ سحائبها
يعدد اياماً ويقبض راتبها

والواقع ان البلاد العربية قد قسمت بين الحلفاء وكان الملك فيصل محارب
في صفوف الحلفاء وكان من اصدقائهم وثار مع والده ضد الاتراك فما كان
من الحلفاء إلا أن يرضوا الملك فيصل ولو بالمظاهر الكذابة ولست اريد ان اعيد
التاريخ فهو قريب معروف ولكن ذكري هذا بالعصر الذي عاش فيه المتنبي
وعمق اثر المتنبي في نفسية شاعرنا الرصافي فهو يرى كما رأى المتنبي من قبل ان
الحاكمين ليسوا على مستوى عال من الكفاءة والمقدرة إلا ان الظروف هي
التي خلقتهم وسلطتهم على الناس وكما حرم المتنبي من الحكم حرم الرصافي منه
وبقى هذا الحقد على الملك فيصل حتى موته فتجلى في قصيدته التي رثاه فيها

فقال :

ابو غازي قضي فأقيم غازي فانطقنا التهانى والتعازي
وأطلقنا المدائح والمرائي بانشاء لمن وبارتجاز
وجئنا حاشدين بصدر يوم حكى بومي عكاظ وذى المجاز
غداة قلوبنا امتلأت سروراً وحرناً يجريان على التوازي
فهن بعالمي فرح وحرز خوافق في جوانحنا نوازي
فكن من ابتهاج في هدوء وكن من اهتياج في اهتزاز (١)

قال : (ابوغازي قضي) وكأنه ازاح عبثاً ثقيلاً عن صدره ثم قدم التهاني على التعازي والمدائح على المرثي والسرور والابتهاج على الحزن رد فعل نفسي يدل على مبلغ كراهيته لفیصل الذي لم يؤمره .

وحاول الملك فیصل استرضاءه وتوسط الثعالبي في هذا الأمر فقد حدثني السيد خيرى الهندي انه لما بیس الملك فیصل من ان يزوره الرصافي معتذراً ، جاءه الثعالبي ورجاه ان يأخذه الى الملك ، وكان خيرى الهنداوي جالساً فقال للرصافي : « يا معروف إنك تخاف الملك فیصلاً » ، فاجابه الرصافي : « ويحك أنا لا اخاف احداً سوى الله » . فاغتنمها الهنداوي فرصة وقال له : « اذن اذهب وقابل الملك » ، وقد ظن الهنداوي بأن لقاء فیصل والرصافي سيدسوي الامور وانه سيحواله الى جانبه . ولما دخل الرصافي على الملك فیصل ، هس له ، ورحب به ، وأراد ان يمهده طريق الاعتذار ، فقال « يا معروف أنا الذي : يعدد اياماً ويقبض راتباً ؟ » ، اشارة الى بيت الرصافي في هجاء الملك فیصل ، ولكن الرصافي لم يعتذر ، بل جبهه الملك فیصلاً قائلاً : « ارجو أن لا تكون كذلك

(١) ديوان الرصافي ص ٣٣٦ .

يا صاحب الجلالة » ، فاسقط في يد الملك فيصل وأربد وجهه ، ثم خرج الرصافي ولم يعد إليه ، انه لم يقدر أن يقول غير الحقيقة التي يراها ، وكيف له ان يقول غير الحقيقة ؟ انه أراد ان يثبت شخصيته ويؤكد كيانه واراد ان يسمع الناس ان الرصافي قوي الشخصية لا يخاف الملك ولا يترضاه وبذلك ارضى نزغته النفسية وحبه لذاته واكد وجوده . انه لا يقل عن الملك فيصل في شيء . وقد فات الرصافي خدمات فيصل للحلفاء ونسبه وموقفه من الثورة العربية ومن الاستعمار فليس من السهولة ان يغفر الرصافي ويسلم بما يريد .. وقد رأينا من الشعراء من كان ضد الانكليز ونظم في هجوم ولكن سرعان ما نظم في مدحهم والترحيب بهم فتقدم واخذ مكانه بل ان شاعراً من الشعراء ساهم في حرب الانكليز وسرعان ما كان واسطة في بث سلطتهم وتقنى في جريدة العرب بهم فاعتمدوا عليه حتى في احلك ايامهم في العراق .

فهل تعد صراحة الرصافي وقسوة شخصيته مما تلائم المجتمع الذي كان يعيش فيه الرصافي والتقاليد التي كانت سائدة .

ولست الصراحة دائماً مقبولة من المجتمع ، لأنه لم يكن ليفصل بين المرء وأعماله ، وقد اختط المجتمع للناس طريقاً من التقاليد ، لا ينبغي أن يخرجوا عنه ، فمن سار على ذلك الطريق اسبغت عليه النعوت الطيبة ، ومن خرج عنه انثالت عليه النقدرات المرة .

وكان الرصافي لا يرضى إلا أن يسير المجتمع حسب هواه ، وحسب رغبته ، فثار على المجتمع وغضب على الحياة ، ولم يقدر على مهاجمة الشعب ، لأن الشعب لم يكن ذا سلطة ، فظن ان الحكومة والملك والانكليز يقفون

في وجهه فثار عليهم وهاجمهم .
 ومن جراء ذلك لم يحصل الرصافي على ما حصل عليه الشعراء الآخرون
 كالشبيبي وابي المحاسن و احمد الفخري وخيري الهنداوي وعلي الشريقي من الوظائف
 الرسمية بل لم يفز بعضوية مجلس الأعيان التي فاز بها الزهاوي ، فوجه ثورته على
 الملكية والعائلة المالكة . وقد كان من حسن حظ الشعب وحسن حظ الأدب ،
 ان تأتي هذه الثورة بالفائدة المرجوة ، لأنها انفقت مع الحالة العامة للشعب ،
 وكان متوثباً يريد الحرية والديمقراطية والاستقلال ، فوجه هذه الثورة
 بصورة غير شعورية نحو هؤلاء الذين يملكون كل شيء ولا يفيدونه ، ولو
 قيض الرصافي أن يغمض المجتمع عينه عن زلاته الاخلاقية او يكون هو مستقيماً
 في الظاهر لكان شعره غير شعره اليوم ، ولكن ضعيفاً في ثورته ، او معتدلاً
 في شعره السياسي ، بصورة عامة .

الثورة :

كانت حياة الرصافي شكوى عارمة ، وثورة دأمة ، وهي تنفيس
 صادق عما يعانیه الرصافي نفسه، وكان الوعي العام في العراق يفتح على شعارات
 الحرية والديمقراطية فاخذ الرصافي ينظم في هذا المضمار ويطالب بالحرية التي
 اغتصبها المستعمر ، وبجـرية التعبير ، ويهاجم المستعمر الذي بث الضغائن
 بين النفوس فقال :

لم يكفه انه للحكم مغتصب	حتى غدا يقتل الآراء والفكر
إذا رأى نهضة للمجد اقعدھا	وإن رأى فتنة مشبوبة نعرًا
فكم ضغائن بين الناس اوجدها	وكم بذور من التفريق قد بذرا (١)

(١) ديوان الرصافي ص ٣٢٤ .

ولن يعيد الحق الى نصابه والحكم الى اهله الا الثورة ، وتظهر هذه الثورة
 عندما نظم في ذكرى السعدون ، صديقه الذي كان يسبح عليه عطفه ورضاه :
 وإنا لقوم مستقلون فطرةً إذا انكر استقلالنا منكر ثرنا
 فلو جُعِلت تبرا سبيكا بيوتنا ولسنا بحكام أبننا بها السكنى
 يهون علينا في السياسة أننا نُصلب في الأعواد او ندخل السجنا
 الرصافي والحكم :

تبدو رغبة الرصافي واضحة جلية في الحكم ، وحب الظهور في المجتمع ، في
 شعره فهو يستنكر اغتصاب المستعمر الحكم وقتل الآراء ومصادرتها ، لا يرضى
 الرصافي أن يحكم العراق أجنبي فيقول :

لا خير في وطن يكون السيف عنه د جبانه ، والمال عند بخيله
 والرأي عند طريده ، والعلم عنه د غريبه والحكم عند دخيله (١)
 ان كلمة « الحكم » ومعانيها تسربت الى شعر الرصافي ، ولولا سيرته
 الخلقية المربية التي اشتهر امرها لتقدم كثيراً في معارج الحكم والحياة
 السياسية والادارية ، ولاصبح وزيراً شأنه شأن قسم من شعراء هذه الفترة .
 فلما حرم اظهر غضبه على الحاكم .

أهل الرصافي رسمياً ، ولم يطمع ما يستحق من العناية من جراء هذا الامر
 ولكنه مع ذلك لم يترك بلا عون مالي ، فقد كان له راتب منذ دخوله العراق
 وقد عين معاوناً لمدير المطبوعات ، ولم يكن لها مدير ، وكان له راتب شهري قدره
 ٥٠٠ روبية عندما ترك مديرية المطبوعات (٢) وانقطع الراتب ، ثم اعيد اليه

(١) الديوان ص ٢٤٧ ، ولاحظ فصل السياسيات

(٢) الشعر العراقي الحديث ص ٢٥٢ .

وقد كان له راتب تقاعدي ، وإن كان ضئيلاً ، كان يكفيهِ ، وكان
الأصدقاء يمدون له يد المساعدة (١) ، والمجتمع البدائي لا يرى المنزلة إلا للقوة
والحكم وقد فقد الرصافي الحكم والقوة فشعر بمرارة وأسى واراد ان يفرض
مركزه بتصرفاته مع أصدقائه ومع اقرب الناس اليه ، وهو يبدو في ذلك
شاذاً ، والحق ان الرصافي كان شاذاً في تصرفاته وحتى أقرب الأصدقاء اليه
يشهد بشذوذه ، وهذا الاستاذ مصطفى علي يقول : « اذ أننا نحن حفظة الرصافي
نعرف ان له من الشذوذ ما لو رآه هو عند غيره لأخذ منه العجب مأخذه ، ولو
أبصره من سواه لانكره عليه كل الانكار » .

واعل مرد هذا الشذوذ هو رغبته في أن تفصل الحياة على وفق ما يريد
الرصافي لا على ما اتفق المجتمع عليه من نظم عامة ، ولعلي لا ابالغ اذا قلت ان عدم
منح الرصافي المركز الاجتماعي سبب كل هذا الشذوذ أو ان هذا الشذوذ هو
الذي جر الرصافي الى عدم حيازته المركز الذي لم يكن يرضاه لنفسه . ان الرجل
الذي يشعر بأن المجتمع قد ظلمه وأن الدنيا لا تسير على هواه يكون صادقاً في كل
شعره لأنه يعبر عن آلام نفسه ممثلاً لآلام المجتمع ، وقد اجتمعت هذه الصفة
في الرصافي فاجاد في شعره ، وكان صادقاً في مشاعره في كثير من شعره لأن
الشعب المضطهد المتألم التف حولهُ وتناشد شعره فسار واشبع رغبته في الظهور
وابتات الذات فابدع في نظم القريض .

والرصافي يهمة أن يكون محترماً وبهمة أن يبدو هذا الاحترام للناس ، فلو ألفت كتب
عنه في حياته لكان اثرها عمقاً في نفسه ولأعادت الطمأنينة الى قلبه ، ولو أن

(١) « الرصافي » مصطفى علي ، فصل الاستاذ ذلك في حديثه عنه ص ٦٥ .

حفلات التكريم توالى عليه لكان أثرها أكثر عمقاً في نفسه ، إن المظاهر
وخداع المظاهر لها أثر كبير في النفوس الفلقة المضطهدة .

مساعرتي :

كتب نوري ثابت في جريدته « حيزبوز » مقالاً تلخصه هنا قال :
استدعاني أحد الوزراء فقال نحن دفعنا مبالغ كبيرة لصحافيين جاءوا الى العراق (١)
ولكن الرصافي ابن الوطن البار مهجور في الفلوجة فيجب أن تذهب اليه
وتكلفه بقبول النيابة الشاغرة ، واذا أراد فليبق معارضاً في المجلس ، وتفقد
داره وقدم له مساعدة مالية ريثما تتم عملية الانتخاب ، لأنه ليس من الانصاف
والرؤية ألا يكرم شاعرنا العظيم وابن الوطن البار القائل :

أنا ابن دجلة معروفاً بها ادبي وإن يك الماء منها ليس يروني

قد كنت بلبها الغريد انشدها اشجى الاناشيد في اشجى التلاحين (٢)

واستأجر نوري ثابت سيارة وأخذ معه ابا حمد (٣) وحاتم الكرخي (٤)
وسافروا الى الفلوجة ، وعرض على الرصافي الأمر ، فكان جوابه : أما النيابة
فانا أقبلها ، ولكنني أرفض قبول التطفل على خزينة الدولة وافضل الموت جوعاً
على التطفل (٥) .

(١) عرض نوري ثابت بمعروف الرناووط ، ويعتبر نوري ثابت نفسه من اقرب الناس
للرصافي ومن تلاميذه المخلصين . وتبجأت رغبة نوري ثابت في تقدير الرصافي بما كان
يشرحه من قصائده وينشر من التعليقات التي كانت تصدر عن شعره . لاحظ جريدة « حيزبوز »
السنة الخامسة ١٩٣٦ .

(٢) قال سالم بن دارة في شرح ديوان الحماسة ص ٣٧٠ ج ١ ، ط محمد محي الدين عبد الحميد :

« انا ابن دارة معروفاً له نسي وهل بدارة يا للناس من عار »

(٣) هو المرحوم الصحافي الفكاهي عبدالقادر المميز صاحب جريدة « ابو حمد » .

(٤) مدير ادارة جريدة « حيزبوز » .

(٥) جريدة « حيزبوز » وكانت اسبوعية العدد ٢٤٣ - ٥ - ١٩٣٦ .

من هذا تتجلى لنا أمور كثيرة ، منها ان الرصافي لم يكن منسياً بل كان اصحاب السلطة من الساسة يريدون أن يستفيد الرصافي ، وكان يؤلمهم ان يروه محتاجاً ، وكانت لهم علاقة خاصة به ، علاقة ود وعلاقة اخاء ، ولولا شذوذ الرصافي لما تأخروا عليه بالوظائف العالية ، والأمر الثاني ان الرصافي رضى بالنيابة ورفض المبلغ النقدي لأن قبوله المبلغ النقدي معناه ان الرصافي يعيش عائلاً على غيره ، وانه آلة تستعمل ، وزينة لا اهمية اجتماعية لها ، ولو لم يكن الرصافي طموحاً لرضي بقبول المبلغ الذي ارسل اليه ، فقد وجدنا بعض الشعراء يعرفون في عهده ومن بعده من خزينة الدولة ومن غير خزينة الدولة من اغنياء البلد وموسريه من غير أن يشعروا بغضاضة او ذلة ، اما الرصافي فلم يكن يرضى ان يذل نفسه ويقبل المنح كيلا يكون بوقاً ، وتحقق بعض حلمه في الخروج على المجتمع ، فهو يأخذ المال ولكن بطريق يرضاه غروره .

وقد حدثني السيد خيرى الهنداوي ان للرصافي راتباً يتقاضاه وكان هذا المبلغ يميته به رسول خاص ، فكان يأخذ الراتب ولا يوقع اعترافاً بالتسليم ، ويطرد الرسول بعد أن يتسلم الراتب . الأمر الثالث قبوله لمنصب النيابة ، وهو عمل مبرقع يرضي كبريائه وغروره ، فاننا لا نجد فرقاً بين نائب يعين ويقبل الراتب وبين قبول التخصصات السرية ، الفرق في الاسماء ولكن النتيجة واحدة انه اصبح موظفاً ما دامت تعرض عليه النيابة ، بل كان يعرف انه عين في هذا العمل . فقد حدثت ان احد اصدقائه ذهب اليه ليبارك له انتخابه فقال له : « بارك لي التعيين » . الأمر الرابع ان عناية الناس به لم تكن تتجلى بالعطف عليه بل كانت بالاعجاب بشعره لذلك لم يسجن او يطارد او يضايق في رزقه

حتى في اخرج واحلك الأحوال السياسية ، ففي سنة ١٩٤١ ايد الرصافي الثورة العراقية على الانكليز ، وهاجمهم وهاجم اعوانهم بقصيدة مطلعها :

اليوم قري يا مواطن أعيننا وتطربي بالحمد منك الألسنا
فلما انتصر الانكليز ، واحتلوا العراق مرة ثانية ، جرت اعتقالات واسعة النطاق والتي القبض على قادة الشعراء والكتاب الذين أيدوا الثورة ، ولكن الرصافي كان قد استثنى من هذا الاعتقال .

كان الرصافي يريد أن يأخذ الشيء بالعزم والحزم والعمل ، وأشار الى ذلك في مواضع كثيرة من شعره :

إن الخصال التي تسمو الحياة بها عزم وحزم وإقدام ومقتحم
وكانت نفسه نفس الفارس القوي الذي يريد أن تسبغ عليه اثواب التحميد
كالبطل الذي يدخل المعركة بلا خوف او رهبة فيقول :

فليذهب اليأس غني خاسئاً ابدأ إني بحبل رجائي اليوم معتصم
ولست ممن إذا يسعى لحادثة يسعى وارجله بالخوف تصطدم (١)
وظني ان الشاعر لو اتيح له ان يكون ضابطاً لكان من خيرة الضباط (٢) ،
ففي حياته وخلقه ما يؤهله لأن يكون من اقدر الضباط ، فهو قوي الجسم ،

(١) الديوان ص ٤٤٦ و ٤٤٧ .

(٢) « ارسل الرصافي في سن الثانية عشرة الى المدرسة الرشدية العسكرية لأن هوى الأهلين عهدئذ أن يخرج أولادهم ضباطاً في الجيش ، وهذا سبيل الجندية أو إمارة الجند تعلم فيها ثلاث سنوات ثم رسب فانزعج الحدث المرهق الذهن وغادر مهبداً الى غير رجعة » .

رفائيل بطي . الكتاب المصري ٢١ - ٢ - ١٩٤٧

واسع الصدر ، طويل القامة ، مهاب الخطو (١) ، وقد كان والده في صفوف
الجندرمه (٢) ، فهل كان اخفاقه في ان يكون ضابطاً سبياً في غرس غراس
الثورة والنقمة في لا شعوره ؟ أم أن سبب الثورة والنقمة هو انه لما حرم المنزلة
الاجتماعية ، والمقام الذي يشاق اليه ، شعر ان لاشيء يحترم كالقوة ، فقال :

قد علمتني اليمالي في قلبها ان الموفق فيها السيف لا القلم
وان اصدق برق انت شائمه برق تبسم عنه الصارم الخدم
واخصب الارض ارض لا تسح بها الامن النقع في يوم الوغى ديم
من كان يكذبني ان الحياة منى فليس يكذبني ان الحياة دم
ولم يكن الرصافي بقادر أن يكون ذلك الفارس البطل الذي يحقق ما يريد
بالقوة ، فليفرض ارادته بتصرفات شاذة ، كما كان يعامل أصدقاءه ومعارفه ،
لأنه كان يعتقد في قرارة نفسه انه لم ينل ما يريد من منزلة فيجب أن يتظاهر
بالاباء والشمم ، فقال :

لا يكسب النفس ما ترجوه من شرف إلا الاباء وإلا العز والشمم
لا يوءسنتك أن الحرر محتقر عند اللثام وان الوغد محترم
فالعقل يتهم الدهر المسيء بدا وما يعيبك أن الدهر متهم (٣)
إن أكثر شعر الرصافي كان صادق العواطف لأنه كان يحس بالاضطهاد ،
وبالحرمان من المركز اللائق به بين الناس ، وصدقه في العاطفة حول

(١) : « طويل القامة ، عظيم الألواح ، ممتليء الجسم ، قوي البنية » - رفايل بطي
الكاتب المصري .

(٢) وكان قبل ذلك في الجيش والجندرمه : الدرك

(٣) الديوان ص ٤٤٦ .

شعره الى همسات في اذن الشعب كان له اعمق الأثر في النفوس (١) ،
لأنه كان صدى لمشاعر الناس . وقد كان الأمل يداعبه بين فترة وأخرى بأن
الشعب لا بد أن يحصل على ما يريد ، ولا بد أن يفوز بأمانه ، لذلك نجده يجدد
ذلك بقوله :

انتي مبصر تباشير صبح	ستقضي على ظلام الأمانى
انتي استشف من غير الـ	دهر انقلاباً يعم كل مكان
سيعود الضعيف محترم الحق	ويمسي الظلوم في خسران
فيئوه المستعمرون بخسر	وتضيء البلاد بالعمران

وقد تحقق رأي الرصافي وعم البلاد أكثر من ثورة وانقلاب ولكن
ما زال في البلاد العربية ظل المستعمرين وما زال العرب متفرقين والعرب في
تطاحن داخلي .

ويلاحظ القاريء في تصرفاته وفي شعره كثيراً من التناقض ولو سبر غور
نفسه لوجده قد تأثر كثيراً بالأحداث العامة فسارت هذه الاحداث مع رغباته
الكامنة ومتى وجدت الاحداث العامة مسرّباً تتسرب منه الى اعماق الشاعر
فسوف تتلاءم مع اغراضه النفسية الدفينة في العقل اللاوعي ثم تخرج صورة صادقة
لوعي الجماهير واحداثها العامة فينظم شعراً تتجاوب معه رغبات الشعب ويهتف
له ، وهذا ما حدث للرصافي فقد سارت آلام الشعب والوضع الشاذ في العراق
مع ما كان يعانيه من عناء نفسي جاءه من حرمانه من المنصب الحكومي الممتاز
ولو كان الرصافي وزيراً أو موظفاً كبيراً مرموقاً لاختلف شعره كما اختلف شعر

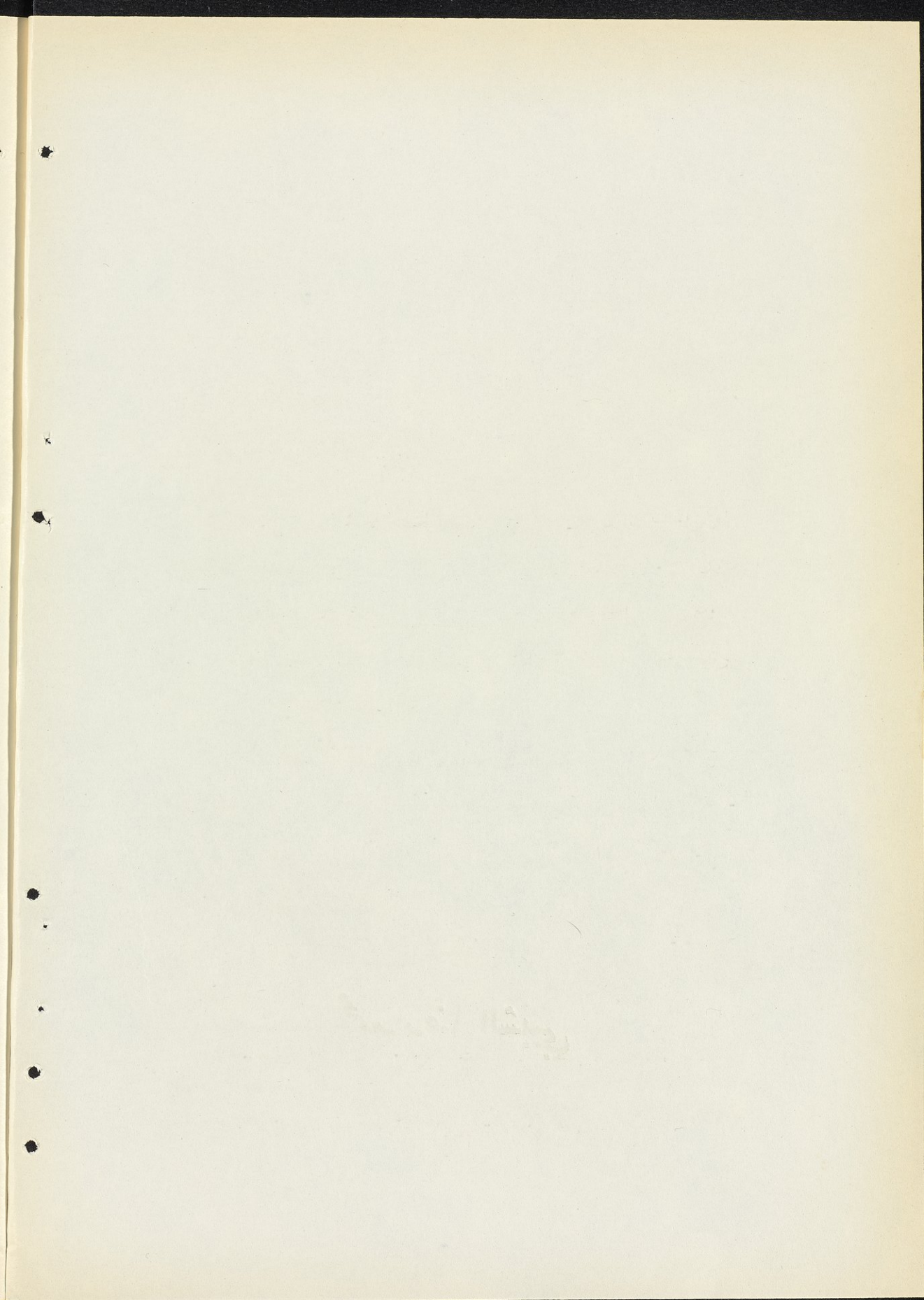
(١) تحدث الاستاذ مصطفى علي عن صدق الرصافي في ص ٨٢ و ٨٣ من كتابه «الرصافي»

حافظ ابراهيم عندما عمل في دار الكتب واصبح يتمتع بمنزلة (البكوية)
فالرصافي عندما الفى عمله مفتشاً ونقل الى تدريس الآداب في دار المعلمين
العالية نقل عليه الأمر فترك عمله متجهاً الى البصرة سرّاً محتجاً على ذلك وقد
كان يريد ان يكون سكرتيراً لمجلس الأعيان أو مديراً للمطبوعات .
وكل امانى الرصافي كانت منصبيةً على أن يكون عيناً في مجلس الأعيان
ان فاتته الوزارة ولما حرم من هذه المناصب ورأى من لا يدانيه منزلة ثار وتالم
وصب ثورته على المستعمر وعلى الملك وعلى الدولة ومؤسساتها فأغنى الأدب
والتاريخ الأدبي بانتاجه (١) .

(١) لاحظ جريدة الاستقلال العدد الصادر في ١٦ تشرين الاول ١٩٢٨ لصاحبها

عبد الغفور البردي .

محمد رضا الشيباني



العراق في العهد العثماني (*) :

كان العراق أحد الاقطار التابعة للدولة العثمانية ، وقد عانى العراقيون من عنت الولاة ما عانوه ، ولسكنهم كانوا يكتمون ما يعانونه اكراما لدولة الخلافة الاسلامية . وقد جر بقاء العثمانيين في العراق مدة طويلة الى تقلص ظل اللغة العربية ، حتى لم يبق لها موئل الا المساجد التي ادت الى العراق ما اذاه الجامع الازهر لمصر ، فقد كانت حصن العربية الحصين .

أما الحياة العامة فكانت تزخر بضروب متنوعة من العلال الاحتماعية والسياسية ، وبصنوف مختلفة من نظم فاسدة ، وهي حياة كان يرجى لها أن تزدهر لما امتاز به العراق من وفرة المياه وخصوبة التربة ولطف المناخ ، ولكنها حرمت الرفاهية ، وعمتها الفوضى ، وشاع فيها الجود والفقر والجهل والمرض . وكانت ولاية بغداد تباع في المزاد العلني في الاستانة ولذلك اهملت المشاريع العمرانية ما خلا الاعمال الجليلة التي قام بها الخالد الذكر مدحة باشا (١) .

(*) لاحظ جريدة « الحارس » للاستاذ صبيح الغافقي العدد ٥٢ الصادر في

١٠ / ٢١ / ١٩٥٣ .

(١) تصيل ذلك في « الشعر العراقي في القرن التاسع عشر » .

برء النهضة :

وعندما احتك العراقيون في الاستانة بالعرب الذين جاءوها من الاقطار العربية ، تبلورت لديهم الفكرة القومية العربية واخذت تنمو وتفتح عن أنضر الأزاهير وأطيب الثمرات ، فقد شعر العرب بأن لهم كياناً كبيراً وأن لهم ماضياً زاهياً ، وان لهم مقومات قومية عريضة . ورسخت في نفوسهم الثقة . ودب الاعتداد في قلوبهم ، واحسوا بأهمية امتهم وتأريخهم .

ولا أشك في أن بداية الوعي العربي كان غير واضح الخطوط والمعالم في الاذهان ، ولكن الاتجاه نحو اللغة العربية ومحاولة الارتفاع بمستواها ، قد حرّكا هذا الوعي ، ثم اعقب ذلك الاتجاه العام نحو الحضارة العربية واحياء التراث الفكري ، فكانت حركة محمود سامي البارودي في التجديد ، ومحاولة اسماعيل صبري باشا أول باعث للارتفاع باللغة العربية وتجديدها .

فاخذ شعراء العراق يرسلون بقصائدهم الى مصر ، وهي تطفح بالثورة ، وتفيض بالسخط على الحالة العامة في البلاد ، لأن تجاهل العرب وانكار قوتهم والتغاضي عن مكانتهم خرجت من دائرة اهمالهم في المشاركة في حكم البلاد الى تهديد كيانهم ، والقضاء عليهم وعلى قيمهم العربية الاصيلية ، فادى الامر الى بلورة الوعي العربي ، والتحفز لانقاذ شخصيتهم ، لانهم احسوا بالخطر الداهم . وقد ظهر عمق الوعي العربي في البلاد العربية عامة وفي العراق خاصة رغم المظاهر الدالة على موت هذا الوعي أو اضمحلاله بتأثير العامل الديني .

وقد حاولت عوامل كثيرة منذ الغزو المغولي حتى هذه الفترة التي نحن بصدها الآن ، قتل الوعي العربي سياسياً إلا أن عمق هذا الوعي بقي صامداً

وما ذابت الذاتية العربية بل كانت هذه العوامل بواعث على استمرار حياة ذلك الوعي والمحافظة على بقائه حياً ، وكان من اهم مظاهر ذلك ، التأكيـد المستمر على اللغة العربية لانها أقوى رابطة تجمع العرب وتحافظ على كيانتهم وحضارتهم . وكانت مصر تفتح صدرها وتنشر هذه القصائد ، وكانت جرأة هذه القصائد مدعاة شك في أن يكون ناظموها شعراء العراق ، حتى أن الشاعر الكبير بشارة الخوري لم يكن يصدق أن في العراق انساناً يدعى الرصافي ، بل كان يظن ذلك لقباً مستعاراً ، لما امتازت به أشعار الرصافي من جرأة وتحميد للحكام وشرح للحالة العامة ، وكان الشعراء يحاولون أن يظهرُوا في شعرهم أثر الثقافة الجديدة والفكر الحديث لما كانوا يقرأونه في الهلال والمقتطف والسياسة .

والشبيبي أحد هؤلاء الشعراء الذين مثلوا الشعر العراقي في هذه الفترة ، وأسهم في وصف حالة العراق الفكرية والسياسية . والشعراء في كل أمة هم السنة الشعب المعبرة عن أمانيه وخلجاته ومتى سرت الروح القومية وانتشرت الدعوة للمطالبة بها ، ومتى شعر المجتمع بذلك وحمل الشعراء هذه الرسالة ، فلا شك ان شعرهم يكون ترجماناً صادقاً عن أمانى الشعب كله .

رور الشبيبي :

تأثر الشبيبي بما حاق بالبلاد وقد كان يدفعه دافعان عميقان ، الدافع الاسلامي ومقوماته الثقافية والتاريخية ، والدافع العربي الاصيل الذي تبلور بالتيارات العربية ، وما فيها من مظاهر عامة في الحرية ومقومات اقتصادية تدعو الى انقاذ الامة ورفع مستواها الاقتصادي . وقد حافظ الشبيبي على هذين الدافعين في شعره فقد كان شأنه شأن أي عربي يشفق

من زوال الحضارة الاسلامية وتراثها العريق ، ولا يرضى ان يتخلى
عن عربته او أن يفقدها وبذلك لا يمكن التمييز دائماً بين العروبة والاسلام
في تفكير أي شاعر من هذه الفترة . فدعا هذا كثيراً من الباحثين أن يخلطوا
بين آراء الشعراء ولم يقدرُوا أن يصنفوا شعراء العرب تحت المفاهيم الجديدة ،
فخلطوا بين التيار الاسلامي والتيار القومي .

كان الشيبلي يعيش في منطقة الفرات وكانت هذه المنطقة وحي الهامه وفيض
شعره ، وكان يراها متأخرة جاهلة مريضة فيشعر بما حاق بهذا الجزء من الانحطاط
ولكن لم يكن بقادر على أن يعمل شيئاً لرفع المستوى العام له ، فينفس عن
احزانه بالدم الهتان فقال :

أبي دمع يفيض من أي مقله	لوقوفي بين الفرات ودجله
لست ابكي على فراي فرداً	أنا ابكي على الجزيرة جملة
وحقيق إذا تألم عضو	أن تناجي آلامه الجسم كله
جل ما بي اني ارى الماء عذباً	أخذ المالح الأجاجي جملة
من ترى حرّم الزلال علينا	وعلى الساكنات فيه أحله (١)

كان العراق بلداً متأخراً لا يقدر ابناؤه على شرب الماء الصافي ،
وكانت روح الالم والنقمة تصور له ما في الحياة ألماً وحسرة ، والشاعر في
الظروف الاعتيادية يطرب لخربير الماء ، ويخلق طويلاً مع موسيقاه ، لكن شاعرنا
يبكيه هذا الخربير لأن مياه وطنه تذهب هدرأ دون طائل الى البحر وابناء
العراق يبكون من الفقر وارااضي العراق جرداء بور فقال الشاعر :

(١) ديوان الشيبلي . القاهرة . سنة ١٩٤٠ ص ٥٣ .

ما إخال الخير والماء إلا صوت حزن وعبرة مستهله

ان بذل الدم هو آخر ما يقدر عليه الشاعر في بلد سلط عليه سوط الارهاب
ان الثورة المباشرة والمبادأة بها معناها الثورة على السلطان ، وعلى الحكومة القائمة
لذلك أراد ان يبعث الثقة في نفوس الشعب ؛ ومتى وثق الشعب بنفسه ، وقارن
حاله بماضيه تبدأ اول بوادر النعمة والثورة . فاخذ الشيبني يذكر الشعب بما كان
عليه الآباء ، وما قدموه ، وكيف انهم كانوا سادة الدنيا ، وكانت بلادهم عربين
اسود وغاب ليوث ، وان هذا الانحطاط الذي وصلوا اليه لا ينزلهم بمنزلة كريمة .
انه اراد أن يستثير همهم دون ان يقول إن الحاكمين هم الذين جروا البلاد الى
ماهي عليه اليوم فقال :

أين ذاك العراق ؟ اين بنوه ؟ ليتهم ابصروا العراق واهله
اديار ؟ لا بل مكامن أسد ورجال ؟ لا بل ليوث مدله
أو لم تكف علة الفقر قومي فاستزادوا من الجهالة عله (١)

العراق بلد الخيرات حباه الله بكل مقومات الرفاهية والسعادة ففيه المياه
الوفيرة والاراضي الخصبة ، وكان يعيش في ربوعه ملايين من البشر ، وكان
مخضر الجنبات ، واسع الخيرات ، فاستحال الى قفر يباب لا حياة فيه إلا في بقع
متباعدة هيمن الفقر عليها ، فتدب روح الالم بين جنبي الشيبني عندما يرى مياه
دجلة اهم عنصر من عناصر الغنى تذهب هدرآ الى البحر فيخاطب دجلة قائلاً :

يا ماء دجلة عذبا في مواردك لأنت في كبد الفلاح يحموم
الفقر فيك مذود وهو منتقر والبحر منك مجود وهو محروم

(١) الديوان ص ٥٣ - ٥٥ .

الظلم ينفيك عن اهليه مضطهداً أنت أم كل ماء الارض مظلوم ؟
ثم تندلع نار الثورة في شعر الشاعر فيصرخ في وجه قومه الذين تخاذلوا
وما قاوموا عندما اغتصب حقهم قائلاً :

ناديت قومي وحق القوم مغتصبٌ وصحت شعبي وحق الشعب مهضوم (١)

ومتى اتخذ الشاعر ناحية من نواحي الخير اداة لفنه ، لينير السبل في الدياجي
الحالكة ، ومتى استنهض الغزائم الهامدة ، ووقف شعره على نواحي الاصلاح
فقد أدى رسالته في هذه الحياة ، وقد كان العصر الذي عاش فيه الشيبلي بومئذ
آخر عصر الدولة العثمانية وهو عصر اليقظة الفكرية ، وكانت تهدف هذه
الحركة الى اصلاح البلاد سياسياً واجتماعياً ، وقد تأزر كثير من شباب العرب
هذه الدعوة ، وكانت مساعي شاعرنا جلية وكريمة ، خاصة في الصحافة ، فاذا
تبعنا ما نشر له في صحف مصر كالزهور والمقتطف وصحف سوريا كجريدة
البرق والمقتبس ، ومجلة العرفان وغيرها من المجلات والجرائد ، لوجدنا شعره
السياسي زاخراً بالمناداة بالاصلاح ، فقد استوحى اوضاع وطنه وخصوصاً في
الكوفة والحلة والنجف والديوانية والمنتفك واتخذ منطقة الفرات بصورة عامة
الهاماً لشعره وقد اخلص شاعرنا لمثله العليا ، فكان صورة واضحة لما مر بالعراق
من حوادث ، ووصفها ووصفاً صادقاً ، وكان سجلاً حياً للحياة الاجتماعية
والسياسية ، قبل الثورة العراقية ، وقد كان شعره صدى لما غمر النفوس الثائرة
من ألم ومسارة ، ولأن قومه :

أما شهيد معلى فوق مشنقةٍ أو موثق بجمبال الاسر معتقل

(١) الديوان ص ٥٦ - ٥٧ .

ان مصائب الوطن اصبحت جزءاً من كيانه فلا يخلو شعره منها حتى وإن كان غزلاً ، فقد انعكست هذه المصائب ، في نفسه ولم يقدر أن ينظمها بصراحة ، فتسربت في اغراض الشعر الاخرى ، فان ما يشكوه من جور الزمان وما جرت به عليه الايام لم يكن في حقيقة الامر الاشكوى كامنة ، ضد الحكام الذين تسلطوا على العراق وعاثوا بمقدراته ، وقد كان يؤلمه ويقض مضجعه انه لم يجد الرجل الذي ينقذ الامة مما حاق بها لان الرجال قد انصرفوا الى مصالحهم الخاصة ، اما جبناً أو طمعاً فقال يستجير بالله ليمعت للامة بالرجل :

يارب من لا ناس ما لهم أحد؟ يارب من لرجال ما بهم رجل (١)؟

هذا هو تقرير الشاعر المتألم الذي لا يجد بين الرجال رجلاً يخلص بلاده ويأخذ بيدها نحو الخير ، أما الحكم فمأهم الازعانف ومن صفار الرجال جاءتهم مقاليد الحكم بغفلة من الزمن . ومن اخذ الحكم بغير جدارة ملكه الحكم واستسلم للمخازي والمساوي . ومتى أيقن الحاكم انه جاء للحكم بالقوة دل على الشعب واعتقد انه يمنحه رحمته ورضوانه ، وعلى الشعب أن يسبح بحمده آناه الليل وأطراف النهار ، والا فالويل له ، هو الجاحد للفضل والنعمة ، رغم مساويه التي لا يعدها عاد .

ان الزعامة سلمت لزعانف في الشرق قادوا أهله فانقادوا

أما مخازيهم فليست تنتهي ولو انقضت وتناهت الاعداد (٢)

ومع كل ما كان يشعر به من غمط لحقوق بلاده من قبل الدولة العثمانية

(١) الديوان ص ٢٩ .

(٢) الديوان ص ٣٨ .

الا انه أبدى من ضروب الوفاء الاسلامي ما يقدر عليه ، فعندما هاجمت انكلترة
الدولة العثمانية استعد للدفاع عن الدولة المسلمة ضد المستعمر الغربي ، وآثر أبناء
دينه واشترك في الحرب مع المجاهدين العراقيين ، وقال يصف الحرب بأسلوب
رشيق وصفاً رائعاً :

طلائع يوم الوعد انجزت الوعدا	وأذهلن جيلاً ما أعاد ولا أبدى
من الغرب هدّت جانب الشرق نبأة	وفي الغور صوت موحش طرق النجدا
لذن اضحت الدنيا مكرراً ومن بها	من الامم الكبرى معبّأة جندا
مكشرة شوهاه فوهاه انشبت	بنا وبأهل الارض انيابها الدردا
فكننت اذا أطلقت طائر نظرة	لنكفبها احشاءنا استعرت وقدا
لظى نضجت فيها الجلود وعاذر	بجاحمها أن ينضج القلب لا الجلدا
فلا حرها يُطفأ ولا هو يتقى	ولا نارها كانت سلاماً ولا بردا
هي الحرب ما شبت أداة رديئة	والقاحها في غير منفعة أردى
مظنة جرح دبروها لتشتفي	فانجع التدبير فيها ولا أجدى
الى أن بدت نغارة ذات قرحة	فما وجد العراف من نكثها بدا
الى أن أتى ما ليس يملك دفعه	ولا يستطيع الجالبون له ردا (١)

ولمركز العراق الممتاز بين الشرق والغرب ، أصبح هدفاً لحملات متعددة
وشهدت أرضه معارك تاريخية حاسمة ، وبذل الساسة الغربيون جهودهم
للاستيلاء عليه ، وكانت اولى هذه الخطوات عندما بدأ الانكليز بالمحافظة على
طريق الهند ، ووسعوا هذا الطريق حتى شمل العراق خوفاً من استيلاء الالمان

(١) المصدر السابق ص ١٥ .

عليه بعد أن مدوا خط بغداد براين المشهور . لذلك سارعوا الى احتلاله وأسسوا فيه نظامهم العسكري الذي برم به العراقيون ولم يطبقوا بقاءه .

والشعب العراقي يكره الحكم العسكري الذي يذيب شخصية الفرد ولا يعترف بحريته فكيف يرضى بحاكم عسكري بعيد عنه في الدين واللغة ولا يمت له بأية وشيجة . لذلك كانت ثورة العراق العارمة سنة ١٩٢٠ الثورة التي كبدت القوات الانكليزية المحتلة خسائر كبيرة ضج لها مجلس العموم البريطاني وبدلوا جهدهم في ارضاء الشعب والمحافظة على مصالحهم تارة بالمعاهدات وطوراً بتفتيت قوى الشعب الوطنية بطرق مختلفة .

الشبيبي والملك حسين :

وعندما حدثت الثورة العربية ضد الدولة العثمانية كان الشبيبي مبعوث العراقيين الى الملك حسين والقادة العرب الثائرين في الجزيرة (١) وبعد أن بلغ الرسالة اتخذ طريقه الى دمشق . التي كان فيها الملك فيصل الاول . وفيها شاهد دخول الجيش الفرنسي يطأ أرض سورية العربية ، وتنحطم الدولة الفتية فتحقق جل ما قاله في قصيدته :

ماذا بنا وبذي البلاد يراد فقدت دمشق وقبلها بغداد
ومنها :

وردت مياه الرافدين مغيرة شقر من القب البطون ووراد
هجن طردن من الجياد كرائمآ عربية فكانهن جياد
بردى واودية الفرات ودجلة والنيل غص بمائك الوراد
حال العلوج من الاحامر بيننا وتعذر الاصدار والاراد

(١) ومن طريق ماروي ان الملك حسين قال للوفد العراقي انا لا ابخل بارسال أحد اولادي غير أنني اخاف أن تصنموا به ما صنتم بجده الحسين .

انها بلاد واحدة لشعب واحد باهدافه وآماله ولغته وأمجاده ، يحول المستعمر
البعيظ بين اجزائها ويقسمها الى دول وممالك فاحال اعياده الى ما آتم ،
وكيف لا تتحول الى ما آتم بعد أن فرق العدو هذه الأمة :

الجو وهو مقطب متجهم يبكي لنا، والارض، وهي جاد
لسنا نحد عليك يوماً واحداً أو ليلة، كل الزمان حداد
شل العداة جموعنا ففترقت في الخافقين كأنها أذواد (١)

ويهصر قلبه الحنين الى دمشق ، والى الغوطين ، فهني بلاده التي حال
الاستعمار دون الوصول اليها فاذا بعواطف الشاعر تضطرم بالحنين واللوعة وتثور
في نفسه ذكريات دمشق المحبوبة ، فيتساءل حيران قلقاً :

هل في مروج الغوطين لأهلها ولرائديها مربع ومراد؟
وهل الربا حملل ضواف طرزت وطرزها الازهار والاوراد
وشيت من الروض الاريض مطارف خضر الأديم، وفوفت أباد
بين الغصون ومن مشين تشابه في الحال كل مورق مباد

ويتذكر الامجاد القديمة أيام صلاح الدين الايوبي وأيام الفاتح محمد
والفاتح مراد وكيف وقفوا بوجه المستعمر الذي استباح الحرمات فحسي حاسراً
ذليلاً وأخذ يلقي اللوم على العرب لتفرقهم وعدم حفظهم حرمة الاجداد، كما
حفظها الآباء :

أضدادكم متساندون قد اجتنوا ثمم الوفاق وأنتم أضداد
ان هلع الشيببي على مروج الغوطين فيه رقة وعذوبة وفيه اخلاص العربي

(١) لو قال فل العداة بدل (شل) لاستقام المعنى مع (تفرقت) .

لبلده ، وخوفه من أن يدمر المستعمر جمال الرياض وعطر الزهور ، وينزل
بساحتها الاحزان .

والفاتحان (محمد) و (مراد)	رُزِيء الصلاح صلاح دين محمد
في الله حـدّ دأّم وجهاد	الذاهبون مضى لنا بندهابهم
ما هكذا تستنجب الأولاد	خُنا ذمام الفاتحين وعهدهم
بئس البنون ونعمت الاجداد	انا بما نجني وهم فيما جنوا
ناراً ، ونار الآخريين رماد	كانت حقائق (يعرب) إن صوليت
فيينا ووالد (عنترة) (شداد) (١)	إني يذكرني الشهامة (عنترة)
لحم و (آل محرق) و (إياد)	ويهزني عصر (العراق) تسوسه

وكان كثير الريبة بالمحتلين وقليل الثقة بهم ، فلم يصدق وعودهم التي بذلوها معسولة
في الاصلاح ، فقال :

برقاً جوانب وعده إبعاد	وعدوكم الاصلاح فلتتوقعوا
سكك الحديد بارضنا أصفاد	مدوا الحديد وما اهتزت لمده
شرك به شرف العراق يصاد (٢)	طرق الحديد إذا التوت وتشابكت

الربيع :

وقد كان الشيببي شديد الحرص على تماسك الامة وعلى وحدتها ، وكان

(١) يقول العرب (عنترة) وليس (شداد) من ابطال العرب المعدودين .

(٢) المصدر نفسه ص ٣٣ - ٣٨ .

أي تفرقة يراد منها شق وحدة الصفوف، لذلك حارب رجال الدين الذين يريدون
أن يفرقوا بين أبناء العرب فقال :

يا قوم ما الدين عادات معطلة وإنما الدين تحليل وتحريم
وما السياسة والأوهام فاعلة تحكم كيفما شاءت وتحكيم
لا تجعلوا آلة التفريق دينكم فالدين عن وصمة التفريق معصوم (١)

وقد كان يرى ان نداء الاصلاح غريب على قومه ، لذلك يؤلمه
نومهم فيقول :

سألتك لا تجيب فما لقوي اسألهم وما فقهوا سؤالي
أخسفاً يا بدور الشرق يا من يرف عليهم علم الهلال؟
سكنتم ناعمين على مهـاد له حركات وضع وانتقال (٢)

ولا عجب فالشبيبي قد بذل جهداً في افناع قومه وأمته ، دعاهم الى التوحيد
والاسلام ، قال من قصيدة مستوحاة من ذكرى الرسول الامين :

دعوتُ الى التوحيد يجمع شملكم ولم أدع للشمل البديد المشتت
وجئت رسولا للحياة، ولا ارى بكم غير حي في مدارج ميت
ويمرتُ شرعاً - ماتعت - يافعاً وسرعان ما ملتمت به للتعنت

ومنها :

وكم قائل «نفسي» اذا النفس بوغتت وما قال - مثلي في الملمات - «امتي» (٣)

(١) المصدر نفسه ص ٥٧ .

(٢) المصدر نفسه ص ١٠٠ .

(٣) الديوان ص ١٠٧ .

ويريد الخير لشعبه ، فيؤلمه ما عليه الشيب والشباب من عدم الشعور بالمسؤولية
ويؤلمه ما ألم بالوطن الذي تفرق احزاباً و فرقاً . وما أجمل قوله ، وهو قول المؤمن
بحق هذا الشعب :

شباب طائش نزق	وشيب ما بهم رمق
وشعب طالب ثقة	فدلوه ، بمن يثق ؟
ففي آرائنا شيع	وفي أحزابنا فرق
قد استشرى خلافكم	ألا يا قوم فانفقوا
فما هانوا من اجتمعوا	وما سادوا من اقتربوا (١)

الرسالة :

ولم يترك الامور تسير دون أن يشير الى العلل التي تشوب تيارها ، فقد
أشار الى مواطن الضعف ، وعناصر الاضرار ، التي تفشت في الوطن ، فقد
أعلن الدستور العثماني سنة ١٩٠٨ وهلل له العراقيون كثيراً ، لما املوا فيه من
الخير والسعادة والحرية ، ولكن ساءت الامور العامة في العراق ، بلد الخيرات
وتدهورت أحواله ، فكان وقع ذلك عميق الاثر في نفس الشيب ، بحيث أصابه
الوجوم ، وصور لنا ذلك تصويراً رائعاً ، في قوله :

وقفت عليها انكت الارض واجماً	واضرب في خد الصعيد مُرابا
أصعد أنفاسي بهن لوأخفاً	وأندب أجفاني لهن سحابا
فلم اتنفس زفرة بل حشاشة	ولم أبك دمعاً بل بكيت شبابا
خليلي لا ذقت الشراب فاني	تزودت من ماء الشئون شرابا
نشدتكما هل تمسحان مدامعي	لتتخذنا مما نضعن خضابا

(١) المصدر نفسه ص ٩١ .

انها التقاليد البالية والحرافات والفتن والفساد تعصف بهذا الشعب من ناحية
فتأخر فكرياً وانحطت ثقافته ، ومن ناحية اخرى هدرت ثروته ، فقد اصبح
الماء سماً وعلقماً ، وخطراً يهدده الشعب في حياته وزرعه ، وما يملك ، واستحال
الماء الذي يخصب الارض ويقدم الشعب ويغنيه الى مصيبة من مصائب العراق :
جری الماء شهداً في البلاد فماله جری بأخاسيف الجزيرة صابا
تسيب لم يجمع فكان مصيبة وعلل لم ينعم فكان سرابا
ثم يضيق صدر شاعرنا بمصائب الأمة وتتأجج في قلبه الثورة عندما يرى
برق الحياة قد انطلقاً من وجوه أبنائها ، فبدت سوداء كالحية ، من اثر الفقر ،
ويصرخ من قلب مكلوم ، طالباً ان يرى الساعة التي تفيض فيها الوجوه نضارة
وحياة وسروراً :

متى ايها السفع الوجوه أرى لكم وجوهاً أفاضت نضرة ونعيما
تسع حياة غضة وطلاقة وتشبع نوراً ريقاً ونسيماً (٢)
وبشير في النفوس المهمم ويدلها على الطريق الواضح فيقول :
جداول لم تشف الغليل صوادراً ولم تُرو ظمآن الفؤاد عذابا
لئن لفظت ماء الثرات ربوعه فقد سلن من ماء السيوف شعابا
ألا هل حياة في العراقيين لم تنكن طعاناً يققيه الردى وضرابا (٣)

الساسة :

ولا يختلف الساسة في كل قطر ، وفي كل بلد ، فهم الحاكون الذين

(١) المصدر السابق ص ٦ - ٨ .

(٢) المصدر السابق ص ٩ - ١١ .

(٣) المصدر السابق ص ٧ .

يتلون الواحد منهم كل يوم :

متى نحن نجيا أو نموت سياسة لها كل يوم مظهر متلون
خداع وكذب واقتراق وقسوة وظلم أهذا العالم المتمدن (١)
ثم يجيب شاعرنا عن هذا الاستفسار بنفسه في قصيدة أخرى ويطلب ترك
المنطق مع المستعمر لأنه دخل الارض حرباً وبالقوة ولا ضييل الى تحرير البلاد
إلا بالنضال السيامي في سوح الشرف والحربة لأن الركون الى السياسة ومناوراتها
وحيلها مضيعة للوقت . قال :

السيف قرب منا كل قاصية لا المنطق الفصل من قول ولا الجدل
ماذا نؤمل في ادراك غايتنا من السياسة ؟ كلا انها حيل (٢)
ويلح في التأنيب والسخرية في اسلوب بارع جميل ، فقد كانت البلاد تمور
بالازمات السياسية بعد أن قيد العراق بالمعاهدة سنة ١٩٣٠ ، وقامت حكومات
بعدها فيقول (سنة ١٩٣٤) :

صدر من الآلام واجفة تغلي على اننا من حاضر اللهو في شغل
متى نتحرى الجد فيما نقوله وما نتمناه ونحن الى الهزل ؟
اترتفع الأقوام عنا مكانة ونحن ندير الطرف في عالم سفلي ؟
وللناس غايات كبار ترومها وليس لنا منها سوى الشرب والاكل (٣)
انه تأنيب الشاعر المخلص الذي يؤلمه انحطاط العراق الذي تصلحه المهم
العالية والارادة الصادقة ، لان الفساد والفوضى وضياع المثل العليا سبب واضح

(١) المصدر السابق ص ١٢٨ .

(٢) الديوان ص ٢٦ .

(٣) المصدر السابق ص ٩٨ .

من أسباب التدهور والتأخر ، وهو يرجو الخير لامته ولا يكون الخير إلا بالاخلاق
الفاضلة والسير في الطريق السوي :

يقولون : إتيان الكبائر جائر
أفي هذه الاخلاق للجنس نهضة
يريدون للدنيا ضامداً وانهم
ويعتبرون الناس مرضى كأنهم
الاهمهم يكبحون من شهواتهم
وهل فاضل يرعى الفضيلة إنها
وفعل الخطايا المنكرات مباح
وللبشر الآتين منه فلاح ؟
بجئان هذا الاجتماع جراح
- وهم كيفوا داء النفوس - صحاح
فينحطّ ميل ، أو يلين جماح
خيال سيفتي ، أو حى سيباح
ويؤكد الشببي دائماً على ان الكفاح الحقيقي لا يكون بالحديث والمنطق ،
وانما هو بالاسامة في الذود عن حياض الوطن فيبث في قلوبهم القوة ويقول :

يسام العراق الذل وهي عزيزة
أسكان أجواز العراقيين هل لكم
فلا تضعفوا إن السعادة قوة
ويخرس اهله وهن فصاح
نزوع الى نيل العلا وطاح ؟
ولا تجبنوا ان الحياة كفاح (١)

ويعني الشببي قومه بالاماني التي يريدونها لانفسهم باعادة المجد التليد وبنائه
بناء جديداً يتسق والحياة الحاضرة لان العيش في القديم موت :

ذلت حديثاً أمة
وأحال منها رمة
هدم الزمان فجددوا
أبدأ تفاخر بالقدم
طول التباهي بالرسم
مارث ، وابنوا ما هدم

ويرسم صورة للقوي المستأسد الذي يهابه الناس ولو كان كاذباً يخفر الذمام،

(١) المصدر السابق ص ٤٠ .

ويرسم صورة واضحة للمستعمر الذي حث بكل قسم له ، وقد نشر القصيدة في
« الاعتدال » سنة ١٩٣٤ :

أقسم اذا كنت القوي الجلد ، وأحنت بالقسم
فلا أنت أصدق من مشى في الخافقين على قدم
ويل الضعيف نداؤه في مسمع الدنيا صمم
خان الذمام عدائنا يا عرب يا أهل الذمم
وفقدتم معنى السيادة والكيار المحترم (١)

ان سوء الحالة العامة دعت الشبيبي الى طلب المصلحين الذين يتقنون السمع
من حالته ، ولكن أنى يتسنى له ذلك ، ومن يطالب بالاصلاح - مهاجر شأنه
وعلا مقامه - كان جزاؤه النفي والتشريد والسجن ، فقد كان الحكم الميسر حكماً
فردياً لا يقر الا بالطاعة له ، ولا يرضى الا بالامتثال لادامره ، كان ذلك قبل
الحرب العظمى الاولى ، وكانت كلمة الدولة هي العليا ، ومع ذلك فلم يركس
شاعرنا لحياة الذل التي يراها مهيبة ، وخرج يدعو الى الثورة قائلاً :

تقابل عزمك بالصغار وتقرن صحتكم بالضعي
أبهنيكم انها في الشقاء ويشقيكم انها في الهنا ؟
فلا تنسفوا الحق عن قوة بعيد لها نصف ذاك البنا
بزرق الحدود وحر البنود وبيض السيوف ، وسم القنا
ولابد للحق من ثورة رويداً ، فاما لكم أو لنا (٢)

(١) المصدر نفسه ص ٩٤ - ٩٥ .

(٢) المصدر نفسه ص ١١٠ .

ويسفر عن أمانيه ساخرآ من ادعاء المساواة والحرية التي يدعيها المستعمر
ويقرر الواقع ، واقع القوة الذي يحكم ، ويذكر كيف كان العرب في عزم
مسيطرين على العالم بجيوشهم حتى ضاقت بها الارض ولم تصل حالنا الى هذا
الهوان والسوء إلا بعد أن خنا عهد الاجداد وكنا بشس الاحقاد فقال :

الذاهبون مضى لنا بذهابهم لله جد دائم وجهاد
خنا ذمام الفاتحين وعهدهم ما هكذا تستنجب الاولاد
إنا بما ننجي وهم فيما جنوا بشس البنون ونعمت الاجداد
كانت حفااظ (يعرب) ان صوليت نارآ ، ونار الآخريين رماد
اني يذكري الشهامة (عنتر) فينا ووالد عنتر (شداد)
ويهزني عصر (العراق) تسوسه (لحم) و (آل محرق) و(ايااد)
ويقف الشبيبي ، ويرى العرب متفرقين دولا وشيعآ . ويرى الخلاف بين
ابناء الامة الواحدة ، فقال :

ما بين (مصر) و (الحجاز) تطاحن ومن (العراق) الى (الخليج) جلااد
ويطلون جريحهم بادائه فرض الدفاع كأن ذلك ضمااد
يا للرزية كم تفرق بيننا وتضلنا الاضغان والاحقاد (١)
ويسخر من تشلق المستعمرين من أنهم جاءوا لتحرير الشعب ، وانقاذه
من الجهل ، ومن ادعائهم المساواة والعدل قائلاً :

وا كذب عصر ما تشلق أهله - على ظلمهم - بالعدل أو بالمساواة
ذئاب وشاء ، لا الذئاب رواجع عن النقي أو تعدو على زمر الشاة (٢)

(١) المصدر نفسه ص ٣٥ - ٣٧ .

(٢) الديوان ص ١١٣ .

الحلفاء والنضال السياسي :

ولقد اصيب العرب بالنكبات في استقلالهم وامانهم وقسمت ديارهم الى مناطق نفوذ بعد أن ثاروا مع الملك حسين في سبيل وحدتهم واصبحت مناطق النفوذ غربية قاسية الحكم ، واحتل الانكليز العراق وفرضوا السيطرة العسكرية عليه . وقد كانوا يظنون ان الحلفاء سوف يساعدونهم على نيل استقلالهم السياسي ودعم وحدتهم العربية غير أن النكبات والرزايا جاءت من حلفاء الامس فقد ظهرت نياتهم واضحة فعاد الشيبلي الى العراق كثيب النفس عندما رأى فرصة تحتل سورية ورأى دمشق يحتلها المستعمر ويخرج ملكها العربي . عاد الى العراق ورأى الانكليز قد صنعوا بالعراق ما صنعت فرنسا في سورية وكان العراقيون بين مبعد وسجين .

ثم حدثت الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ وبعدها اضطر الانكليز الى تأليف وزارة من العرب في الظاهر وكان الحكم الفعلي للانكليز بوساطة المستشارين الموجودين في كل مراكز الدولة الحساسة .

وفي عام ١٩٢٤ عين الشاعر وزيراً في وزارة ياسين الهاشمي وبذلك ودع شاعرنا حياة الكفاح والثورة ولم نسمع له بيتاً واحداً في مقارعة المستعمر والثورة عليه ، ويظهر ان الاعباء الجسيمة كانت تحول دون نظمه للشعر أو ان المنصب قد حال دون هذا الامر كما حال دون كثير من المعارضين وفي وزارة ياسين الهاشمي التي شكلت في ١٩٣٥ استقال وخلفه صادق البصام ثم جاء مع جميل المدفعي سنة ١٩٣٧ وكانت وزارة مضطربة ، واجرت تعديلاً في ٣١ تشرين الاول ١٩٣٨ ، وفي عهدها حدث انقلاب عسكري طوح بها

في كانون الاول ١٩٣٨، ثم ذهب الانقلاب وجرت امور كثيرة على العراق وحارب الجيش العراقي الانكليز سنة ١٩٤١ وخسر العراق ودخل الانكليز العراق في احتلالهم الثاني فألف المدفعي وزارته الخامسة في الثاني من حزيران ١٩٤١ وجاء الشيببي وزيراً، الوزارة التي سجن رعيلا من المعارضين للسياسة البريطانية وفصلت وزارة الشاعر خيرة الاساندة والمفكرين الذين ناووا الحكم البريطاني .
وفي وزارة السيد محمد الصدر في ٢٩ كانون الثاني سنة ١٩٤٨ جاء شاعرنا وكانت وزارة ضخمة غير انها تعرضت لعدة استقالات فقد استقال اربعة وزراء من الوزارة ومن هذا نرى ان الشيببي لم يستقل من الوزارة إلا مرة واحدة ولم يعدها (١) .. وكان عضواً في مجلس الشيوخ والنواب ورئيساً للمجلس وكان دائماً المعارضة للوزارات في المجلس فانغمر في السياسة وما كان يجد الوقت الكافي لتنظيم الشعر والتعبير عن احساس الشعب إلا عندما خرج من الوزارة سنة ١٩٣٦ ولمسح في مهرجان المتنبي فقال :

يا قلب عادك من دمشق عائد والذكريات من الحبيب تعاود
أيام ننشد في الجزيرة غايبة يسمو بفكرته اليها الناشد
ما بيننا إلا شباب طامح أو نائر ، أو ناغم ، أو واجد (٢)
فهل كان هذا البيت الذي ذكر فيه أيام شبابه معبراً عن رغبة نفسية كامنة في الثورة .. وإلا فما تعليل ذلك السخط والثورة العارمة التي هدأت عندما اصبح من أصحاب السلطة في العراق ؟ وهنا تبرز فلسفة من فلسفات الحكم التي ركن اليها جميع الوزراء وأصحاب النفوذ وسيركن اليها في المستقبل الوزراء ، هي ان العمل

(١) دليل الجمهورية العراقية ص ٢٢٤ - ٢٣٧ لسنة ١٩٦٠ ط . دار التمدن

(٢) الديوان ص ١٩٣ .

بغداد ١٩٦٠ .

في السلطة يساعده على تجنب الاخطاء ووقاية البلاد من رعونة الحاكمين وفساد المستعمرين وخير لنا أن نكون في الحكم وننقذ ما يمكن انقاذه خير من أن نكون سلبيين ونرى الظلم يستشري والبلاد يعم .

الشبيبي صرى عصره :

كان شاعرنا صدى للخطوب والاحداث التي أصابت البلاد ، وذلك واضح في شعره ، فكانت ألحانه شجية تنبعث من قيثاره من أشجان البلاد ، وكان عصره الذي نظم فيه جل شعره عصر اليقظة الفكرية الاولى للعراق ، اذ قال في هذا العصر في مقدمة ديوانه : « اتجه الناس فيه اتجاهاً جديداً لم يسبق له مثيل ، ومالوا الى الاهتمام بمظاهر التقدم والرفي على اختلافها ، وذلك بمجرد اعلان الدستور في بلاد الدولة العثمانية سنة ١٣٢٦ هـ - ١٩٠٨ م ، وقد امتاز العصر المذكور بكونه عصر اليقظة في الفكر والشعور ، تفنن الخيال العربي فيه في التعبير عن هواجس النفوس الطامحة الى مجازاة الامم الناهضة ، الرغبة في التخلص من عوامل الضعف والانحلال ، وحاول الادب أن يمثل الحياة ، وذلك في مختلف صورها المضحكة والبائسة ، وشتى مظاهرها المشرقة أو الداخية » .

فقد سمع شاعرنا بالدستور وتلفت الى آثاره في بلاده ، فلم يجد إلا خيبة الامل المنبعثة من أرزاء العراق ، فذرف دموعاً سخينة بدلا من الفرح :

سمعت به صوت الرقيِّ وأوجست به النفس من أعلى (فروق) خطابا
أخذناه تغريداً فردَّ به البكا على إثر أرزاء العراق تُعبا
فيالك صوتاً كل طائر يمنه يُردِّد ورقاه فردَّ غرابا
هناك تأملت الديار موائلاً تغورن أنشازاً وضقن رحابا

فارسلت فيهن الاماني فاخفقت وسرحت فيهن الرجاء فخابا
ومنها :

فلم أتنفس زفرة بل حشاشة ولم أبك دمعاً بل بكيت شبابا
خليلي لا ذقت الشراب فاتي تزودت من ماء الشؤون شراباً (١)

مميزات شعره :

عرضت فيما تقدم نماذج يسيرة من شعره ، ومن دراسة هذه النماذج وغيرها يظهر لنا أن شعره يتصف بقوة السبك وجزالة اللفظ ومتانة الاسلوب ، وبالبعد عن سخف القول وركاكته ، وهو يأسر القاريء بالفاظه المأنوسة ، وديباجته الناصعة ، مع اقتدار على تصوير خلجات نفسه ، وهجسات وجدانه أتم تصوير ، وأحسب أن بيئة الشاعر النجفية ، وتأثره بالشعر القديم ، قد أضفيا على شعره هذه الصفات .

وقد تفوق الشيبلي تفوقاً بارزاً على كثير من معاصريه ، وطفرفي ديوانه بالشعر العراقي بعيداً ، واعرض عن تقليد العصور المظلمة التي كلفت بالمحسنات البديعية وبالاغراض الشعرية التافهة . حتى انه فاق الرصافي والزهراوي وهما قائدا النهضة الادبية في كثير من صفات شعره العالية ، ويندر أن يجد الناقد له بيتاً يعاني من ضعف أو ركاكة ، مع انه نظم بعض قصائده على قواف صعبة كالضاد والشين ، واللام مع الهاء ، وقد اسعفه الطبع وواتته القرينة وهذا دليل على عمق دراسته للادب العربي القديم ومرده أن الشيبلي لما طبع ديوانه ابعده عنه الكثير من شعره الركيك ونمقه ولم يبق إلا ما يتلاءم ومكانته وزيرا وشخصية كبيرة

(١) الديوان ص ٥ - ٨ .

في المجتمع وما كان يرضى ان يذكر شعره الذي لم ينشره في الديوان بل كان يؤله ان يذكر هذا الشعر . والديوان صورة واضحة تترجم لنا نفسية الشاعر في سمو مكانته وبروز شخصيته فهو ديوان الشاعر الحذر المتوجس الذي فهم السياسة بعد فهم الادب ، ولا يريد ان يورط نفسه فيما لا يجب (١) .
تأثره الربني :

وما كان شعره مقصوراً على ناحية واحدة من نواحي الوطن ، إنما تعدى ذلك الى كل النواحي التي كان يعاني منها الوطن ، ومع أنه نشأ نشأة دينية بجمته فإنه كثيراً ما كان يهاجم الدين عندما يجدهم أصبحوا حجرة عثرة في سبيل التقدم . وقد ظهر التأثير الديني في شعره ، خاصة بالقرآن والحديث ، وهو السبب المباشر فيما نرى على ديوانه من اتزان وروية ، فهو يبحث على مكارم الاخلاق والفضيلة ، ولا يرضى بغير ذلك بديلاً :

وإذا لم تستقم أخلاقكم ذهب العلم ذهاب الزبد
عد عنك الروض لا ارتادلي غير أخلاق هي الروض الندي (٢)

وقوله في هذه الايات التالية دليل على دعوته للخير :

المال مأرب كل في صناعته بش الصناعات لا كانت ولا الأرب
يستعجلون من الاغراض اعجلها اين التطوع في الأعمال والتعرب

(١) في شعراء الغري للاستاذ الحاقاني جزء كبير من شعر الشاعر الذي لم ينشره في الديوان كسعر الشباب ومدح الشيخ خزعل ، يؤكد ما ذهبنا اليه .
(٢) الديوان ص ٨١ .

يُقَيِّضُ اللهُ رِزْقًا غَيْرَ مُحْتَسَبٍ إِذَا مَضَى عَمَلٌ فِي اللهِ مُحْتَسَبٍ
نَسَى وَتَقَعْدَ وَالْأَقْدَارَ حَاكِمَةً سَيَانٍ فِيهَا سَكُونُ النَّفْسِ وَالطَّلَبِ
أَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَى الْمَالِ النَّظْرَةَ الدِّينِيَّةَ ، فَهُوَ لَا يَصْلِحُ لِأَن يَكُونَ أَرَبًا مُقَدِّمًا عَلَى
الدِّينِ وَفَضَائِلِ الْإِخْلَاقِ ، وَيُرِيدُ أَنْ تَكُونَ أَعْمَالُ الْخَيْرِ تَطَوُّعًا ، وَيُؤْمِنُ بِإِيمَانًا
صَادِقًا بِأَنَّ رِزْقَكُمْ فِي السَّمَاءِ وَمَا تَوَعَّدُونَ . وَيَدْعُو النَّاسَ مِنْ أَجْلِ السَّعْيِ إِلَى مَرْضَاةِ
اللهِ وَالتَّهَيُّؤِ لِلْآخِرَةِ :

خَلِدْ لِنَفْسِكَ فِي الْعَقْبِيِّ ذَخِيرَتَهَا وَرَاعِ عَمْرَكَ إِنْ الْعَمْرُ مَمْتَهَبٌ (١)
وَيَحَاوِلُ أَنْ يَجِدَ عَيْبًا لِقَوْلِ الشَّعْرِ فَيَأْخُذُهُ عَنِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ :
كَفَى الشَّعْرَ ذِمًّا أَنْ لِلشَّعْرِ قَائِلًا وَمَا هُوَ إِلَّا قَائِلٌ غَيْرُ فَاعِلٍ (٢)
وَنَجِدُ فِي كَثِيرٍ مِنْ قِصَائِدِهِ الرُّوحَ السَّمِيحَةَ الرَّقِيقَةَ الَّتِي تَرِيدُ الْخَيْرَ لِلنَّاسِ :
فِتْنَةُ النَّاسِ ، وَقِينَا الْفِتْنَةَ ، بَاطِلُ الْحَمْدِ ، وَمَكْدُوبُ الثَّنَا
رَبِّ جِهَمٍ حَوْلَاهُ قَمْرًا وَقَبِيحُ صِيرَاهُ حَسَنًا
وَيَخْطِطُ الْمَصْلِحَ وَيُدْلِهِ عَلَى الْعَيُوبِ ، وَلَا يَنْسَى أَنْ يُشِيرَ إِلَى عَيْبِ
فِيهِ ، فَيَقُولُ :

أَيُّهَا الْمَصْلِحُ مِنْ أَخْلَاقِنَا أَيُّهَا الْمَصْلِحُ ، الدَّاءُ هُنَا
كَلَّمْنَا يَطْلُبُ مَا لَيْسَ لَهُ كَلَّمْنَا يَطْلُبُ ذَا حَتَّى أَنَا
وَيُشِيرُ إِلَى هَذِهِ الْعَيُوبِ وَهَذِهِ الْمَفَاسِدِ ، وَهِيَ مِمَّا نَهَى عَنْهُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ
كَالتَّنَابُزِ بِالْأَلْقَابِ وَأَنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ فَيَقُولُ :

(١) الديوان ص ٦٦ — ٦٨ .

(٢) الديوان ص ٦١ .

لم تزل - ويحك يا عصر أفتق - عصر ألقاب كبار وكُنِّي

حكّم الناس على الناس بما سمعوا عنهم وعضّوا الأعيان

فاستحالت ، وأنا من بعضهم أذني عيناً وعيني أذناً

ولما وجد البلاد محتاجة الى الاصلاحات وألّفى التواكل بين الناس قد استحال الى جناية لا يقربها الجاني قال :

إنّنا نجني على انفسنا حين نجني ، ثم ندعوا من : جني (١) ؟

وتربته الدينية ومقامه الكبير وشعوره بالمسؤولية جعلته عند طبع الديوان حذراً في غزله ، فلا يقول الا بمقدار ، فما اختار في الديوان الا العفيف من اللفظ والشريف من العبارات ، فلو قرأنا شعره الغزلي في الديوان لوجدنا الروح الدينية تسيطر عليه فيقول :

إذا الشك إعتراك بكل شيء وراكب في الوجود وساكنيه

ثقي بهوى تباؤاً من فؤادي مكاناً لا يلبق الشك فيه (٢)

ويخضع الحب للمسائل العقلية فيقول :

وخيراً من الجزع المستمر أرى الصبر، عقبى الصبور الظفر (٣)

فهو يرى ان الصابر لا بد ان يفوز جزاء صبره ثم يقول للمحب :

ما كفاكم من امتحان المحب أن تجافي عن المضاجع جني ؟

(١) الديوان ص ١٠٥

(٢) الديوان ص ١٤٤

(٣) الديوان ص ١٥٣

هل أسأل البكاء عيناً كعيني؟ أو أذاب الفراق قلباً كقلبي؟ (١)

وكأني به يرى سهره الطويل ومسيل الدموع من عينيه وذوبان قلبه بالفراق، من الأشياء الكبيرة عليه، وهو لا يصف ما يعانیه، وكأن القضية عنده من شئون المنطق والعقل، ولما يريد اقناع حبيبه يقول له ان الذي يشواقكم قد يسلوكم، ولكنني لا اسلوكم لأنني أحببتكم:

لقد يشواقكم غيري ويسلو
فهل أسلوكم وأنا المشوق (٢)؟
ويقول للحبيب:

اتظن أنني في أسارك ناغم؟ أنا ماشهدتك لا أريد فكاً كا (٣)
وقد تجلت سيطرة عقله على قلبه بقوله:

قلبي يريد بلاغب زيارتكم
والعقل ينهائ الأبعد إغباب
فضية بقياس الروح موجبة
وللنهي جنبتنا سلب وإيجاب (٤)
ويقول:

إني لا كره سلوتي، أما الهوى - وعيونكم -، فأحبه وأحبه
وبليتي في الحسب أني أبنا وجد الجمال وجدت أني صبه (٥)
ومن رفيق غزله قوله:

أما لأسير في هواك سراح وهل لتباريح الفؤاد براح؟

(١) الديوان ص ١٥٧ ونشرت في مجلة الحرية سنة ١٩٢٤ وحذف منها بيتاً .

(٢) الديوان ص ١٥٥ .

(٣) الديوان ص ١٥٠ .

(٤) الديوان ص ١٣٧ .

(٥) الديوان ص ١٣٥ .

أجل ، سَدَّتْكَ العاشقون قلوبها وما فوق تسليم القلوب سماح
 اذا بدأوا يستمطفونك عاودوا وان بكروا يستطلعونك راحوا
 هَوُوا وَاقَاتِقُوا بَثَ الْغَرَامِ فَاضْمُرُوا فخانهم الصبر الجميل فباحوا
 يُحِبُّونَ وَخَزَالَتُ الْجُلُوعُ وَهِيَ صَوَارِمُ وطمعن القدود الهيف وهي رماح
 خليلي ما أحلى الغرام سجية اذا كرمته عفة وصلاح (١)

فالغرام يجب ان يكون عفيفاً نزيهاً وهنأ نجد أثر الشعر القديم ظاهراً في
 شعره ، كالفدو والرواح والبكور والصوارم والقدود ، ومن طريف
 شعره قوله :

هل عند من أسهروا الأفهم خبر؟ في الليل طول وفي اجفاننا قصر
 دجت ليالي محبيهم وآسني ليل تضي حواشيه اذا ذُكروا
 يومي أصيل اذا وافت بشائرم وليلتي كلها من رقة سحر
 طيف الكورى اثر منهم فنتت به يكفى من العين - اذا لم توجد - الاثر
 هذا نصيب من الدنيا خُصصت به أم صدفة الدهر أم هذا هو القدر (٢)

هذه دراسة سريعة أرجو أن أكون فيها قد اعطيتمكم صورة واضحة

عن شاعرنا (مد الله في عمره) . (٣)

(١) الديوان ص ٤٠ .

(٢) الديوان ص ١٤٣

(٣) لا بقوتني ان اذكر ان الشيخ محمد حسن آل يابن نشر قصيدتين للشاعر في مجلته
 الزاهرة (البلاغ) في المدين الرابع ص ٤٨ والخامس ص ٤٠ السنة الاولى ، ولاحظ
 (البلد) الغراء للاستاذ عبدالقادر البراك لسنة ١٩٦٦ .

اولاً بقره بقره بقره بقره
 اولاً بقره بقره بقره بقره
 اولاً بقره بقره بقره بقره
 اولاً بقره بقره بقره بقره
 اولاً بقره بقره بقره بقره

(1) بقره بقره بقره بقره
 بقره بقره بقره بقره
 بقره بقره بقره بقره

بقره بقره بقره بقره
 بقره بقره بقره بقره
 بقره بقره بقره بقره
 بقره بقره بقره بقره
 بقره بقره بقره بقره

بقره بقره بقره بقره
 بقره بقره بقره بقره

(1) بقره بقره بقره بقره
 بقره بقره بقره بقره
 بقره بقره بقره بقره
 بقره بقره بقره بقره

محمد علي البقوي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

بقى العراق تحت الحكم العثماني حوالي اربعة قرون وناله ما نال الأنبراطورية العثمانية من تأخر وانحطاط ، ولم تدخل المطبعة هذه الانبراطورية التي هي اساس الثقافة الا بعد استصدار فتوى شرعية بدخولها وعلى شرط أن تطبع الكتب غير الدينية .

وقد سبقت مصر وسورية ولبنان البلاد العربية الاخرى في نضالها عندما دخل الفرنسيون تلك الديار محاربين او مبشرين ، فرأت ما لم تره في العهد العثماني من علم وثروة وقوة .

أما العراق فقد بقي متأخراً عن الركب العربي يفت في سبات عميق ، فأخذت الثقافة والادب واللغة في الضمور يوماً بعد يوم حتى انحصرت في بقاع محدودة معدودة كالمساجد والمدارس الدينية ففي النجف الاشرف والموصل وبغداد كانت اقباس من نور ضئيل يأنس اليها الواردون من اصقاع العالم لأغراض دينية وطلباً لكسب الرزق ، ولم يكن في هذه المدارس غير تيارين اثنين هما :

التيار الذي اتصل بالحياة التركية في بغداد والاستانة وسار في طريق فرضته عليه مثل واهداف واتجاهات تتلاءم ورغبات حياة الولاة والحاكمين .

التيار الذي انعزل عن الحكم وانضوى تحت راية اخرى حريصاً على كرامته خائفاً وجلالاً لم يثق بالحاكمين واغراضهم ومقاصدهم .

وبين هذين التيارين كانت تتأرجح حياة الادب العربي في العراق حتى

اوائل القرن العشرين ، واستوى في ذلك الموصل والكاظمية و كربلاء والبصرة
وسامراء وبرز شعراء في هذا العصر تختلف جودة شعرهم باختلاف ثقافة الشاعر
وقدرته على فهم الحياة ومدى تأثر المجتمع فيه (١) مثل عبد الغفار والاخرس
وحيدر الحلي وجعفر الحلي . (١)

وفي اوائل القرن العشرين ظهر تيار جديد ثالث امتاز بتأثره بالثقافة التي
وردت من مصر وسورية ولبنان . فقد كانت الجرائد العربية تصل العراق
فيقرأها المتعلمون والمثقفون وكانوا يتفاخرون بانهم من قراء الهلال والمقتطف
والمقتبس والمؤيد واخيرا الرسالة والثقافة فيتأثرون بما فيها من مواد مؤلفة او
مترجمة . وكانت هذه الجرائد والمجلات نافذة واسعة اطلت على الثقافة
الاوربية وغدت من المصادر الممتازة للثقافة العامة . حتى ان معروف الرصافي قال
يوما عن جميل صدقي الزهاوي انا والزهاوي تخرجنا من مدرسة واحدة هي مدرسة
المساجد ونقرأ المجلات المصرية فكيف زادت ثقافته على ثقافتي ؟ مما يدل
على اثر هذه الجرائد والمجلات وخاصة المقتطف في تفكير الادباء آنذاك .
واهم المصادر التي عول عليها الزهاوي في ثقافته العلمية مجلة المقتطف .

وقد كان للاحداث المصرية - وما تزال - اثر بين في توجيه الرأي العام
العراقي فعندما نشبت معركة السفور والحجاب ظهر صداها العميق في العراق فقد انشق
العراقيون على انفسهم وصار قسم يهاجم السفور وقسم ينافح ويذود عنه . (٢)
هذه التيارات الثلاثة كانت تعمل عملها في اوائل القرن العشرين وبقيت حتى

(١) - راجع - الشعر العراقي في القرن التاسع - الطبعة الثانية للتفاصيل .

(٢) في (الشعر العراقي الحديث) معلومات عن هذا الموضوع يلاحظ طبعة ١٩٦٥

الحرب العالمية الثانية اي حتى ١٩٣٩ م حيث ظهرت تيارات جديدة لسنا
بصدها الآن .

وبدت هذه التيارات واضحة المعالم عندما اختلف الابداء في العراق في
اتجاهاتهم الفكرية وتسرب التيار الجديد في ادبهم وافتهم فظهرت الذاتية والتجارب
الفردية واضحة واصبح للمجتمع جزء بين في انتاجهم وأخذوا يتعدون عن
اسلوب القرن التاسع عشر فالدارس يجد فرقا بينا بين شعر محمد جواد الشبيبي
ومحمد باقر ويلفي فرقا بين محمد سعيد الحبوبي ومن جاء بعده ويلاحظ احتلافا واضحا
بين اسلوب شعراء هذا العصر كالرصافي والزهاوي وبين شعراء القرن التاسع
عشر كهبد الغفار الاخرس وعبد الباقي العمري والحليين وغيرهم من الشعراء .

ما مكانة الشاعر ؟

فما مكانة اليعقوبي بين هؤلاء الشعراء ؟ وما مقدار تأثير اليعقوبي بالثقافة
الجديدة ؟ ! وما اثر التيار النجفي في شعره ؟ وقبل الجواب عن هذه الاسئلة ينبغي
ان نتعرف على طابع النجف وتياره . فللنجف طابع شعري امتاز بالرصانة والقوة
وما زال يفضل الالتصاق بعمود الشعر العربي جهده . ويعني اكثره بالالفاظ
عناية كبيرة تصل الى الحد الذي يضيع هذه القوة والرصانة احيانا .

مدرسة النجف

ومدرسة النجف مصدر رئيس لتيار غزير من الرثاء والحماسة والفخر . ولكن
هذا التيار ما حاول يوما ان يتجدد بسرعة ويتحرر في اسلوب تناول المعاني فقد كررت
المعاني فيه واعيدت الالفاظ في القصائد والجل في الابيات وعكف الشاعر على

التخميس والتشطير والمجازاة أكثر من عنايته بتطعيم شعره بشيء جديد، حتى لا نجد فرقاً كبيراً بين شاعر وشاعر عاشا في فترة واحدة من حيث استعمال الالفاظ والنهج الشعري الذي يسير في ركابه الشاعر . ويبقى الطابع النجفي مسيطراً سيطرة كبيرة ما دام الشاعر مستقراً في النجف . فالشاعر النجفي كان يعجب بجعفر الحلي واسلوبه أكثر من إعجابه بالجواهري ومحمد صالح بحر العلوم ، ويهز شعر جعفر اعطافه وعواطفه أكثر من شعر الرصافي وشوقي وما زال جزء من شعراء النجف يعدون المكانة الاولى لشعراء تأخروا بمراحل عن ركب الشعر العربي الحديث ، وما تزال اغراض الشعر العربي محدودة متأثرة بالرثاء والفخر والحامسة والاغراض الفردية .

والشاعر النجفي يبرز ويقوى وينبع متى ترك النجف واتصل بعوالم جديدة وتحرر من بيئة النجف وقد يسف كما سف بعضهم او يعلو ويشمخ مثل كثير ممن عاشوا في بغداد فنجد فرقاً واضحاً بين الفرطوسي واليعقوبي . فاليعقوبي اشد تأثراً بالادب والبيئة في بغداد منه في النجف فكانت ديباجته انصع من ديباجة الفرطوسي وشعر الدكتور عبد الرزاق محيي الدين الحلي اشد اشراقاً من شعره عندما كان في النجف واثر بغداد او الحضارة واضح في شعراء النجف الذين سكنوا بغداد لأن الشاعر النجفي مسلح بالثقافة العربية الاصيلية ومتى هضم الجديد فلا بد ان يبرز اقرانه .

التبرير والبيئة

اليعقوبي لم يترك النجف ولم يسكن بغداد ولكنه كان دائم الترحال والتجوال

فهو بين عاملين يؤثران في شعره . عامل النجف وعامل بغداد . يريد ان يتخلص من اسلوبه القديم ويريد ان يجدد — غير قصد في ان يجدد وان يبدع ولكن الواجب والتبعات التي القيمت على كاهله تلزمه بالقديم لذلك نراه بتدفق مرثيات ويحمد مرة ولكنه اكثر تجديداً من كثير من انداده من شعراء النجف المعاصرين له .

السياسة والشعر

ان ابرز مشكلة في العراق هي المشكلة السياسية فقد اکتوى العراقيون باعمال السياسة وذاقوا العذاب والعقلم من السياسة في اكثر ادوار الحكم فاتجهوا نحو السياسة بكل جوارحهم وملء قلوبهم فلا حديث لهم غير السياسة وقد اثرت السياسة في حياة العراقي ورزقه واثرت في حريته وفكره واسرته . وان أهم حديث لدى العراقيين هو حديث السياسة واحداثها لان السياسة حتى الخارجية منها تهزه . فهو يتألم للاحداث المؤلمة في البلاد العربية لانها تجري في أمته ويتألم للدول المسلمة لانها من دينه ويتوجع لأمم الشرق لانها شرقية . ويبكي على من مات في سبيل الحرية في كل مكان تأييداً لحرية البشر ولأنه مر بادوار كبتت فيها الحريات ومنع العراقي من ان يتلفظ بكلمات والفاظ حددت من الجهات المسؤولة فاية ثورة تحدث في العالم يؤازرها لانه يشعر بها ولانها تنفيس عن ثورة عارمة في اعماق قلبه فالباحث يجد الشعر السياسي في العراق له النصيب الاوفى والاوفر في الانتاج العام .

الوطن العربي

واليعقوبي نظم كثيراً في قضايا العرب وقد اجاد في هذا الباب فله شعر طيب كثير في فلسطين (١) وهو يذكرها بجرارة وألم ويتمنى لها الحرية والاستقلال ويحيي المؤتمرات التي تنعقد لاجلها ويصف جهادها وبلاءها واستغاثتها ويلوم العرب قائلاً :

تشكو ولم تصنع للشكوى مسامعنا ذنب لعمرك منا غير مغتفر (٢)
ويحيي ارواح شهداء غزة وطبرية ويؤنب العرب الذين لم يبالوا بما حاق
بفلسطين وما يحدث فيها من مآس تهز القلوب اسى ومرارة ولا يرى فائدة ترجى
من (مجلس الامن) انما القوة وحدها ترد الوطن السليب لاحضان امه البلاد
العربية وقد نظم قصيدة اثر هجوم اليهود على قطاعي غزة وطبرية واستشهاد جماعة
من العرب فقال فيها :

لم تُسلفِ عوننا ولا مساعد	ما لفلسطين ان دعتمكم
بين أولي الغدر والمكائد	حقوقكم تستباح فيها
وتارة تهتك المعابد	تسفك فيها الدماء طوراً
في مجلس الامن من فوائد	ما في الدعاوى التي اقيمت
دون مبادئه والعقائد (٣)	لاخير في الحر لم يناضل

ومن جميل شعره فيها الذي يسيل عدوبة ويستحيل ثورة :

يا شقيبى في الهوى عرج معي لنرى حال فلسطين الشقيقة

(١) - الديوان ص ١ - ٢٤ وقد افرد لها جزء سماه الفلسطينيات افتتح بها ديوانه .

(٢) ديوان اليعقوبي ص ١٩ مطبعة النعمان ١٩٥٧ - الجزء الاول .

(٣) الديوان ص ٢٣ .

واعني في المواساة اسي
كم دم ذاك اراقوه بها
فرفيق المرء من واسى رفيقه
احرام دم عيني ان اريقه؟ (١)
ويفرد جزءاً لجهاد المغرب العربي (٢) يندد فيه بسياسة فرنسة الاستعمارية بعد
ان يشهد مجازر الغرب فيه فيقول :

أرأيت هاتيك المجازر؟
اي النواظر لا تفيض
ما بين تونس والجزائر
وعلى مراکش ان سرت
دماً؟ على تلك المناظر!
فتم تشيق المرائر
ما بين تلك وهذه
دارت على العرب الدرائر
ما حال شعب وادع
اضحى يحكم فيه جائر
وامض ما اقترف اللثام
من الجرائم والجرائر
هدروا دم الاحرار فيها (م) واستبيح حي الحرائر (٣)

وقد امتاز اليعقوبي بالجرأة اذا ما قيس بالمعاصرين من شعراء العراق فقد
نظم في احداث سياسية ابتعد عنها شعراء الجيل الماضي ومن هؤلاء من تنكر لما
نظم ولم ينشره عندما طبع ديوانه فاذا استثنينا الرصافي فلا نجد من تجرأ على ذكر
حوادث ١٩٤١ مرة اخرى، بعد ان ذاق معاصروها من الاعتقال والتشريد
ونظم في الثورة العراقية. وقد نشر الشاعر قصيدة في انتصار الجيوش العثمانية في
الدردييل بعد ان ذهبت الدولة العثمانية وسجل انتصاراتها لانه كان مؤمناً بان
الانتصار عليهما في عهده معناه القضاء على الاسلام ولم يكن الشاعر مخطئاً فان الغرب

(١) الديوان ص ١٧

(٢) الديوان ص ٢٥ - ٤٠ وقد اسماه (جهاد المغرب العربي).

(٣) الديوان ص ٢٩

حارب الاسلام باعتباره الركيزة العظمى التي تجمع الشرق فقال :
لا سمح الله ، لمحو الاسلام يقتادها السكيد به والعدوان
وللوعى في الدردنيل انباء
يوم اذقنا القوم ذل الهيجاء
بالامس كانوا وهم الاعزاء
واليوم عنه اندحروا اذلاء وهكذا قال اهل الطغيان (١)

ولشاعر قصيدة هاجم فيها العدوان الثلاثي بينما تجنب كثير من الشعراء
ذكر إنكلترة ، وعير الشاعر إنكلترة وهاجها بعنف وسخرية فقال :
ألندن تحمي الشعوب الضعاف وفيما ادعت كذبت لندن
وتعلن في حبهها للسلام وتكتم غير الذي تعلن
وتضمن حرية المعتدين وحرية العرب لا تضمن
لقد عاهدت نفسها ان تسيء لكل حليف لها يحسن
ألم يكن العذر من شأنها ونقض العهود لها ديدن
سياستها كالرماد الذي سنا النار من تحته مكن (٢)

والدفاع عن السلام من أهم الاسباب التي اتخذها حزب العمال ذريعة للهجوم
على مستر ايدن خلال العدوان ، فقد كنت في اثناء الازمة في لندن ووقف كل من
مستر (بيغان) و (اديث سمرسكل) النائبان في مجلس العموم في ساحة
(الطرف الاغر) منددين بسياسة (ايدن) وقد اشتركت (الديلي ميورور) بمقال

(١) الديوان ص ١٠٣ نظمت بمناسبة انتصار الدولة العثمانية في الدردنيل وفي الكوت وله
أبيات في انتصار الكوت ص ١٩٦ من ديوانه .
(٢) الديوان ١٨٠ .

افتتاحي بهذا الهجوم نددت فيه بسياسة (ايدن) فقد وصل (ايدن) الى الحكم باعتباره داعية من دعاة السلام ولكنه هدم سمعة بريطانيا دوليا عندما استعمل القوة في حل مشكلات بريطانيا مع العرب .

لم يضعف شعر اليعقوبي السياسي لانه لم يكن موظفا ولم يلتو في معالجة المشكلات السياسية كما التوى الشعراء الموظفون وكضعف شعر حافظ ابراهيم ايام كان في دار الكتب المصرية . لان اليعقوبي متصل بالشعب اتصالا مباشرا فهو قريب من الشعور العام .

لاشك في ان اليعقوبي بدل بعض الكلمات وحذف بعض الكلمات من قسم قصائده ولكنه مع ذلك فالحذف والتبديل لم يفقده صراحته ومعانيه التي أرادها فهو يحيي جمال عبد الناصر تحية اعجاب واكبار ويشرح لنا مشكلة قناة السويس والسد العالي في وقت كانت الحكومة العراقية ضد سياسة مصر ورئيسها ، وذكر النصر الذي احرزته مصر في هذه المناسبة فقال :

اعادت عهود الشرق نهضتك الكبرى فلا برحت في الدهر خالدة الذكرى
تحريك بالبشرى وتهتف بالثنا بلاد ترى الدنيا تحييك بالبشرى
بيوم وجوه الغرب فيه عوابس واضحت تغور الشرق باسمه تغرا (١)
والملاحظ يرى ان اليعقوبي لم يتأثر كثيرا بالحياة الاجتماعية وكأنه عاش في محيط غير محيط النجف فما استفزته مشكلات الفلاح والفقروالمرض والجهل كما استفزت الصافي والجواهري والشرقي وبمجر العلوم وكأنه لم ير مشكلة المرأة التي خاض غمارها الشعراء في عصره كالرصافي والزهاوي ومحمد جواد الشبيبي

(١) الديوان ص ١٩٠ .

وعبد الحسين والازري وخيري الهنداوي وعبد الرحمن البناء . وان الاشارات التي اشار اليها في الديوان (١) ما هي الا معالجات سريعة ذات الفاظ عامة عاجلها كما يعالج اي شاعر من شعراء العصر والواقع ان الشاعر اعطانا صورة صادقة للفكر الذي يعيش جانبا منه ولم يعط للمشكلات الاجتماعية المكان اللازم في شعره وشعوره لشدة اهتمامه بالسياسة ومشكلات الامة الاخرى ويبدو اثر القرآن الكريم و اثر الشعر القديم في شعره واضحا فهو يستسقي الغمام لقبر والدته فيقول :

لك الله مقبورة لاعداءك
ثرا كملت الحيا الماطر (٢)

وعندما اراد ان يظهر شوقه لوفد الكشاف السوري قال انه يشتاقهم مثل شوق رياض الحزن للمطر وهو تشبيه رائع في منطقة النجف فقد قال :

هذا العراق على بعد يشاطركم
بالشام في كرات الدهر والغير
يشتاقكم كل قلب من شبيبته
مثل اشتياق رياض الحزن للمطر (٣)
واذا تناقم الامر قال :

(نهب القواضب والاسل) (٤) وان السيف لا يزال يضرب بحده ويسل (٥)
وعندما تحدث عن فلسطين قال عنها :

(والسيل بلغ الزبي) (٦) (وسبق السيف العذل) (٧)

(١) الديوان الصفحات ٤٥ و ٥٢ و ٦٦ و ٧١ و ٨٨ و ١٠٥

(٢) الديوان ص ١٥٢

(٣) الديوان ص ١٨

(٤) الديوان ص ١٥

(٥) الديوان ص ١٤

(٦) الديوان ص ٥

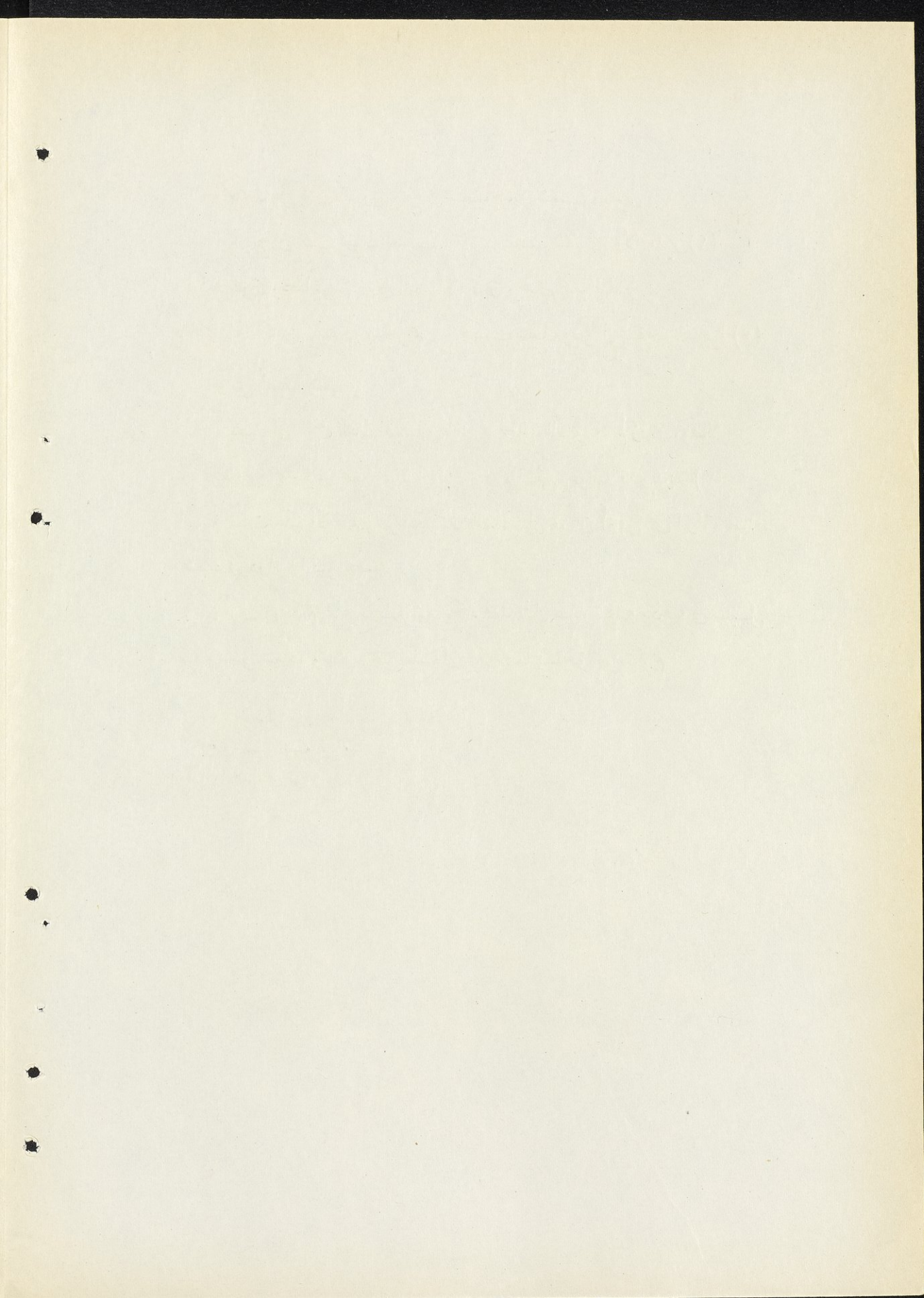
(٧) الديوان ص ١٥

وتحدث عن قتال السويس وبور سعيد فذكر شعيب ومدين :
 ولم ينج إن صب سوط العذاب عليها شعيب ولا مدين (١)
 وذكر فرعون وعصا موسى وقال عن الانكليز وجمال عبد الناصر .
 فراغنة كادوا البلاد بسحرهم فكنت عصا موسى التي تلقف السحرا (٢)
 ومن لطيف شعره :
 يا مصر ان نأت الديار فيبيننا حبل العروبة لم يزل موصلا
 الدين والاخلاق تجمع بيننا لانبغي عوضا به وبديلا (٣)
 وليست هذه الا المامة سريرة بشعر الشاعر ارجو ان أوفق على ابراز حياته
 وشعره في دراسة أكثر تفصيلا .
 وأرى ان يكرم شاعر نابطع شعره كله فقد بذل عسارة قلبه وذهنه في سبيل
 امته وسبيل سعادة وطنه . فحق علينا ان نكرمه ما يستحق من تكريم .

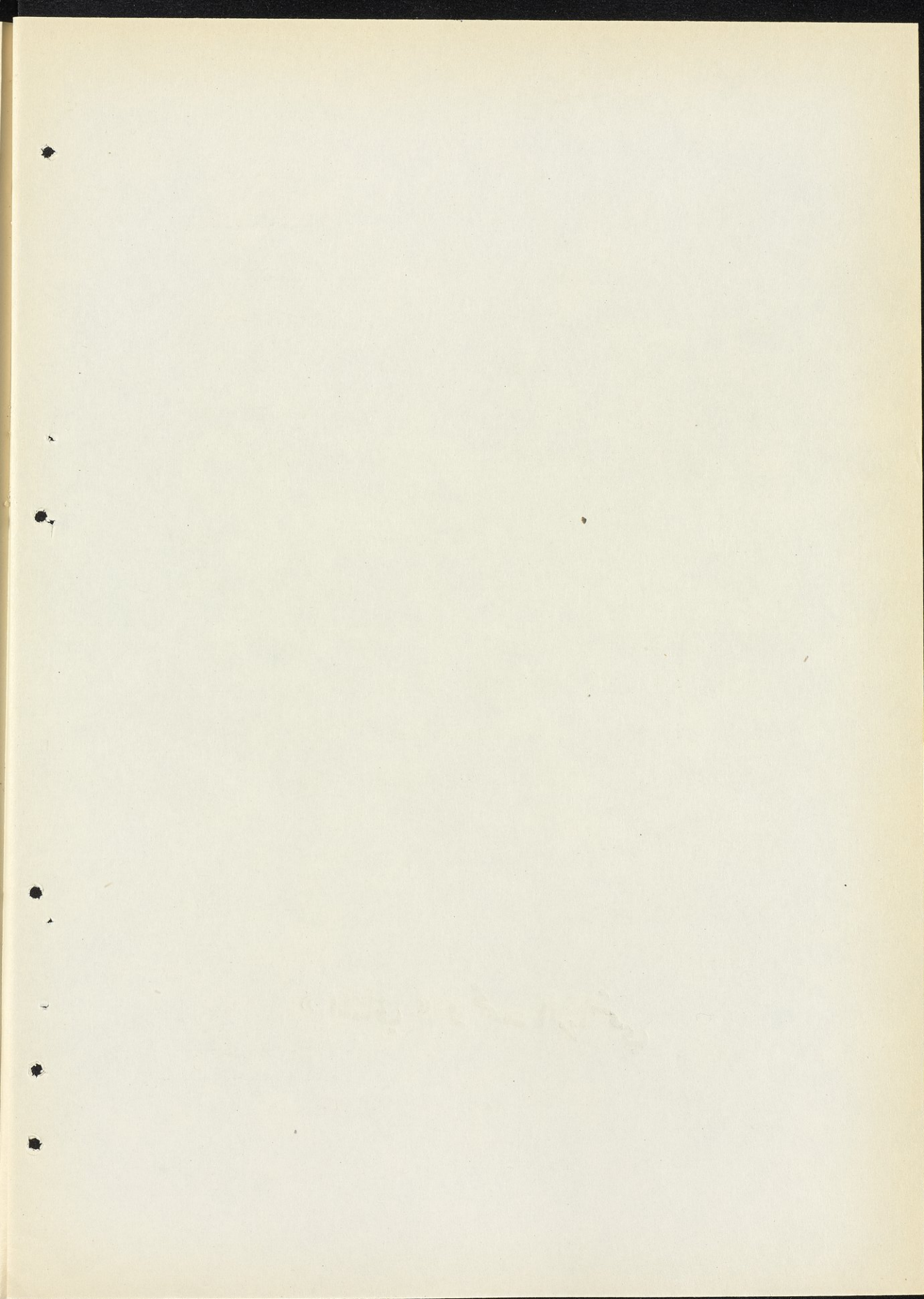
(١) الديوان ص ١٨١

(٢) المصدر نفسه ص ١٩٠ .

(٣) الديوان ص ٤٩ .



« المتاني » و محمد الراسمي



مهابة الشاعر (١)

ولد الاستاذ محمد الهاشمي في بغداد سنة ١٨٩٨ في الكرخ، ونشأ في أسرة
تثقت بالثقافة المتعارفة في ذلك الوقت، وهي الثقافة الدينية والادبية، وتعلم القراءة
والكتابة والقرآن على والده، ثم وهو حدث لقنه أخوه الأكبر النحو وشيئا من اللغة
وحمله على أن يحفظ مقصورة ابن دريد، وكان وهو صغير السن، يناقش
الكبار ويغلطهم في النحو حتى عجبوا منه. ودخل المدارس الابتدائية زمن الحكم
التركي، وهي « ابتدائي ورشدي »، وكان جل أساتذته عربا ومنهم حمدي
الباجه جي، وعبد الله سلام، ونعمان الأعظمي. ثم دخل المدرسة السلطانية فلم
يرقه التدريس فيها بالغة التركية. وعُني بالأموال السياسية، واتصل بجماعة من
الساسة، منهم يوسف السويدي، ومزاحم الباجه جي، وحمدي الأعظمي. وكان
من ضمن الذين يوزعون المنشير السرية الداعية الى تنبيه الحس العربي ضد الحكم
التركي. وكانت هذه المنشير تصل الى بغداد سرا من الجمعية العربية في باريس
ومصر. وقد صار، وهو دون الخامسة عشرة، داعيا من دعاة القومية
ومعاديا لحكم الاتحاديين الاتراك، وقد برع في قرض الشعر وهو صغير، ومما
نشر له حينئذ قصيدة كانت في الدعوة الى اتحاد المسلمين، نشرت في جريدة
« عالم الاسلام » في تركية سنة ١٩١٢، وتناقلتها بعض الصحف في بيروت
وتركية. وسبق الى المحكمة من أجل قصيدة له ضد روسيا، نشرت في بغداد في
جريدة « الرياض » لسليمان الدخيل، وفيها بيت في هجاء القيصر هو :

يا قيصر الروس شل الله عرشك هل علمت منقلب الظلام اذ ظلموا

(١) المعلومات مستقاة من الشاعر نفسه.

ثم سيق الى المحكمة من اجل قصيدة نشرها في بغداد ومنها هذا البيت :
تركوك يا لغة النبي وآثروا في المسلمين سياسة التتريك
وحكم عليه بالسجن ثلاثة اشهر ، وقبل تنفيذ الحكم سافر الى مصر للدراسة فيها ،
وذلك سنة ١٩١٣ ، ومكث هناك ست سنوات ، كانت قاسية عليه ، اعاناته فيها
من القافة والوحدة ، واضطر الى أن يعتاش على نسخ الكتب وبيعها ، ودرس في
الجامع الأزهر ، ولم يتم دراسته فيه ، وعاد الى بغداد ، وكان نظم شعراً كثيراً في
غربته بمصر ، تألف منه ديوان ، وطبعه بدمشق سنة ١٩١٩ بعنوان « عبرات
الغريب (١) » . ودخل مدرسة الحقوق ببغداد سنة ١٩٢٠ واشتغل بالحاماة
واصدر مجلة « اليقين » لثلاث سنوات ، وألقى شعراً وطنياً في حفلات سياسية
كثيرة ، وتعرض من جراء ذلك للأذى كقصيدته التي القاها في « رويال سينما »
سنة ١٩٢٤ ومنها :

كذبتم مالكم في الأمر شيء . فقولوا إننا شعب عبيد

نهضت فليل اي فتى فلما خبرت الامر أعجبي القعود

واشتغل الماشي موظفاً بوزارة الدفاع ، ثم كاتباً بالبلاط الملكي ، ثم مدرساً
بدار المعلمين الابتدائية ، ثم بالثانوية ، وفي سنة ١٩٢٧ ترك التدريس ، وانخرط
في سلك القضاء ، وكانت آخر وظيفة له فيه « رئاسة مجلس التميز الشرعي »
وأحيل منها الى التقاعد .

(١) وله من الشعر غير ذلك « صمير آميس » اسطورة شعرية طبعت عام ١٩٠٩ ، و« المغاني »
نحن بصدده الان . وترجمة « رباعيات الخيام » وهي معدة للنشر . وله كتاب بارع في حديث
القضاء اسمه « القضاء بين يديك » طبعه سنة ١٩٥٧ وكتاب « حديث عن احسن الحديث »
وهو مباحث في القرآن الكريم ومقابلة أحكامه بأحكام التشريعات الحديثة .

المثنائي (١) :

كنت أظن أن هذا الشاعر الفاضل قد ترك الشعر الى غير رجعة ، وذلك بعد اشتغاله في القضاء ، غير أن اصدار « المثنائي » أثبت انه كان ينظم الشعر طول هذه المدة ولا ينشره . والمثنائي مقطعات ذات بيتين ، وكان اسمه قبل طبعه « أسورة من نحاس » لأن الشاعر يعتقد أن المرأة تلبس كل سوارين مرة واحدة ، ثم بدل اسمه وجعله « المثنائي » . وهو ديوان ضخم ضمنه تجارب حياته الطويلة في السياسة والاجتماع والدين والاخلاق والتوجيه والغزل وغير ذلك مما مرّ به في الحياة الاجتماعية في المحيط العربي الانساني . ويحتاج الديوان الى دراسة طويلة لاطهار مكنونات هذا الشعر الغزير العميق ، وسأكتفي بباب واحد أمرّ به سريعاً اعرضه على القاريء الكريم ، هو باب السياسة والثورات والعمل والعمال ، اصلته الوثقى بالحياة التي يحياها هذا الجيل العربي المتوثب النائر .

عالج الهاشمي المشكلات التي عاشها المجتمع من ظلم وتسلط الحاكمين بالسخرية من الملوك ورجال الدولة ، فهو يقول مثلاً عن الملوك الذين يرضون بالمظاهر الكاذبة دون ان تكون لهم سلطة حقيقية :

تاج وعرش وعلم وفيك سيف وقلم
وصوت غوث كاذب لاصدق ان خطب ألم

ويقول إن مظهرهم مظهر الوقار والحكم ، والواقع أن ابناء الشعب هم الملوك وأن الملوك هم الرعايا :

(١) طبع سنة ١٩٦٢

ورعايا كملوك
ان رأوا عندك شيئاً

ثم يعطينا صورة واضحة للدولة التي كان يحكمها هؤلاء الملوك ووزراؤهم ، فهم
لصوصهم يسرقون أموال الشعب ظلماً وعدواناً ثم يلوم الشعب الذي دعاهم
لتسليم مقاليد الامور في بلاده فيقول :

ومملكة ومن نصبوا عليها
ملوكاً قابضين على الرقاب
ويقول في وزراء الدولة :

نؤمل عدلاً منك في ظل دولة
مشينا الى قدامنا فاذا بنا
وأطرف صورة لنظام هذا الحكم يرسمها الشاعر الهاشمي بقوله :

حارسها لص وشرطيها
مكان من يسرق في قصره
لص ، فما نومك بين اللصوص ؟
مكان من يسرق بين اللصوص

ويسخر من استقلال الحكومات التي جاء بها المحتل وأخذ يحكم
البلاد باسمها :

أمة مضمحلة وبلاد
كثرة الهاتفين بالكذب اخفت
قيل فيها حكومة مستقلة
قلة الصدق از في الصدق قله

لأنها حكومات قامت على الرشاوي والمنح ، فيها لصوص بشباب ولاية يتحكمون
في مصير البلاد :

قدمت قبل قضايا ك الهدايا والصلات
لولاية ليس يدري أالصوص أم ولاية ؟

ويسخر من دعاة العدل والحق في دولة متفسخة محكومة من الأجنبي الذي لا
يعرف غير المراوغة والغش والخداع والرشوة فيقول :

مالعدل؟ مالالحق؟ ومن أهله؟ الحكم للراشي والمرتشي

لا تبلغ الرتبة في دولة مالم تنافق أو ترغ أو تش

ثم بشور على أولئك الذين يمدون أيديهم للمستبد الظالم لأنهم يشجعونه على الاستبداد
و يمدون نحو الظلم ، والنفوس الأبية الكريمة تأبى أن تمديدها للظالمين والمستبدين ، والمجتمع
المتفسخ فيه كثير من هؤلاء ، وهم الذين يدفعون الظالم والمستبد نحو الطغيان :

أرأيت أفقر من يد ممدودة للمستبد على الخيانة تبسط ؟

طال الحديث ولست تعلم منهم من كان أظلمهم ومن هو أقسط

والشاعر حرب على الأجانب والمستعمرين الذين أضلوا العراق وعاثوا في
أرضه فساداً ولم يدعوه يتمتع بخيراتاه ، فقد سرقوا نطفه وأمواله وتركوه دون أن
يمدوا إليه يد المساعدة ، مع أن هذه البلاد بخير وأموالها وفيرة . . . وقد استقل
العراق وأصبح سوقاً لتصريف البضائع الأجنبية التي جرت الى استعمار البلاد
والسيطرة عليها ، وحث الشعب على الصناعة ، فهي مهما كانت تافهة البداية فستكو
بعد فترة من الزمن ريكزة من ركائز الاقتصاد :

غزيت بلادك بالصناعة غزوة كانت تجر وراءها استعمار

في كل ما صنعت يمينك ثروة فاصنع ولا تمل ولا مسارا

لأن طريق الاستعمار الاقتصادي يؤدي الى سيطرة سياسية فعلية لا ينفيها

غير البدء بالعمل الصناعي :

اصنع لنفسك آلة تنجيك من خطر الأجنبي
من ههنا وههنا عليه لك تحاوشوا من كل جانب

وما استعمار الشرق وانحطاطه الا لأنه متأخر صناعياً وعلمياً :

قد حرمتنا ما صنعنا إبرة واعطاط الشرق من جهل الصناعه
وقال :

لك من سلاحك عدة ومن الصناعه ألف عُدّه
جبل الصناعه شدة جرت وراهك كل شده

وقال :

ولا مثل علم بالصناعة قوة فناهيك من فن عظيم ومن علم
ألم تجدوا ان الصناعة ثروة تهدونها للشعب في الحرب والسلام
والنفط ثروة العراق التي يتمتع بها الأجنبي ، وهو من موارد ثروة العراق
التي لا يستفيد منه أبناء الشعب غير الأذى :

ياسيدي لك النفه طولا لي سيدي
اشعلته لا بيدي فاحترقت منه يدي

وقال للمفاوض او للحاكم الذي كان يحكم البلاد :

عوض عن النفط أو ساوم به كذبا النفط والدين والدنيا بدينار
ما كان ساومك النمرود في حطب ولم يساومك ابراهيم في نار
وتحدث فيما جر النفط على أهل عبادان من ويلات الاستعمار وقابل
ذلك بحالة الشعب العراقي الذي فرضت عليه المعاهدة ليحافظ الأجنبي

على النفط :

وأحرق أهل عبادان نفط ومحترق به أهل العراق
معاهدة الأجانب في لقاء كتبت بها الهوان بلافراق
ويلخص ما في العراق من كنوز نغني وتسعد الشعب كله لو استغلت لمصلحة
أبنائه ، ففيه النفط والتمر وخصب الأرض ووفرة المياه ومع ذلك فالعراق فقير
متأخر جائع عار :

النفط ثروتنا والتمر ميرتنا والأرض عدتنا والماء واديننا
الحمد لله هذا كله وخلصت من الحساب سوى الأصفار أيدينا
ومع ان فترة الشاعر فترة لم تكن تعني بالعامل قوة من القوى الشعبية ، فقد
إهتم بالعامل بصورة عامة ، والتفت اليه التفاتة جميلة ، فقد طالب بأن يرفق به
لأنه أجير وليس عبداً ، وينبغي احترامه ورعايته ، فقال :

أجبرك ليس عبدك فاحترمه ولا تنظر الى وسخ الوضين
فان يدنس له ثوب فدعه ليرخص ثوبه عرق الجبين
ويرسم صورة العامل ، انها صورة رجل دائم نشيط حاذق منصرف الى
عمله كل الانصراف ، فيقول :

ما كل ما يتسمى عامل بطل لا يحسن الصنع الا عامل حرك
يمشي هنا وهنا في حذق صنعته لا الصدر يليه من جد ولا الورك
ويخاطب أولئك المترفين المتبطلين ، قائلاً إن يد العامل هي أشرف من
أيدي أولئك الذين لا يعملون ، لان العامل قوام الصناعة وقوام الاقتصاد في
البلاد ، وستان ما بين انسان يعمل وينتج ومتبطل يعيش كالطفيلي على كد العامل

ومجالدته فيقول :

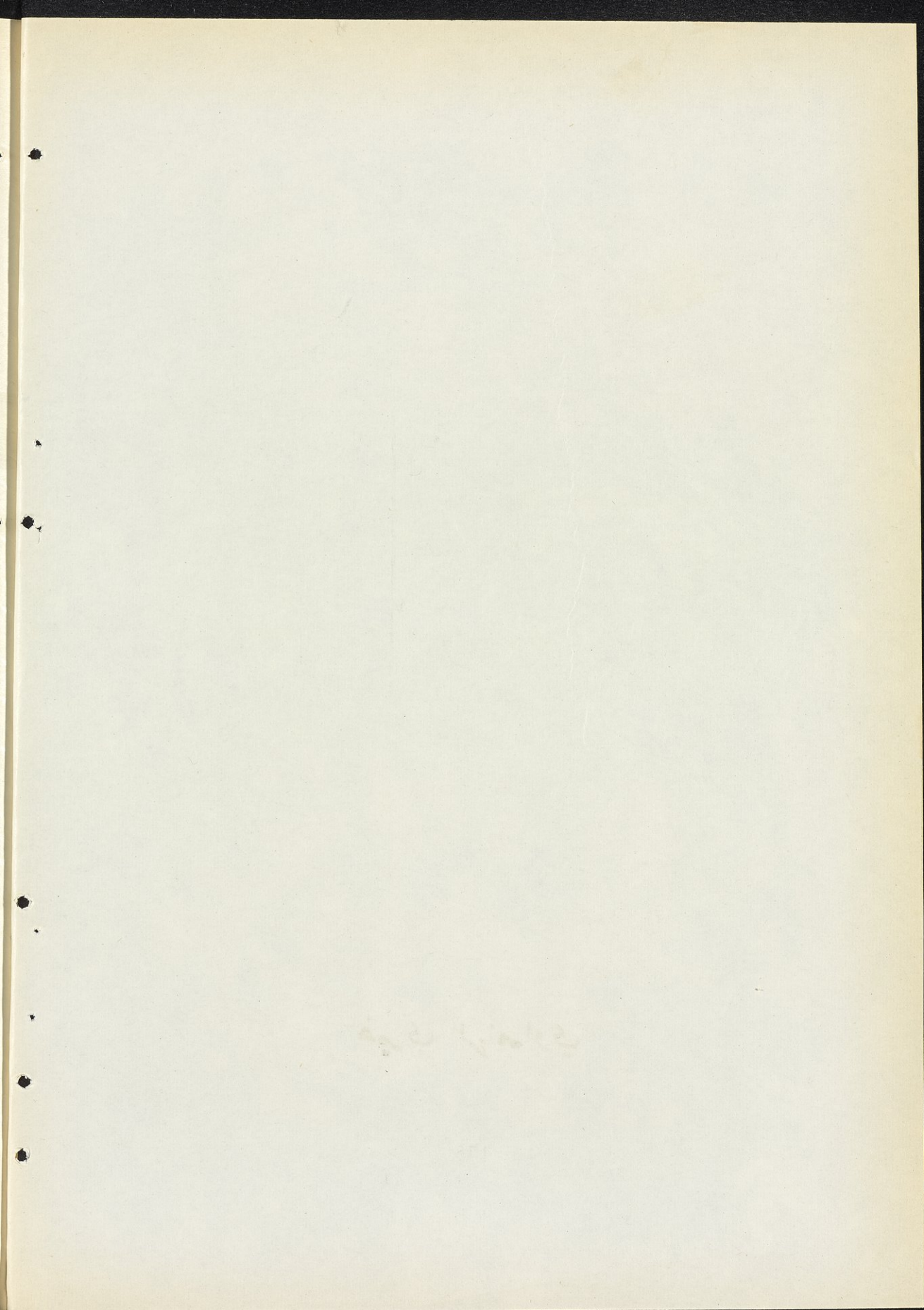
وأشرف من أيديكم يد عامل بها ورم من طرقها ومجول (١)
صناعتنا فيها جهاز وقوة نصول على باغ بها ونجول
وعد العمال المحاصرين الحاذقين أنبياء العمل ان لم يكونوا أنبياء البشر .

وعلى الجهد المبذول في طبع الكتاب ، فقد تسربت اليه غلطات مطبعية كثيرة
ولكنها لا تخفى على القاريه العارف ، أو الأديب المقتدر ، وفي الفصل الذي
عرضته عليكم تكرر في بعض المقطعات مثل الخامسة والسادسة والسابعة والثامنة في
صفحة ٣٢٩ تكررت في صفحة ٣٤٠ و ٣٤١ ، والمقطعات « الثالثة والرابعة
والسادسة صفحة ٢٣٠ » تكررت في صفحة ٣٤٠ .

وكم كنت أتمنى أن لا يضم هذا الديوان كل ما نظمه الشاعر من المثاني ، فقد
نشر فيه منها ما لا يساير شاعريته الأصلية ولا يصل اليها .
هذه اضمامة زهر من رياض المثاني ، أقدمها لأرباب الذوق السليم من الأدباء
ليصيبوا منها ما شاؤا من عطفواح ورأي سديد ، واسلوب رائق . وليت الوقت
اتسع لي لأعطي هذا الشاعر الكبير حقه من الدراسة والنقد وعسى ان يكون هذا
العرض حافزاً لغيري .

(١) مجول : أثر العمل في اليد وهو ان يكون ماء بين الجلد واللحم .

غیري الریند اوی



مقدمة (١)

يتفاوت الشعراء في الدرجات الفنية والفكرية فهم يتفاوتون في الاتناج ان كان غزيراً أو محدوداً وفي الجودة الفنية ان كان الشاعر قادراً على رسم الصورة الناجحة أو شبه الناجحة أو الباهتة . كما يتفاوتون في عمق الفكرة وسطحيتها فمنهم من يسبر غور الرأي ويمليه شعراً رائعاً ومنهم من يأتي المعاني فيلتقطها كما اتفق . ان التفاوت أميز في صدق المشاعر وكذبها فان كان الشاعر صادق الأحاسيس فهو أشعر من صاحب الصنعة المزيف ، وقوة السبك وجزالة الأسلوب غير البساطة في النسيج والركة في التركيب .

ولا يقدر الشاعر على الخروج عما وهبته الطبيعة له ولا عن البيئة التي يعيش فيها فلا بد أن يظهر أثرها في شعره مهما حاول الابتعاد أو التنصل من محيطه . فالشاعر الذي يولد في انكلترة في القرن العشرين غير شاعر العراق اليوم ولو انه عاش في بغداد وشاعر بغداد قبل خمسين سنة يختلف اختلافاً ظاهراً عن شاعرها اليوم . فان التباين الثقافي والفكري واضح بين شاعر وشاعر وعلى قدر هذا التباين يبدو عمق الأثر وسطحيته في كل العصور وكل البيئات . والأدب مجس دقيق للصدق والافتعال وميزان مضبوط للعقم والابتكار فاذا كان العصر عقيماً متأخراً فلا يجوز لنا أن نطالب الشاعر بأكثر مما عليه عصره وثقافته واحداثه فالأخرس من شعراء القرن التاسع عشر في العراق تفاوت فكرياً وثقافياً مع عبد الباقي العمري ولو انهما عاشا في عصر واحد وتأثرا باحداث هذا العصر ، والتميمي والحليان يختلفون اختلافاً

(١) احاديث اذيعت من بغداد .

ظاهراً ولو ان الثقافة واحدة والبيئة واحدة والأحداث واحدة .

فاذا أردنا ان نقارن اسلوب الاخرس او جعفر الحلي وما في اسلوبيهما من جزالة مع شعر البارودي لتفوق عليهما لانه كان واسع الثقافة ولان عصره كان اخصب من عصرهما فان اسلوبهما قوي الديباجة لكنه يدور في حلقة مفرغة وكل ما كان يقدر عليه الاخرس هو ان يجهد عقله ويكدح ذهنه لتوليد صور جديدة لا تخرج عن البيئة التي عاش فيها وان يتلاعب بالالفاظ لكي يبرز معاصريه كعبد الباقي العمري ولكنه لم يستطيع ان يصل الى مستوى البارودي .

ولو سائرنا الحركات الذهنية لأي شاعر عاش في القرن التاسع عشر في العراق لما وجدناه الا محدود الافق بالبيئة التي اكتنفتها وبالثقافة التي وصل اليها فهو لم يخرج عن البيئة التي اثرت فيه نتيجة للحياة السياسية والاجتماعية والفكرية في العراق او انذاك .

على حين نرى البارودي الذي عاش في القرن التاسع عشر في مصر خرج من تلك الحبسة الفكرية التي عاشها قبله وعاد الى نفسه متمرداً على مجتمعه واحداثه وأخذ يتأثر باحداث العالم ويتفاعل معها لانه كان واسع الثقافة رحيب الافق وكان خير محمد لشوقي ومن جاء مع شوقي وبعده .

وقد خلا العراق من شاعر يمهد للشعر العربي فيه لانه ، لم يتأثر بالاحداث العالمية والتيارات الفكرية والثقافية التي كانت تضطرم وقد بقي القرن التاسع عشر يؤثر في شعراء القرن العشرين ووجدنا هذا الاثر واضحاً في شعر الرصافي والزهراوي والعبيدي والشببي وغيرهم من الشعراء لانهم كانوا في بدء القرن يريدون ان يكونوا مجودين بلاغياً او لفظياً اجادة تتفق ومثل القرن السابق وتقاليده .

ولم يصل اثر مصر وما تحمل من تيارات فكرية الا متأحراً ولم يتح للشاعر العربي في العراق ما يتيح له من البيئة والثقافة الادبية في القاهرة الا عندما بدأ يقرأ في المقتطف والهلال والمقتبس والمؤيد وأخذ ينفعل مع الأحداث الخارجية ويتعد عن العزلة التي فرضت عليه ، وتجلت هذه الانطلاقة بتغيير المعايير والمفاهيم التي كان يعيش عليها الشاعر وتجلت بوادر الاختلاف بعد احداث تركيا في أوائل القرن العشرين و اعلان الدستور العثماني اذ اخذ بعض الشعراء والمفكرين يذهبون الى تركيا والبلاد العربية فيرون ما لم يروه في بلادهم وأخذ الشاعر يشارك في الحية العامة بمختلف تياراتها وأخذت مسار التفكير الجديد تعمل في فكره ويجهد ان يراها في انتاجه فتوجه شعورياً وبلا شعور نحو الاختراع وتوليد المعاني والابتعاد عن التكلف العقلي والزخرفة البيانية ورفض الالفاظ وانطلق مع عاطفته وشعوره ووجدانه . لان الاحداث الجديدة لامسته وحياته وهزت كيانه وبدأ التفاعل الواضح في بيئة مختلفة التيارات ما بين مسلم وعربي وانساني فعاش الاديب احداث العالم العربي ومشكلات المسلمين ومصائب العالم مما لم يجده الا في النادر في القرن التاسع عشر في العراق .

ولكن هل زالت كل رواسب الماضي وذهبت مسار التفكير القديم بفتة من رؤوس الناس والمفكرين في العالم العربي ؟ . والجواب استحالة حدوث هذا الامر لان الانسان لا يقدر بسهولة ويسر التخلص من كل ما يأتيه من القرون الماضية وخاصة ارباب الفكر لان المفكر لا يقدر ان يعيش في فراغ فكري وروحي حتى يأتيه الجديد وعندما يأتي الجديد لا بد ان يجد الفكر مشغولاً قبله وعلى مقدار قوة الجديد واندفاعه ومقدرته على مزاحمة القديم تتوقف قابلية الشاعر الفكرية

فالشاعر أراد أن يتخلص من قديمه وان يملأ روحه وفكره بالثقافات الجديدة والآراء الحديثة واشباع فكره بها وحاول التطور بانتاجه وادبه والتأثير فيه . فتباين الانتاج الجديد واختلف باختلاف الشاعر نفسه مع زملائه واختلفه مع شعراء القرن السابق .

وقد اثرت التيارات الفكرية في جميع الشعراء كما تغيرت الحياة عامة بعد ان اعلن الدستور العثماني وغدا العربي في العراق يشارك في الحياة السياسية والادارية وانضم الى جمعية الاتحاد والترقي وحزب الائتلاف واخذت المباحثات الفكرية تظهر بظهور الجرائد التي كانت مع الدولة وضد الدولة العثمانية ثم جاءت الحرب العظمى ودخل العراق في حوزة بريطانيا وتفتحت الاذهان على معايير جديدة واختلفت المثل القديمة وتبلورت تلك الحياة القديمة مع الحياة الجديدة فكان نتاجاً غريباً متغافراً ثم جاءت مع الفتح آراء لم يكن يعرفها الشاعر من قبل وأصبحت له تجارب اختلفت عن تجاربه الماضية منها ما هزت كيانه وروحه ومنها ما ملأت قلبه بالحسرة والالم وبدأ نشاط فكري وسياسي ملحوظ في العراق اختلف باختلاف الناس فمنهم المؤيد للحياة الجديدة وما فيها ومنهم المعارض لها الساخط عليها . فقد شعر الشاعر بالاحتلال واثرت جنوده في كرامته وداستها بلا رحمة أو حذر . فمامقدار هذه التفاعلات الفكرية وهذا النزاع بين النيارات في روح خيرى الهنداوي ؟ للجواب على هذا السؤال لابد ان نبدأ من جديد مع الشاعر نفسه .

ولد خيرى الهنداوي في القرن التاسع عشر وتشبع اراء هذا القرن وروحه وأفكاره وتياراته وشب عليها ونظم في اغراض هذا القرن ومطالبه كغيره من شعراء عصره ففي شعره المديح والثناء والغزل وفيه اشادة في مواقف الحسين وآل

الحسين لانه عاش في بيئة اعتادت على اقامة مهرجانات لهذه الذكرى واكن ما مقدار نجاحه في شعره في هذه الفترة وما مقدار التفاوت الفني بينه وبين جعفر الحلي وحيدر الحلي انا لا اشك في انه لم يقدر ان يصل الى ما وصل اليه من الجودة والجزالة فان قدرته الفنية لم يصل اليها شاعر عاش في بيئة خيرى الهنداوي ولأن ثقافته اللغوية والادبية اقل بكثير مما ينبغي للشاعر ولذلك لم يعيش شعر الشاعر في حياته الأولى ولم يحتفظ به اذ لا بد ان اتلفه بعد ان رأى شعره اقل بكثير من شعر مادحي الحسين ولو كان من المرتبة الجيدة لاثبتته في ديوان شعره المخطوط او نشره فيما بعد كما نشر شعره واذا مع ذلك فقد استوى على سوقه شعرياً وغداً ادبياً مبرزاً فاق كثيراً من شعراء عصره وقد كان له اسلوب ناجح في النثر فان مقالته المنشورة في مجلة المقتطف التي نشرها عام ١٩١٧م تدل دلالة واضحة على قلم رصين واسلوب بارع وسبك متحرر يختلف تماماً عما كان مرسومًا للنثر في القرن التاسع عشر ومن عاصره فابتعد عن المحسنات اللفظية وتكثف السجع ولو انيحت له الثقافة الواسعة والعلم الكافي باللغة العربية وآدابها ولو انه استمر في دراسته وكتابته لكان له شأن مرموق بين كتاب النثر في البلاد العربية فاننا لو قارنا هذه المقالة مع ما كتب في جرائد العراق مثل جريدة صدى بابل ولواء الاسلام والرقيب والعرب فيما بعد لكانت هذه المقالة من المقالات الرائعة التي يندر ان نجد احسن منها .

وخيري الهنداوي شاعر موهوب له موهبة شعرية لكنه لم يرتفع الى درجة الفحول من الشعراء فانه لم يقدر على مسامرة شوقي وحافظ ولكنه سار شوطاً ليس بالبعيد مع شعر الرصافي وفاق في اكثر شعره شعر الزهاوي في اسلوبه وجزالته وفاقه الزهاوي بالمعاني والتوليد الفكري الجديد .

والسؤال الذي يتردد هو : لماذا لم يوفق خيرى الهنداوي توفيق الفحول من الشعراء ؟ وجوابي ان الشعر معاناة ومران ولا تكفي الموهبة الشعرية على خلق الشاعر الفحل وإنما يجب ان يصقلها طول المران وشدة المعاناة والدراسة المستمرة العميقة وسعة الافق الفكري . والموهبة الشعرية جزء من الانتاج الأدبي فمن الضروري التخرج على اساتذة اللغة والعلم واخضاع الموهبة للتجارب العلمية والفردية والدراسة قاعدة يسندها ويهدبها التلقي على شيوخ الادب أو مذاكرة الكتب ليكون الاديب ناجحاً في انتاجه وكثير من الناس يملكون الموهبة الشعرية ولكن القواعد الضرورية التي تسند هذه الموهبة اضعف من ان تقوم الشاعر وتسند هذه الموهبة . ولم يتح للهنداوي في حياته المدرسية الاولى ما يجب ان يسند هذه الموهبة الكبيرة فقد اتيح له التعليم الابتدائي ثم ان الشاعر كان شديد الكراهية والتبرم باهم أسس اللغة العربية وهو النحو فقد قال عن نفسه (انني في كل هذه المدة التي درست فيها النحو والدروس العربية لم أكن أفقه شيئاً لاعتلاق نفسي بحب الشعر والادب لذلك لم تجد هذه القواعد لها محلاً في دماغي وأظن ان السبب الجوهرى في الامر طرق التدريس القديمة العقيمة) وأراد الشاعر ان يلقى اللوم في عدم فهمه وكراهيته على طرق التدريس وهذه هي الطرق نفسها التي كان الرصافي قد حفظ بها النحو حتى انه سمي بالشواهد .

وواقع الأمر ان شاعرنا لم تكن له قابلية للفلسفة والمنطق وعلم الكلام الذي تقوم عليه علوم العربية وهذا الضعف دعاه الى التنقل من مدرس الى آخر بل انه كان كثير الهرب من الدروس نفسها ومن جراء هذا الامر غدت ثقافة الشاعر اللغوية قليلة فقد قرأ شيئاً يسيراً من القرآن الكريم في طفولته وقليلاً من اللغة

العربية ولم تتح له الفرص لإتمام دراسته التي تؤهله ليكون شاعراً من الطراز الأول لان والده الموظف كان ينتقل من مدينة الى اخرى فبعد ثلاثة اعوام قضاها مع والده في بغداد انتقل معه الى العمارة وبعد عام وبعض عام انتقل الى قلعة صالح ثم عاد الى العمارة وبعد شهر انتقل الى ابي صيدا في لواء ديالى ثم ذهب الى الديوانية وعفك وهكذا .

كل هذه التنقلات قد تكون حائلاً دون الاستفادة والتزود بالعلوم والاستمرار على الدراسة فقد درس قليلاً من النحو على مصطفى الواعظ والعربية على السيد حسين الملقب بالشرع ودرس على علاء الدين الآلوسي وقد كان الشاعر يريد ان يتم دراسته والاستفادة من وقته ليقوم لفته ويهذب بيانه بعد ان احس بالحاجة الى ذلك فلما جاء الى الشنافية درس على الشيخ جعفر نصار شيئاً من النحو وقد قدر هذه الدراسة وعدها ذات اثر في نفسه وفي ادبه كما قدر دراسته على استاذة علي الطريحي اذ عد الفائدة منه كبيرة ثم تعرف على الشيخ محمد السماوي الذي شجعه على النظم وقد بذل في سبيل تقويمه كثيراً ونصحته في صقل شعره اذ لم تكن مباديء شعره ترضي الشيخ السماوي واستمر حتى استقام عمود الشعر له والسماوي رجل فاضل وعالم من علماء عصره ولكنه لم يكن بقادر ان يجري مجرى قول الشعراء .

وأرجح ان شعر الهنداوي ما ارتفع الا بعد ان تزود بالثقافة الجديدة التي تزود بها شعراء عصره وبعد ان اتصل بشعراء بغداد وبالجو الفكري فيها ولعل اتصاله بالرفاعي والزهاوي اثر في ادبه فأثر الرفاعي بجزالة شعره والزهاوي بأرائه وتجديده في المعاني وقد كان شديد الصحبة للرفاعي ولم يكن ضعيف الصلة

بالزهاوي وبيثة بغداد وشعراء بغداد يؤثرون دائماً في كثير من الشعراء
الوافدين إليها .

وقد كانت مجالس الادب حافلة بالشعراء وقادة الرأي وكانت هذه المجالس
مدارس فكرية وأدبية تناقش فيها القضايا الأدبية والاجتماعية والسياسية وتتلى فيها
القصائد وتنقد المقالات التي تصدر في الصحف والمجلات سواء في بغداد أو في البلاد
العربية فقد كونت الصحافة العربية في مصر مدارس في العراق مثل مدرسة المقتطف
والسياسة الاسبوعية واخيراً الرسالة والثقافة التي كانت ميداناً لنشر شعر الشعراء
ومقالات الأدباء من العراقيين خاصة .

السياسة والفكرية

كان العراق جزءاً من الامبراطورية العثمانية المسلمة وكان الدين الرابطة التي
تربط بين العرب بالدولة . ولأجله كان العرب يتجاوزون عن الاساءة اليها والدعوة
الى الانفصال عنها لانها كانت رمز الاسلام والمدافعة عنه وهي رمز الخلافة الاسلامية
ووحدة المسلمين وبهذا الشعور كان العرب يؤازرون الدولة ويندودون عنها
ويقاتلون في سبيلها فاذا ما حدث لها يصبغ الشعراء العرب بالدفاع
عنها والذود عن حياضها فعندما احتلت دول البلقان سلانيك قال
خيرى الهنداوي :

يا واطئاً ذاك التراب ترفقا فلقد شكنا من وطئك الاسلام
رفقاً بوطنك انما تحت الثرى قوم وان هانوا عليك عظام

ومن القصيدة :

نبأ تلعثت الرواة بنقله وتعثرت بطروسها الاقلام
أم البلاد عليك من متوجع قطن العراق تحية وسلام
وقد بقي العرب مع الدولة العثمانية يندودون عنها ببسالة حتى شهد لهم جمال باشا
نفسه وقال انهم (أدوا واجبههم بمنتهى الشجاعة والاخلاص) .

وحفظ لنا التراث الادبي شعر هؤلاء الشعراء فمنهم الرصافي وكاظم آل نوح
وعبد الرحمن البناء ومحمد علي اليعقوبي ومحمد مهدي البصير ومحمد حسن ابو المحاسن
وجميل صدقي الزهاوي كما وقف رجال الدين على مختلف نزعاتهم وقومياتهم
يندودون عنها بالفتاوي والجهاد فقد جاء صالح الحلبي الى بغداد ليحث الناس
على موازنة الدولة وذهب الحبوبي مع المجاهدين ومات كد الخسارتهم ونجد اثر هذه النزعة
واضحة في شعر محمد رضا الشيبلي وعبد المطلب الحلبي وشكري الفضلي ومحمد حبيب
العبيدي وعطاء الخطيب .

اما الهنداوي فلم نجد له ما نظمه في هذا العهد تلك الكثرة التي حدثنا عنها
رفائيل بطي في كتابه الادب العصري ولقد ائلفها كما ائلف غيره من الشعراء
شعرهم عندما دخل الانكليز بغداد او لعل العنصر الديني لم يكن عميق الاثر في
نفسه بالقياس على غيره من الشعراء .

وقد كان العرب مع الدولة العثمانية وآزروا جمعية الاتحاد والترقي ثم أخذت
تيارات القومية تنسرب الى نفوسهم عندما بدأت الدولة تفرق بين القوميات الاخرى
واخذ الحزب الحاكم يقابل العرب بالاحتقار والتهديد بالقتل والموت فاتخذوا منه موقفاً
غير الموقف السابق ولكنهم لم يفكروا بالانفصال عن الدولة رغم

من شق منهم ومن أوزي من رجالهم وسجن من أحرارهم وقد كان في الجمعية
كثير من العرب من أمثال ناجي شوكة وياسين الهاشمي ورستم حيدر وفهمي
المدرس ومحمد رضا الشبيبي . . . وباختلاف الجمعية أخذ العرب في التفرق فيما بينهم
واختلفوا في أقطارهم كما اختلفوا في القطر الواحد عندما انقسموا الى احزاب وقد
ساء الهنداوي هذا الأمر فقال :

غشى الظلم اقطار العراق بحزبه على حين قد أفنى قواها التحزب
وشق على ذاك الابي هوانها فقام يداوي جرحها ويطب
وما زال يسعى مديناً بخطابه قلوباً لاخرى شط منها التقرب
ويبدو اثر الاعتزاز بالعرب وبالقومية في اكثر شعره الذي حفظه ويتفوق
الاثر العربي كثيراً على الاثر الاسلامي فهو ينتصر للدولة العثمانية ويزود عنها بشعره
ولكنه يستند في مهاجمة اعدائها الى التاريخ العربي والى المجد العربي والى العرب فهو
يخاطب فتاة سلانيك الاسيرة بقوله :

يا هذه كني الدعاء فقومنا لو تعلمين عن الدعاء نيام
ما القوم الاسحب سيف اعدت ثم انجحت بالريح وهي جهام
لا تستغيثي ليس (معتصم) بنا كلا ولا فينا يعد همام
ولم اجده شعراً تمسك فيه بالوحدة الاسلامية وبالاستناد الى الدولة
العثمانية لانها مسلمة انما استند الى قومه العرب وهو يزود عن الدولة
العثمانية بقوله :

لو ان قومي شاهدوا اليوم الذي كثر الصراخ به وطار الهام
لأروا بني البلقان كيف ضرابهم بل كيف يشبت في الوغى المقدام

قومي اذا اشتد الضراب تخالهم نشوى وما غير الضراب مدام
وقد كان الهنداوي حريصاً اشد الحرص على التأكيد على كلمة العرب
قومه وانهم اساس نهضة المجد فقال :

املي بقومي سوف تنهض نهضة للمجد يقصر دونها الصمصام
تبقى وان خلق الزمان جديدة لم ينتقض لجديدها ابرام

وقد كان هناك اتجاهان في الشعر العربي الاول الاتجاه الذي سار على طريقة
القرن التاسع عشر والثاني الاتجاه الذي تبناه المجددون منهم والذين اثرت في شعرهم
الحركات الفكرية والاراء الحديثة وساروا ومقتضى حياتهم الحديثة ومن هؤلاء
الرصافي والزاهاوي والشبيبي والازري فقد اطربهم العصر خاصة بعد اعلان
الدستور العثماني واخذوا ينددون بالحكم المطلق وقد عد رفايل بطي السيدخيري
من شعراء الشباب الذين تأثروا بالتيار الفكري الجديد وقال عنه (ولما تألفت
جمعية الاتحاد والترقي في البلاد العثمانية أوقف الاديب الشاب قلعه في نظم القصائد
وكتابة الفصول في تحييد خطتها والدعوة لمبدئها حتى اذا ما انشقت على نفسها
واسس حزب الحرية والائتلاف ظل هو ثابتاً على مبدئه مدافعاً عن جمعية الاتحاد
مندداً بخصومها الى ان تجلى له خطأه بانكشاف ضمائر الاتحاديين في اعمالهم وادارتهم
بالعرب شراً ، فرجع عن فكره وانضم الى المجاهدين العرب في سبيل
التحرر والخلاص) .

وقد كان اعلان الدستور بداية وعي جديد للعرب والعراقيين فقد انتشرت الصحف
واخذت ترد اليهم الانباء التي لم يكونوا قد سمعوا بها فانارت في نفوسهم انفعالات
جديدة ودخلت المجتمع تيارات جديدة وفتتح الناس على حوادث جديدة كانت

بعيدة عنهم إذ أخذت هذه الجرائد تنشر انباء العالم واخباره وما يحدث على الكرة الارضية .
وقد كانت حفلات جمعية الاتحاد ثم انقسامها وفتح فروع لها في البلاد العربية
وملاحقة الناس على الانضمام اليها اموراً وجهت الناس توجيهاً جديداً ونبهتهم
الى ما كان اكثرهم غافلين عنه .

بعر الحرب العظمى

تكلمت عن السياسة والقومية في شعر المرحوم السيد خيرى الهنداوى وجئت
على موقفه من الاتجاهات الاسلامية وجمعية الاتحاد والترقي التي وجدها بعد ذلك
سارت في خط لم يرضه فازور عنها وابتعد ويبدو ان الشاعر لم يرض الدولة لاننا
وجدناه في الحرب العظمى الاولى سجيناً في القلعة ولما تقدمت قوات الجيش
البريطاني حاول المسؤولون التخلص منه بالقتل والقاه جثته في نهر دجلة بيد ان
الفوضى التي عمت بغداد من جراء تقدم الانكليز سهلت له الهرب قبل ان يدخلها
الجيش الفاتح فاختنى في دار من دور قريب له في المهديّة ليقضي حياته في سجن
اختياري كاد هذا السجن ان يودي بالبقية الباقية من صبره وجلده فقد حاول
مرات ان يتخلص من سجنه هذا وقد نظم في سجنه قصيدته زينب وخالد التي فيها
يخاطب الدهر فيقول :

هو الدهر في اهليه ماشاء يلعب فسيان عندي بشره والتقطب
يريني على عد الليالي عجائباً فلم ادر من اي العجائب اعجب
فلاخير الا وهو بالشر مقرن ولا يسر الا وهو بالعسر مصحب
وقد وصف السجن الذي سجن فيه في القلعة وكيف اخذ اليه وما قاساه من
سجانيه فقال :

ففاجأه من جند جنكيز ثلثة وجاءوا به قسراً الى الحبس يسحب
وزج بحبب يكفه العين ظلمة هو القبر ضيقاً أو من القبر يقرب
تعذبه الظلام جوعاً نهاره وفي الليل يقفوه الغرام يعذب
وقد علل سبب سجنه في هذا السجن الذي كان اقرب الى الحب المظلم
الكثيب بحبه لوطنه وللعراق ولانه لم يكن يسمح بالتهجم عليه وعلى ابنائه
لأنه كان الدرع الواقي والمجن الذي يذود عن ابناء الوطن العزيز فقال :

لقد كان صبأً بالعراق واهله يثور اذا سيموا الهوان ويشغب
يدافع عن احسابهم وحقوقهم ويطعن في صدر العدو ويضرب
وهل ريبه ان ذب عن مجدومه فتي عن بنيات العلالا ينسكب
اعدلاً يرى الاقوام حبس ابن حرّة يغار على مجد العراق ويفضب
اذا كان في حب الديار جريرة فكل فتي فوق البسيطة مذنب

ثم يدخل الانكليز العراق ويطلق سراجه ويأمن الخائف ويهدأ المدعور
ويصدق بالعود التي سمعها من الدولة المحتلة على لسان الجنرال مود الذي قال جئنا
العراق محررين لا فاتحين ويندفع بكل قواه ويكتب في تأييد الانكليز مقالاً يطفح
بالاعجاب والتقدير للجيش الانكليزي والقوات الفاتحة فيعين موظفاً في حكومة
الاحتلال غير ان الامور بدأت تتكشف له يوماً بعد يوم وبدأ الالم يدي قلبه وليس
له من سبيل للتعبير عن هذا الالم حتى تأتته الفرصة بين يديه عندما يعقد الاحرار
الشائرون في الحلة مؤتمراً ينددون فيه بالاحتلال البريطاني ويطالبون بالحرية
والاستقلال وفاء للعهود التي قطعها على نفسه الجيش المحتل وكانت مراحل الثورة
تغلي في الجامع الكبير في الحلة وقد أراد الحاكم الانكليزي ان يتخلص من هذه

الورطة فاعز للسيد الهنداوي بالذهاب الى الجامع لتهدئة الحال معتمداً على مكانته بين الناس . . دخل الهنداوي والألم مكبوت في قلبه واللوعة تتردد في صدره فاثارت الحماسة العارمة كوامنه فارسل نفسه على سجيته واذا باتونه الخامد بر كائنًا يلقي حممه على المحتلين المستعمرين كانت مفاجأة لم يكن يتوقعها الحاضرون إنها فرسته الذهبية فقد عاد الى روحه والى مشاعره والى أمانيه فازاح كابوساً كان يجثم على صدره وشعر بالرضا والاطمئنان عندما وجد نفسه مع الاحرار في هنجام منفياً . اثار المنفى في نفسه أحاسيس الحنين الى ايامه الحلوة العذبة الممتعة على ضفاف الفرات وبدأت الذكريات تنثال عليه وتذكر نسيات دجلة البليدة وأيام لهوه ومرح فيه فقال :

ابن هنجام من مرابع انسن رنق القوم صفوها ترفيقا

فوق شط الفرات حيث يرف الماء عذبا والظل رطباً صفيقا

لكنه مع ذلك نجد الحماسة ونجد الاباء ونجد الاندفاع في سبيل وطنه من غير أن يخشى النفي والسجن بل يرحب كل الترحيب به وبكل الخطوب مادامت تودي الى حرية الاوطان فقال :

مرحبا بالخطوب ان هي كانت سبياً موصلا اليها الحقوق

واحب الخطوب عندي حبس فيه تستطيع بالكرام الاحقوا

ان في الحبس للفنى في سبيل الحق مجدداً ، يعلو به العيوقا

لا أبالي اذا خدمت بلادي أسيراً رأيتني ام طليقا ؟

وهذه القصيدة من غر شعره ففيها العواطف الصادقة العميقة ، ولو طال سجن الهنداوي لجاء بالشعر الذي يخلد هذه العواطف السامية كما خلدها البارودي عندما نفي الى سيلان بعد خيبة ثورته وعرايي في مصر .

وشعر المنفى دائماً يكون معبراً صادقاً عن اصدق المشاعر وأنبل الأحاسيس وخير مثال شعر شوقي في الاندلس وشعر البارودي في سيلان والهنداوي في هنجام

الحكمم الوطنى

سيداتى وسادتى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

حدثكم فى حديث ماض عن السياسة فى شعر السيد خيرى الهنداوى حتى اعلان الدستور العمانى اذ كان او ائذاك عضواً فى جمعية الاتحاد والترقى ولما دخلت الدولة العمانية الحرب العظمى الاولى وتم انزال القوات البريطانية فى جنوبى العراق بدأت بعدها تتقدم نحو بغداد ولما وصلتها كان شاعرنا سجيناً ثم هرب من السجن واختفى عند قريب له فى المهديّة وقد وظفته قوات الاحتلال ولكنه لم يرق له ما قامت به من أعمال فارسل منفيّاً الى هنجام خلال الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ ولما عاد من المنفى وجد العراق قد انقسم الى فئتين ثلاث الفئة الاولى تطالب بأن يكون العراق ملكياً تحت تاج الهواشم ورشح الأمير عبد الله للعراق والفئة الثانية ترشح الشيخ خزعل أمير المحمرة أو اغاخان أو غيرها وفئة ثالثة كانت تدعو الى تأسيس جمهورية فى العراق وقد كان من المرشحين لحكم العراق طالب النقيب فقال شاعرنا اليه وقد كان ايده من قبل وحث على نصرته ورجاه ان يفيد العرب وكتب عنه يقول بأنه (قطب رضى الآمال العربية بالنظر لما كان يتمتع به فى البصرة من نفوذ عظيم) وخاطبه قائلاً :

الى المجد قدما فهي للمجد تنزع فقد طال ما ترجو وما تتوقع
لقد سمعت صوت النهوض الى العلا فقامت على اقدامها تتطلع
فظلت وصوت المجد يملأ سمعها مسهدة أجفانها ليس تهجم

سيداتي وسادتي

هذه الحماسة التي رأيناها قبل نفي الشاعر أخذت تقتر بعد عودته من المنفى
ولعل خيبة الثورة أثرت في الشاعر وفي شعره ولم يكن الشاعر وحده الذي وقف
هذا الموقف بعد الثورة العراقية فقد سيطرت الخيبة على أكثر الناس ، قادة وشعباً
على حد سواء ، وشعروا بقوة القوات المحتلة وضرورتها تجاه شعب أعزل لا يملك
غير الأدوات البدائية في القتال والايمان في حقه في سبيل حريته واستقلاله فتحول
الهنداوي الشاعر الهادي الحكيم الذي يرسل الحكمة ويبصر قومه بالنتائج
التي ستؤول اليها البلاد اذا ثار ثورة مسلحة مرة أخرى فقد قال :

اذا قلت فانصت ايها الشعب واسمع فلست امرء آيلقي الكلام ولا يعي
أراك جهلت الحزم فاختلت أعزلاً وأنت بواد - لو تعقلت - مسبع
اذا رجع الاقوام في الغرب خدعة رقصت على الصوت البعيد المرجع
وان لمحت عينك اصفر حادث تنكرت لي حتى كأن لم تكن معي

وبعد ان حذر الشعب من الثورة وبصره بنتائج الحروب رجاء التمهيل والترث

وعدم التسرع فقال :

يمر علي الآن صوت سمعته بأيامك الاولى فأودي بمسمعي :

تعقل ومر ان كنت تطلب غاية
تبصر هداك الله فيما تريده
ودع عنك تليفق الكلام المصنع
من الأمر واحذر عثرة المتسرع
وقيت العمى ما كل بيضاء شحمة
ولا كل وادي الغوير بممرع

وهذا التراجع وهذه النصيحة التي يسديها شاعرنا الى الشعب وهذه النعمة
الجزينة نعمة اليأس والحياة من انهيار الآمال الحلوة تجدها في شعر البارودي
بعد ان خابت ثورة عرابي بالحرب الانكليزية واذ كان البارودي قد قضى وقتا طويلا
في سيلان فان أيام شاعرنا كانت قصيرة لم تتجاوز السنة وقد اعيد الى عمله تحيط
به هالة التكريم ولكن يبدو ان الشاعر لم يرض عن عمله الجديد لاننا نراه يبكي على
عزه السابق فيقول :

سئمت ببغداد المقام لأنني
بكيت على عزي وما ناو البكا
أرى لي فيها موقعا غير موقعي
لدى الخطب لو لم يعصر الذل اداعي

ويبدو طابع اليأس ومرارة الالم في هذه القصيدة لان طموحه لم يرض بالعمل
الجديد ولم تسعفه الاماني بما يطلب فقال :

وان انكرت دار السلام موافقي
ستشهد أقالمي عليها وأدري

وقد سكت شاعرنا فلم نجدد ياهم في الحركات السياسية والأحداث
العامية التي مرت بالعراق وكانت الفترة التي اعقبت الثورة تضطرم بكل
جديد فقد أسست الاحزاب والمجلس التأسيسي ومجلس النواب ومجلس الاعيان
وتوج الملك فيصل وانتمحر السعدون ومرت عدة معاهدات كان الشعر
يسجل كل حدث يمر به وكان يهاجم الانكليز والنواب والملك نفسه ولكننا

لم نجد للشاعر مساهمة مجددة في هذا المجال غير أبيات قليلة لا تتفق مع شعره الرائع
وحماسه التي وجدناها قبل الثورة العراقية وقد كان حريصاً على الابتعاد عن الجو
السياسي والانصراف الى شعر الحجرة والغزل والمداعبات ولولا انه اوذي لما
نظم في ثورة ١٩٤١ ولعل آخر ما نظمه الشاعر والذي قرأته بخطه قصيدته التي
يشيد بها في ثورة مصر سنة ١٩٥٢ والتي كتب انها تذكره بالثورة العراقية سنة ١٩٢٠
والتي يقول منها :

هبوا يلبون البلاداً شيباً وشباناً شداداً
نفروا يلبون النداكأن داعي الحشر نادى

ويلاحظ ان الفخر قد ملأ اعطافه بالعرب قومه الذين هزوا العالم بهذه
الثورة فقال :

تأبى الدنية انفس ما ملّ عاتقها النجادا
قومي الألى هزوا الدنى فأستيقظت تعدواشتدادا
ملكوا الربى ووهادها واستنطقوا الصلدا الجمادا

ومن القصيدة :

ما مثل قومي في الورى حام عن الحرمات ذادا
المجد يشهد انها أعلى بني الدنيا عمادا
رحم الله المهنداوي فقد ظلمه عصره وظلمه اصدقاؤه والسلام .

نقوات من شعر فخرى الهنداوى

وهذه النقات من شعر خيرى الهنداوى وهى نقات عذبة من لواجى هذا الشاعر واحاسيسه ومن شعره الذى قاله فى صباه وقد خرج من بغداد الى الصويرة صباحاً ووصلها عند الغروب وفى القصيدة تسرى روح الشباب وغرامه ولحونه وقوته وآماله فقد قال :

بت من نار لوعتي فى حريق	باسطاً كف فكرتي كالفرىق
اخرجتنى الى الجزيرة كرهاً	من ديارى ورفقتى وفرىقى
فوق مخارة تشق عباب الما	اء شقاً بزفرة وشهبىق
ذات كفين يقذفان مياه الذ	هر قذف الصخور بالمنجنىق
رحلت بي من الرصافة والى	لينا جى الصباح قبل الشروق
واكف الشمال تنسج فى الما	ء دروعاً من النسيج الرقىق
فتبدي للعين قرن من الشم	س بدا من تلالو وبرىق
وارتقى صاعداً كجدوة نار	تتلظى على يفاع سحىق
وكان الشعاع بين خلال الذ	وح يىض تسلّ فى يوم ضىق
واستمرت ترقى قليلاً قليلاً	مثل مشى المقىد الموثوق
فانبرت والعيون ترتد عنها	حسراً عند شدة التحدىق
شربت للصبوح خمر ندى الشر	ق ومالت للغرب عند الغبوق
وتوارت فى افقها كتوارى الا	خود فى الخدر من رقىب طروق

فأنهينا الى مدائن كسرى وهي تشكو مضاضة التفريق
وكأن الايوان حين تبدى من بعيد خرق بجانب نيق
مشمخراً يلوح من كل فج حيث ما سرت فهو قصد الطريق
يتنضى من الكآبة في الع ين بقلب الموله الموموق
فكأنني أرى الحقيقة والملا لك مطلاً من فوق تلك الطوق
وصوف الكماة تعرض والاجناد حسرى تصف في تنسيق
بين قوس ومغفر فوق درع وسنان في جنب سيف ذليق
فتأسيت بالملوك والقيـ ت قيادي الى المليك الحقيقي

ويتطور الدهر بالشاعر وتصعب الحياة أمامه وتكثر التجارب وتثقل كاهله
الايام فينظر الى الحياة نظرة عميقة والى الحياة نظرة متزنة وتحس في قصيدته انها
مشتركة في مجراها وروبيها وقافيتها لتشكّل موسيقى وثيدة الخطى هادئة المسرى
رزينة وقورة فقد قال :

سواء أساء الدهر أو أحسن الدهر فسيان امسى عندي الحلو والمر
تخطيتها سبعاً وخمسين حجة فما شط بي خير ولا شدي شر
قطعت دياجير الحياة فلا صدى باغوارها قد اعوزتني ولا خضر
وخضت ظلام الحادثات فلم أخف عثراً رفيقاي التبصر والحذر
خبرت بها الدنيا اختبار مجرب فما زادني الا احتقاراً لها الخبر
اذا قل مال المرء قل صحابه وان كثرت أمواله فهم كثير
وكل هذا ولم يفت في عضده ملاقاه من ابناء الزمان والحاكمين وانما زاده
ايماً بقدرته وقابليته وقال :

قعدت ولم تقعد عن المجد همي
 اذا مر ذكرى في البلاد تأرجت
 وان اصبحت خلواً من المال راحتي
 سيفني رجال الحكم مبهاتعاونوا
 اذا فخرنا يوماً بقصر وضيعة
 وان هم أضاعوني أضاعوا مهنداً
 تناسوا مقامي والأكف التي بنت
 ولم يذكروا في ساعة الروع من قضى
 صمدت كليل الغاب لم يثنني الردى
 وأصبحت في هنجام بعد تطاحن
 فلم تثننا الأغلال عن عزماننا
 أقننا على الأشلاء عرشاً ودولة
 فكان جزائي أن أقيم ! «حلة»
 تطالغي فيها وجوه أعزة
 أنا الأمل المرجو فيهم لآمل

وبعد ثلاثين سنة من خدمة الوطن الغالي كان جزاؤه الجحود والاهمال
 ونكران كل ما قدمه لهذا الوطن من خدمات ولكنه لم ييأس ولم يتخاذل
 مع أنه جاوز سبعا وخمسين حجة انما كان له أمل باسم بان امته العربية لا بد
 أن تتحرر وتتوحد ولا بد أن يعود لها استقلالها فيجازى الجزاء الاوفى .
 فقال :

خدمت بلادي صادقاً غير كاذب
 سيغضب لي سادات قومي وفتية
 فجوزيت شرأ حينما امتد بي العمر
 لهم كمصايح الدجى أوجه غير
 كشمس الضحى بعلو أساريرها البشر
 فيسقط مهتوكاً عن الآثم والوزر
 بلبته والحق جلدان ينتر
 فيسود وجه البغي والعدل آخذ

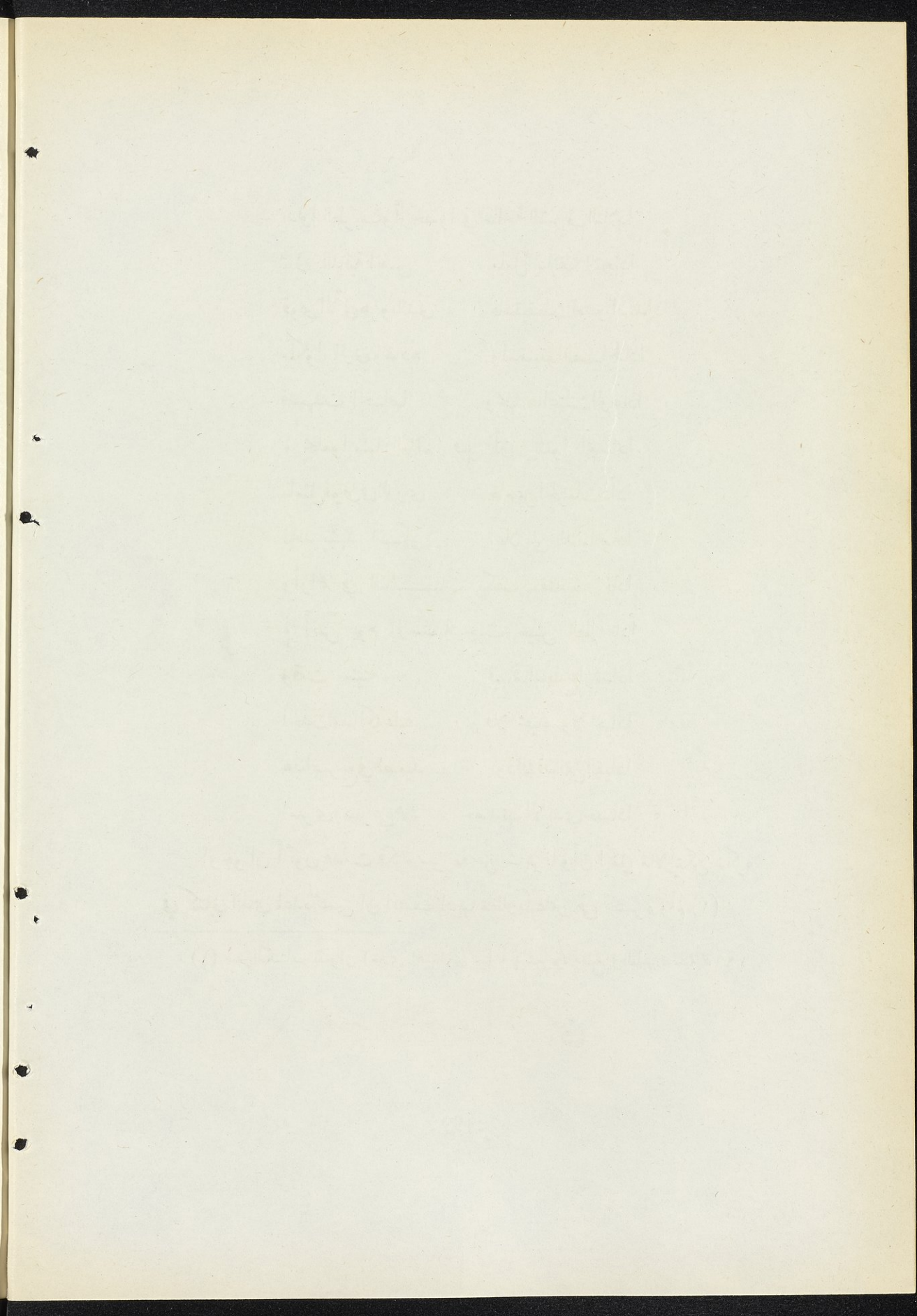
ولم يسكت الشاعر عن كل ما كانت تسلطه الايام عليه والحاكمون من اهمال وانما
 كان من المسارعين الى المشاركة في نصرة قومه في مصر فقد قرأت بخط يده في
 ديوانه المخطوط قوله « أعادت هذه الانتفاضة الى ذاكرتي ثورتنا العراقية عام
 عشرين وتسعمائة وألف وجعلت عنوانها الكار » والقصيدة برمتها نشيد من
 أناشيد الكفاح العربي التي لم تنشر فهي أشبه بموسيقى الجيش العائد من النصر
 ففيها وحدات موسيقية رتيبة متناسقة وفي الوقت نفسه فيها عنف الحق الغلاب
 والامل المشرق والاماني التي تحققت وكأني بالشاعر بعد أن خسرنا في العراق
 معركة الحرية سنة ١٩٢٠ قد أحال عواطفه وآماله الى الكينانة لان نصرتها نصرة
 العرب وفوزها فوز العرب وهذا ما لا يرضاه الحاكمون أو انذاك فهي روح التحدي
 وروح الغبطة والفوز ترح ساخرة راضية . فقد قال :

هبوا يلبون البلاداً شيداً وشباناً شداداً
 نفروا يلبون النداء كأن داعي الحشر نادى
 ملأوا الفضاء برحبه رجلاً وصافنة جياداً
 متقلدين عزائماً تستلهم الخدم الحداداً
 الفوا المواضي البيض في الهيجاء والسمر الصعاداً

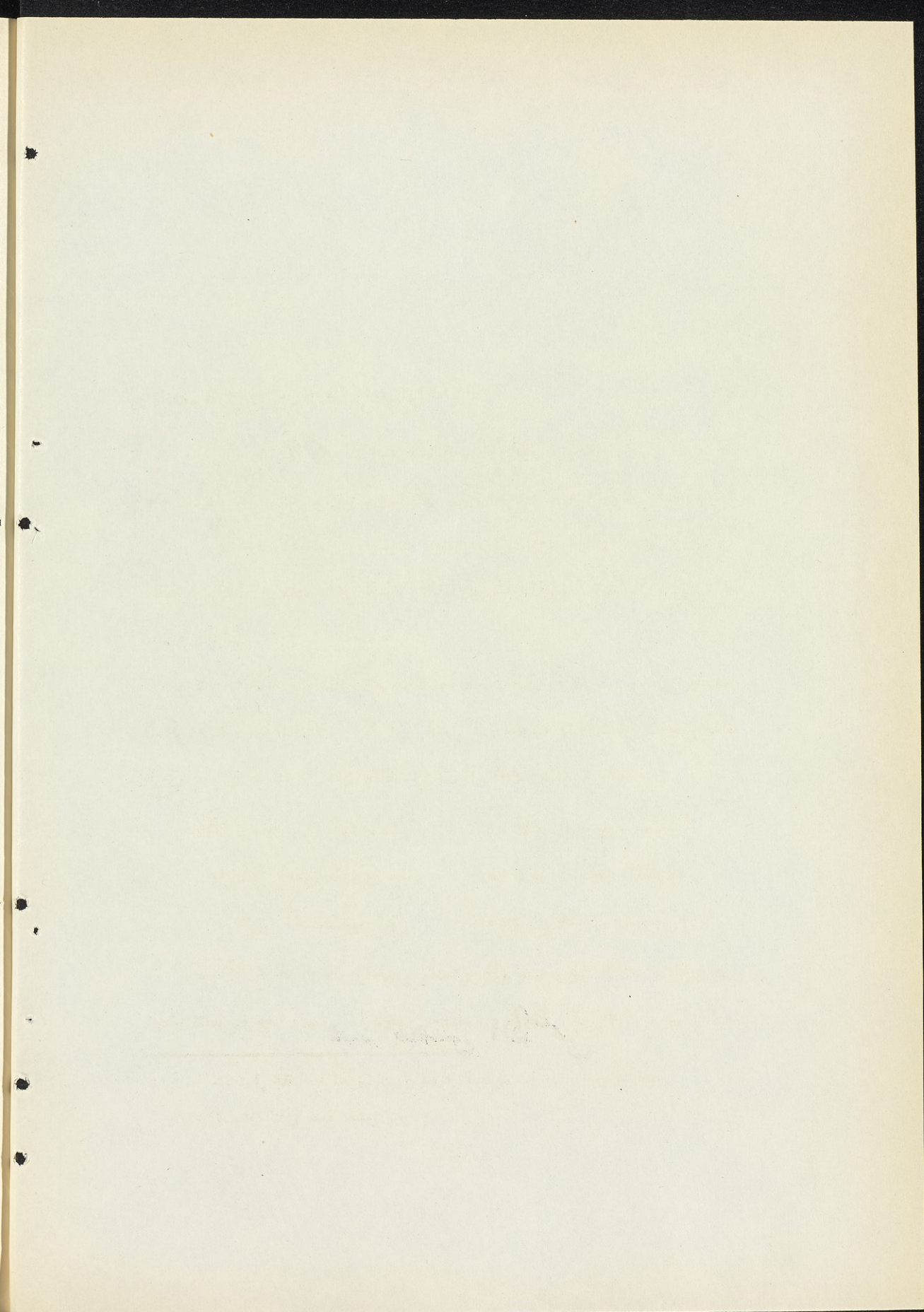
بذلوا الطريف وأرخصوا في ساحة الشرف التلادا
 تأبى الدنية انفس مامل عاتقها النجادا
 قومي الألى هز والذنى فاستيقظت تهدو استدادا
 ملكوا الربى وهادها واستنبتوا الصلدا الجمادا
 قدمدت احسابها وبجهدھا اعتلت الوهادا
 لم يخلعوا منها التائم قبل أن يشنوا الوسادا
 مامثل قومي في الورى حام عن الحرمات ذادا
 المجد يشهد أنها اعلا بني الدنيا عمادا
 وأراهم في النائبات يكف مقتدح زنادا
 لم أنس يوم الرستمية حيث جيش الظلم بادا
 وقفت منيته به فيها فاسطاع ارتدادا
 اخذت مسالكه عليه فلا محيد ولا حيادا
 هذا صريع في الصعيد وذاك قد القى القيادا
 اسرى وصرعني همد حصدتهم الايدي حصادا

ارجو ان أكون قدمت فكرة سريعة عن شاعرنا وأن اكمل مالا يمكن ذكره
 في كتابي الذي اعده عسى ان انصف ادبنا مظلوماً عاش في حسرة وألم (١) .

(١) صدر الكتاب بعنوان (خيري الهنداوي حياته في شعره) وطبع في القاهرة سنة ١٩٦٥



عبد المحسن الطاطمي



نظرة في ديوانه الطائفي الثاني (١) :

شاعر العرب الاكبر المرحوم عبدالمحسن الكاظمي لم يكن كاظماً أو عراقياً
حسب انما كان عربياً شرقياً وقف شعره على أمته وشرقه وتغنى فيها بأجمل
الأغاريد وأعذب الألحان . وتأريخ حياته معروف فقد وصل مصر هارباً من
الجور لبغداد اغاني المجد على أفنان الحرية وينشد أناشيد الاستقلال التي زخر
شعره بألوانها .

وديوانه الأول والثاني خير دليل وانصع برهان . وبالرغم من ان مصر
الكرامة كانت وطنه الثاني إلا ان الحنين كان يعاوده الى العراق فتحس حنينه
الذي يعتري كل غريب فتنتابه الذكريات الى أهله وعشيرته بقوله :

ق يطلع أو زورة تطرق	ألا خبير من ثنايا العرا
يباكرها العارض المغدق	هل الدار بعدي كهدي بها
وعاث بها الذئب والخرتق (٢)	أم البين أسلمها للبي

وبعد أن يحرقه الوجد والحنين ينطوي على نفسه ويجز فؤاده الفراق ويدع
الحشا تتلظى وجداً وحسرة وتتحرق جفناه من الوقوف على الديار ويسأل الدار

(١) نشرت في مجلة العالم العربي التي تصدر في القاهرة سنة طبع الديوان الثاني

(٢) الديوان الثاني طبعة دمشق ص ١٧ .

ولكن هل تتكلم الديار عندما يريد أن يستأف أخبار العراق .

أمعاهد الأحباب هل خبر تسري به الأرواح ما تسرى (١)

وكيف من فارق بلاده على جوى ويحرقه الحنين ان يسلو أوطانه :

كف : يحنّ وليس يألو صبراً عن اللاتين ولوا

قالوا سلا أوطانه وأخوال الصباية ليس يسلو

ولقد حسبت أحبتي فوجدتهم كثروا وقلّوا

وذكرتكم في حين قد نسي الوداد أخ وخل

وجواك يا وطني له ببواطن الأحشاء شغل

ذكراك يا وطن الصبا ذكراي ارحل وأحل (٢)

أجل ان ذكرى الصبا عريضة فلذا ناشدها واستنشدها وقال :

ناشد الدار جهرة وسرارا ان اردتم عن الحمى استفسارا

يا أحباي والمزار بعيد قربوا للمحب ذلك المزارا (٣)

وذكر الوطن الأول له في القلب منزلة سامية اذ أن حب الوطن يأتي من

ذكرياته العذبة وأهمها أيام الشباب، والشباب حلوة ذكرياته وهذا ما نراه ونلمسه

من حنين آباءنا الى ايامهم الماضية (٤) .

والكاظمي يذكر شرخ الشباب وعنفوان قوته فيه لهذا يطرق برأسه عندما

تدور به هذه الذكريات العذبة وعهدنا النضر والسكنها اطراقة المهموم المحزون

(١) الديوان ص ١٩ .

(٢) الديوان ص ٢١ .

(٣) الديوان ص ١١٦ .

(٤) وحنيني اليوم الى أيام كتابية هذا المقال .

القلق المبدد الفكر الدامي العيين المتصاعد الزفرات بعد أن ذهب المرح القوي ،
مرح الشباب الجميل تخلف ذكرياته العذبة بين لوعة وحسرة .

أطرقت مها دار في خلدي ذكر الشباب وعهده النضر
إطراقة المأموم وهو شج قلق الضمير مبدد الفكر
والعين دامية فادمعها تنهل من بيض ومن حمر
ولواعج الزفرات من سعد تمتد بين الصدر والنحر
قل للعذول اليك عن عذلي ذهب العرام وانت لا تدري
رحل الشباب ورب مرتحل ولي وخلف اطيب الذكر (١)

وماذا في الشباب وأيامه ؟ الهوى والشباب هو الأمل المطلوب فيها تغنى
الجاهلي في شعره وبها افتتح قصائده . وشاعرنا الكبير هذا ديدنه في غزله الجزل
الرصين مع رقة المعجب المتيم فهو يذكر الحمى وجيرانه وقد سار الأحباب في جنح
الدجى لأن أحشاه تسير في آثارهم وقلبه جارٍ من الفراق وعيناه تتبع أثرهم
لأن السعادة ارتحلت وغدت ربوعه حزينة كلى . ويناشد الربيع عن القطار
الذين ارتحلوا فما ترد الاطلاع جواباً وجوابها في خلوها ويعلل نفسه باللقاء فيقول:

بقربك كان سلوي وقد فقدتُ ببعذك سلواني
ولولا التداوي بذكر اللقاء قضيتُ من الوجد في دائيه
ليرعاك خالص إخلاصنا وعين التفاتك لي راعيه (٢)

واسلوب الكاظمي اسلوب البدوي في مبنى القصيدة وفي معالجة المعنى ففي

(١) الديوان ص ١٩ .

(٢) الديوان ص ٢٦ .

قصائده في المديح تجدها قدمت بمقدمات غزلية ذات معان بدوية وتطول بك هذه المقدمة حتى تبلغ نصفها فهذه قصيدة عراقية قديمة يقول في مطلعها :

لك في الحشاشة يا اميم مقيل ربيع أغر ومنزل مأهول (١)
نجده يذكر ارام النقا ويتطرق الى عزة وكثير وفي غيرها يحن الى نجد ،
شأن الشعراء الذين عاشوا في العصر الجاهلي ولم أجد الشيء الجديد في اكثر
قصائده التي قرأتها فالخيال لا يخلق كثيراً ولا كنهه لا يهبط أبداً فاكثر المعاني
جاهلية مطروقة وتظهر المسحة البدوية في شعره العراقي اكثر (٢) ففي مدحه
يذكر الغيث وغير ذلك من المعاني البدوية القديمة وهذه دلالة واضحة على سعة
اطلاعه على الأدب العربي القديم وعلوق معانيه بذهنه حتى رددتها بشعره .
وكذلك تظهر بعض المبالغات فيه فقوله :

شهدت لك الدنيا ولما يستطع انكار فضلك جاحد وكفور
في كل جيل من صنيعك منة وبكل دار حامد وشكور (٣)
ورغم اننا نجد الذي قيلت القصيدة فيه هو الشيخ علي يوسف (٤) فانه
مهاوتي من فضل ان تشهد الدنيا له ولا يستطيع انكار فضله أحد . انها مبالغة
ظاهرة محببة الى النفس لأن فيها مظهر من مظاهر الخلق الرفيع انه مظهر الوفاء .
وقد تأثر كثيراً بالقداحي وظهر في حكمته التي كان يرسلها في شعره فهو يقول:
من لم يكن بالجد يدرك قصده لا الرأي ينفعه ولا التدبير

(١) الديوان ص ٤٣ .

(٢) طبع بمض العراقيات عبد الرحيم محمد علي . وطبع الدكتور حسين علي محفوظ
(عراقيات الكاظمي) .

(٣) الديوان ص ٤٦ .

(٤) صاحب جريدة المؤيد في القاهرة .

لولا اختلافات المدارك ما اعتلى منا عظيم واستكان حقير (١)

أخذه من قول المتنبي :

لولا العقول لكان ادنى ضعيف ادنى الى شرف من الانسان

والطابع الخاص لقصائده لم يفارقه وهو طابع القوة وسلامة التفكير وتسلسل القول . وبالرغم مما يعانيه من دهره وصروفه من منغصات الحياة فقد جال جلاذ الابطال ولم يتوان في مسعاه فقد ابتلى بامراض عدة منها انه يتنفس برئة واحدة قضى التها بها عليه وهو الذي يقول :

هيات يا دهر ان تخادعني تعضي ولكن من غير اغضاء

تلين لا عن هوى لتنهشنا كحياة من الرمال رقطاه

أثقل ظهري عبء الهموم وما اعمل ظهري لثقل أعبائي

يا مالكي من جميع أنحائي غدرت بي من جميع أنحائي

حتام يا دهرنا تطالعني بغارة من عداك شعواء (٢)

ويتطرق الى عمل الدهر من تفريق للاشقاء وفعلة شغواء وسلب العزيز عزته والباس الدليل بردة العزيز . وحق للكاظمي أن يقول ذلك فقد وقف المرحوم شوقي في طريقه وسد عليه سبل العيش وأوغر عليه صدر الخديوي عندما أراد ان يعين له مرتباً فقد قال له «انسيت انه من انصار محمد عبده» فكتب اليه الكاظمي

(١) الديوان ص ٤٦ وله في الديوان الاول .

انما الخيل كالرجال فهذا للغاني وذاك للهيجاء

أخذه من المتنبي :

وما الخيل إلا كالصديق قليلة وان كثرت في عين من لا يجرب

(٢) الديوان ص ٣٥ .

ألست الشاعر الفذ	وقد أصبحت لا تشعر
ألا أيها المغرور	بالأوشاب لا تغتر
لئن لم تنته اليوم	وتخشاني كما تؤمر
تجد في قلبي الأدم	ما في الذابل الأسمر
اطعني تحسه حلواً	او اعص تشربته مر
وراقب صولة الليث	إذا همهم أو زحجر
فواعجباً من المعروف	للفحشاء والمنكر
فنب واستغفر الله	فان الله قد يغفر (١)

أجل وقف في طريقه حجر عثرة حتى ان المرحوم حافظ ابراهيم عندما ذكر موقفه بكى واختنق في عبرته فلا تعجب ان ترى روح التشاؤم تشوب شعره من الاصدقاء فيقول :

فأحسنُ الاخوان ذو إخاء	يمحضك الود بلا رياء
لا يسبح الأيام في وفاء	يرضيك في السراء والضراء (٢)
إن كان هذا فهو كالعنقاء	

أجل قاسي شاعرنا ما قاساه من عبث الأيام وهو الشاعر العربي الكريم الذي يدفع الشر ويلبي دعوة السائل ويفرخ روع الخائف ويكرم المحتاج .

كم سائل لبيت دعوته	ودفعت عنه الشر بالشر
ومروء سكتت روعته	وغمرته بالنائل الغمر
كم شدت للراحين من أمل	وجبرت للعافين من كمر

(١) الديوان ص ١٢٤ .

(٢) الديوان ص ٣٢ .

حتى إذا افترس الزمان يدي ووقعت بين الثياب والظفر
لم ألق ممن كنت أكلؤه لي كالثأ ياوى الى وكري
لم يبق لي في الدهر من جلد يستطيع حمل نوائب الدهر
ذهبت بصبري الحادثات فلا أسف أردده على صبري
لا تطلبن علالي أبداً إن النوائب اخرجت صدري (١)

والحق يا شاعرنا العظيم ان القلب كما قلت .

وائن خلا قلب فمن هم الليالي ليس يخلو
وقد بقي الطابع البدوي الأخاذ سمة واضحة على شعره وسهلت الفاظه في
اواخر ايامه فلو قارنا شعره العراقي بالمصري نجد انه واضحاً لا يحتاج الى معجم
لشرح الكلمات الصعبة ومع ذلك فانه لم يفقد صدق العاطفة فانت تحس بزفرات
عواطفه تتأجج في صدرك كأجيجها في صدره مع بساطة ودون تنميق او اختيار
عبارات انما كالفيض الدافق مع تسلسل عقلي ولكن العاطفة هي الغالبة
عليه . وهذا هو سحر الشعر وحلاوته فهو لم يدح إلا عن عاطفة أو سبق احسان
فوجد مدائح في سعد زغلول ومحمد عبده والملك عبدالله ، رغم المسحة البدوية حين
ذكر للعيس والاطلال والحايي وحدائه ، فيها رقة وعذوبة .

هذه لمحة عاجلة واتمنى أن تسمح لي الظروف لأتم دراسة مفصلة في المستقبل

عن الشاعر .

(١) الديوان ص ١٩ و ٢٠ .

الوحدة العربية والكاظمي :

أحن اذا قيل العراق وانحني
واطرق ان قيل الحجاز على جوى
منى النفس أن يلقي العراق وغيره
جميع بلاد العرب في القدر واحد
وأشقى إن قيل الشام وازفر
واعجب إما قيل مصر وابهـر
من الخير ما يهوى وما يتخير
اذا وازنوا البلدان وما وقدروا (١)

هذه هي عواطف شاعرنا الكاظمي الذي نحتفي اليوم بذكره انها حنين عميق وجوى في النفس مضطرم ، حنين الى وطنه الاول ودعاء صادق له بأن يلقي ما يريد وما يتخير ولكنه لم يقف عند هذا الحنين وهذا الدعاء للعراق حسب انما شمل جميع البلاد العربية على حد سواء وبهذه الروح الكريمة وهذه العواطف الزاخرة الجياشة وبهذا الشعر الجزل الرصين كان شاعرنا يدعو الى الوحدة العربية والى الالفة ونبد الخصومات بين العرب طراً .

وقد كان الكاظمي أول شاعر حمل لواء الوحدة العربية والدعوة اليها والتغني بها يوم كانت الاوطان نور العين وفداء النفس وليست مكاناً للهو وقضاء الحياة بدون رسالة أو هدف معين فقد قال شاعرنا :

لا تحسبوا أوطاننا هندا نحن لها ودعدا
هي نور أعيننا التي أبداً نراح بها ونفدى
أوطاننا أرواحنا بل انها بالروح تُفدى (٢)

الكاظمي شاعر عربي ولد أبان النهضة الفكرية العربية ، ولد وكانت البلاد

(١) المجموعة الأولى ط مطبعة ابن زيدون ص ٢٥١ حديث التي من التلفزيون .

(٢) المصدر السابق ص ٢٣٦ .

العربية تضطرم وتتطلع نحو آمالها وأمانها فكان قائدها ، كان يطفح بالأمل
والرجاء والتفاؤل شأن كل قائد فكري مؤمن برسالته واثق من انتصار امته لكنه
رأى الأمة مقسمة بين الدول الغربية الاستعمارية فقال بعزم صادق
وإيمان عميق :

أخوات وإن تفرقن حيناً أما الشام والعراق ومصر
ما رجاه لخيره الراجونا سينال الجميع بعد قليل
نتغنى بذكرها طربينا (١) فتعود البشرى لنا تلو بشرى

أخذ الكاظمي مصر سكنناً له في شبابه وكانت مصر تحت الاستعمار وكان
يرسل ببصره الى بغداد فيراها أسوأ حالا من مصر ويرتد طرفه الى القدس
والشام فلا يسمع الا خطى المحتلين ويرى العرب يرسفون في قيودهم فيمتملي قلبه
بالأسى ويطفح شعره بالألم والحسرة ويصرخ قائلاً :

وما بك يا مصر ببغداد نازل وفي جلق أدحى وفي القدس أجسم
هنالك أحشاء تذوب وهنسا قلوب متى حركتها تنضم
إذا ما توالى جرحنا وتعذرت مراهمه فالجرح للجرح مرهم (٢)

والشواهد على دعوته للوحدة كثيرة وغزيرة فلا نكاد نجد قصيدة من شعره
الا وفيها هذه الروح الرفافة الطائفة بالأمل والرجاء بأن الوحدة العربية لا بد أن
تتحقق ويجب أن تدعم بالجهاد والصبر والقتال لأن الوحدة العربية لا تأتي
بالأمانى والأحلام العراض فقط ، إنما بالجهاد ومواصلة القتال لدرء الضيم
ورفع الظلم حتى تصبح الشام عراقاً ويصبح العراق مصر فقال :

(١) الديوان الثاني ص ١٤٧ .

(٢) الديوان الاول ص ٢٨٠ .

سنوالي الجهاد دون بلاد
أرهق الظلم أهلها إرهاقا
أو يعود العراق منها شأما
ويعود الشام منها عراقا
وأمام الشرق المعذب مصر
مشرق نور عزها اشراقا (١)

ويخاطب النيل الذي احتضنه وضم ثراه الطيب بعدئذ فيقول :

يا نيل انت أب لنا
من كنت أنت أباً له
ان طاب فرع منك في
مصر ففي السودان أصل
لك في العراق وفي الشأ
م ونجد والحرمين أهل
ولك الأبر من الجز
يرة ما يبرّ أخ وخل (٢)

لست أريد أن أتحدث لكم في هذه الذكرى العاطرة عن الكاظمي نفسه الشاعر المظلوم الذي لم ينل من الرعاية والتكريم حقه شأنه شأن كل الأدباء في البلاد العربية وإنما حاولت ان اقدم لكم نماذج من شعره فهي التي تتحدث لكم عن فكرته العربية القومية، فهو من السابقين الأولين للدعوة لها التي لم يكن يفرق فيها بين عربي وآخر أو مسلم ومسلم فهم كلهم أخوان في الدعوة العربية والدعوة لها فالوحدة العربية لا يعود خيرها على العربي وحده أو على المسلم وحده وإنما على جميع من سكن هذه البقاع فهي الدرع أو المجن الذي يندود عن الجميع لأنهم كلهم جيشها وحماتها وهذا هو رأي شاعرنا الذي يقول :

واذا الحوادث خص مصر لهيبتها
عم العراق شرارها والشاما

(١) الديوان الثاني ص ١٥٥ .

(٢) الديوان الثاني ص ١٨٤ .

لا فرق ما بين الذين تألفوا جيشاً يذود عن البلاد لهما
سيان كان الدين نصرانية في نصره الأوطان أم إسلاما
إنا اتخذنا ديننا استقلالنا ولقد عبدنا الله الا أصناما (١)

أرجو أن اكون قد أعطيت فكرة عامة وسريعة عن الاتجاه القومي لدى
شاعرنا الكاظمي بما تولته عليكم من مختارات من شعره الجزل الرصين ونحن نحتفي
بذكراه التي أرجو أن تكون باعثة لاحتفالات اخرى .

رحم الله الكاظمي فقد ترك تراثاً ضخماً من الأدب العربي واتجاهات
فكرية خالدة . وعسى أن تكون هذه الفرصة مذكرة قادة الفكر والأدباء لدراسته
الدراسة اللائقة به ، واحياء ذكراه بطبع شعره وتخليده بما يستحق من تكريم
والحرص على مثواه في القاهرة وتسمية شارع من شوارع بغداد باسمه ، والسلام عليكم .

البحر الطيبي وهجرته :

من يدرس حياة الكاظمي يلاحظ انه وُصف بصفيتين الاولى بانه شاعر
مرتبج والثانية انه هاجر من بغداد خوفاً من الاضطهاد لأنه كان ضد السلطة
الحاكمة وكان من المعارضين . وهما نقطتان جديرتان بالاهتمام والدراسة .
وانا من المعجبين بالكاظمي وترنم بشعره واوصي بدراسته لانه شاعر امتاز
بروعة الاسلوب ، وجمال الديباجة ، وسمو المعاني ، وخدمة قضايانا العربية والقومية
والكاظمي كان حاديا جهير الصوت تغني بقضايا الوطن العربي أجمل الغناء وأعدبه

(١) الديوان الثاني ص ٢١٥ و ٢١٧ .

ورسم في حدائه الجميل امانيه واحلامه قبل غيره وقبل الساسة ورسم في شعره خطوطاً واضحة المعالم لهذه الاماني ، وقد كان صدى هذه الانغام يتردد في جنبات العالم العربي فيهب النفوس ويوقظ الهمم ويحفز الامال .. فكان سبيلاً ليقظة فكرية ووعي عربي غير اني لا اريد ان احمل الكاظمي فوق طاقته انساناً فقد تميز بالشعر وعاش في مصاف قادة الشعر والفكر وقد خلده شعره وكفى بالشعر مخلداً .

كان الكاظمي من اوائل حداة الوحدة العربية ومن اوائل دعائها المخلصين ولعله أول من نادى بها على نحو يتألق صدقاً ووضوحاً .. ولعل من أهم جهاده بالوحدة العربية ما رسب في عقله الباطن من جراء ما كان يجده لدى كثير من المصريين من الدعوة الى الفرعونية والدعوة الى المصرية والشرقية . إبان عيشه في القاهرة .

والكاظمي يشعر ان مصر بلد عربي ومن الضروري ان تكون مصالحتها مرتبطة بالعرب كافة وليس هناك ما يربط مصر بالعرب غير الدعوة الى القومية والوحدة العربية لأن الدعاة قبله ما كانوا يدخلون مصر في الوحدة العربية إضافة الى ان الحرية في هذه الدعوة مباحة لان سلطات الاحتلال البريطاني في مصر كانت تسرها هذه الدعوة لانها كانت تخاف كل الخوف من الدعوة الاسلامية لانها تربط مصر بالدولة العثمانية .

وقد كان للكاظمي فضل كبير بتعميقه مفاهيم الدعوة في نفوس العرب بعد ثورة الملك حسين في التاسع من شعبان الذي كانت ثورته سبباً من اسباب اخراج العثمانيين من البلاد العربية ولما اشتهر الكاظمي شاعراً وحدوياً اثيرت حوله الاساطير ونسجت حول اسمه الروايات وقيل ما قيل عنه وعن شبابه فقد

جاء في مقدمة الديوان « ولكن سلطان الظلام كان مخيماً على بلاد السواد من خطط الخلافة العثمانية فلم تحتمل السلطة صاحب العقل اللماح فاخرج الافغاني من العراق ولا حقت النقمة على تحرره وجرأته من كان يلوذ به من شباب الجبل فتخرج موقف الكاظمي ولا سيما ان فكرته اقتدح زنادها بتعاليم الزعيم فصار ينتقد الحكومة ويعدد نقائصها فتناولته العيون وضايقته السعاية واليكيد» ففكر في النجاة واعتزم الهجرة وسافر الى ايران والهند ... (١) .

والانسان يفر من الاذى او خوف الاذى اذ كانت هناك سلطات قوية لها نفوذ واسع وسيطرة قوية على بلدها على حين كان الحكم العثماني في أواخر عصره وفي درك ضعفه وسمي بالرجل المريض ثم ان والي بغداد او انذاك كان عطاء الله باشا سنة ١٨٩٧ وكان الوالي جديداً في بغداد وكان شيخاً جاوز المئة سنة وعزل سنة ١٨٩٩ . وكان الكاظمي شاباً لا يتجاوز العقد الثاني من عمره ولم يكن ذا شخصية مرموقة لها اتباعها من العشائر والاسر التي كانت تهابها الدولة وتخشى بأسها ولم تكن او انذاك ادوات النشر متمسرة للكاظمي لنشر آرائه وافكاره - إن وجدت - حتى يعرف الوالي والدولة بأن الكاظمي كان يدعو الى ما تخاف الدولة منه ثم إننا وجدنا في شعر القرن التاسع دعوة الى الحرية والاستقلال والتبرم بالحكم العثماني بل التركي بعبارات صريحة وألفاظ مقذعة كما في شعر عبدالغني الجميل وشعر القزويني وشعر الآلوسي ولم يطارد واحد من هؤلاء الشعراء أو غيرهم من الكتتاب .. وما كان الشعر يستدعي مطاردة الشعراء لان اثره كان محدوداً فلم اعرف شاعراً طاردته السلطة العثمانية لانه نظم قصيدة

(١) مقدمة الديوان الثاني ص ٤ .

أو ان شاعر آهجر وطنه لانه كتب كلمة لم تدع ولم تنشر .
والواقع ان الرجل كان من اسرة تاجرة تحب الاسفار أو يدفعها عملها الى
السفر فحبب اليه الامل السفر بعد أن أخفق في عمله تاجراً . وقد كانت تجارتهم
في ايران وطالما سافر أخوه اليها ونسى أهله وما بعث لهم باخباره وحن اليه
الشاعر ونظم في هذه القطيعة ما خلدها (١) .

فاحب الشاعر السفر الى جهة سمع عنها كثيراً وقد كانت مهبط الفكر والاشعاع
وبلد النهضة الفكرية فسافر الى القاهرة تدفعه عدة دوافع منها المحاطرة والمجازفة
تعويضاً عن الاخفاق الذي لحقه في حرفة اسرته تاجراً وقد جرب أن يكون
مزارعاً فآخفق كما جرب اموراً اخرى . فلا يمكن أن يكون الكاظمي قد سافر
بهذه الدعوة وانما أحاطه بهذه الهالة حزب الاتحاد السوري الذي كان بحاجة الى
شاعر يكون لسان الفكرة العربية الجديدة فاسبغ عليه البطولات ليجسم للناس
هذا الشاعر والناس مفتورون على التعلق بالهالات التي توضع حول قادة الرأي
والفكر . ولا سيما في الشرق وفي القرن التاسع عشر حيث الخيال الجامح وحيث
البطولات والاساطير .

أما ارتجال الكاظمي فلي فيه رأي خاص يساير الطبيعة البشرية ومنطق
تاريخ الأدب العربي فالول هذا اني تتبعت تاريخ الأدب العربي منذ العصر
الجاهلي حتى العصر الحاضر فلم أجـد شاعراً عربياً يملك قوة ارتجال الكاظمي
فينظم مرة واحدة بالقدر الذي نسب اليه من الشعر ولو جاز لي ان اعتبر الشعر
الجاهلي مرتجالاً فالظروف التي كانت عليها الحياة الجاهلية تختلف عن ظروف

(١) الديوان الأول ص ٢٤ .

القرن العشرين فليس من المعقول ان الله لم يخلق إلا الكاظمي وإلما أغفل تاريخ الأدب ذكر أمثاله من الشعراء وكانت هناك مناسبات تقتضي الشاعر أن يرتجل وفي مثل هذه الاحوال لم يزد الشاعر على الطاقة البشرية وقد جمع كتاب البداية أسماء المرتجلين وقصائدهم فلم تزد على ثلاثين بيتاً فكيف خرج الكاظمي عن الطاقة البشرية .

كتب العقاد مقدمة ديوان الكاظمي وأشار بطريقة مؤدبة ورقيقة اى ان الكاظمي لم يرتجل فقد جاء في المقدمة قال « يقصد الكاظمي » : معي قصيدة فاكتب ! فاستكبرت الامر وابتسمت ، وانا أدق الجرس لادعوبن يكتب واقول له في غير شدة : انا اكتب ما املي ولا اكتب ما يملي علي ، ولم يغضب ولا غضبت ، ولسكنه سلم يومئذ ، قبل أن يملي القصيدة على من دعوت . أراد الكاظمي أن يشعر العقاد بانه شاعر مرتجل ولما رفض العقاد أن يكون كاتباً يملي عليه إنصرف الكاظمي . ولست اريد أن ألوم الكاظمي فهو رجل ذهب الى مصر وكان فيها شاعران عظيمان حافظ وشوقي وأراد أن تكون له مكانة والانسان يجب ان يثبت مكانته الاجتماعية وأراد أن يبرز وان يظهر وخاصة بين ارباب الفكر وإلما دعا الكاظمي لزيارة العقاد - لو لم يكن حب الظهور دافعه - بزى امراء البادية متلثماً حتى انكره العقاد ولم يعرفه بزيه . . !?

وقد كان شوقي شاعراً عظيماً وله منزلة مرموقة في الأدب والمجتمع والمال والبلاط ولسكنه ما كان يقدر على إلقاء الشعر وكان يختار من يلقي له شعره ولم يكن الكاظمي قادراً على أن يبرز شوقي في الشعر أو المجتمع أو المال أو البلاط فوجد فكرة الارتجال شيئاً جديداً يلفت بها نظر الأدباء والمجتمع ويمتاز بها منزلة

مرموقة . ونجح الكاظمي في فكرته هذه ولا عجب في الامر ، فالكاظمي شاعر ذكي كان يحفظ عشرات الآلاف من الشعر وكان راوية من رواة الشعر والرواة يكونون من أشد الناس حفظاً واسرعهم التقاطاً والكاظمي من هؤلاء الحفظة الرواة الاذكياء فهل نستبعد انه كان ينظم شعره ويحفظه ثم يرتجله ؟

لم نجد العقاد يقول بأن الكاظمي قد ارتجل الشعر صراحة وإنما نسب الامر الى غيره فقد سمع ان الكاظمي يرتجل وأراد ان يكتب مقدمة للديوان ولكنه لم يذكر شيئاً او يبرهن على هذا الارتجال .. وقد ذكر لنا التاريخ كثيرآ من هؤلاء الحفظة وقد رأيت مثل هذا النوع في مصر فقد كنت ارى الخطباء يحفظون خطبهم والشعراء شعرهم ثم يلقونه على اسماع الناس في الحفلات وفي كل بلد من هؤلاء كثير وقد اشتهر في فرنسة محام قامت شهرته على ارتجال المرافعات القانونية وبلاغته في المرافعة وجمال اسلوبه فيها مع رأي قانوني صائب ولما اصبحت ولده محامياً سأل والده عن سر نجاحه في الارتجال فقال له احفظ السر يا بني : سر النجاح في الارتجال هو عدم الارتجال .

والكاظمي لم يكن يرتجل وإنما كان يحفظ قصائده بعد أن يكون قد أعدها من قبل ويذهب وهو شاعر مرموق فيسأل أن يرتجل ويعتذر ثم يلقي . فلو تتبعنا قسماً من القصائد التي ارتجلها الكاظمي لوجدناها مقرونة بمناسبات مشهورة معروفة مثل تكريم مولود مخلص ، وذكرى استقلال سورية ، وتكريم جعفر العسكري ، وقصيدة القاها عندما كان في عمان واخرى في زيارة القدس وفي تكريم طالب النقيب وحفلة تمثيلية اقيمت في القاهرة لاعانة منكوبي سورية وشفاء سعد زغلول وغير ذلك من الحوادث العامة .

وليس من المعقول ان يصل مولود مخلص او جعفر العسكري او طالب النقيب
ولا يعرف الكاظمي بوصولهم الى القاهرة ولا يحاط علماً بالاحتفال بهم، وليس من المعقول
ان تقام حفلة لمساعدة منكوبي سورية والكاظمي المعروف باخلاصه للقضايا العربية
لا ترسل له الدعوة وليس من المصدق ان اخبار سعد زغلول تخفي عن الكاظمي
الذي كان يعرف المناسبة سلفاً ويحضر لها شعره .

وهناك حادثان جدير بنا أن نقف عندهما وهما حادث زي سليم سر كيس
وهي كمارويت في مقدمة المجموعة الثانية من قبل عبد القادر المغربي ملخصها ان
سليماً تضايق من اللبوس الافرنجي وخاصة الياقة المنشأة لأنها تمنعه من الحركة
والتلفت في الحر وفي العمل فهجر زيـه واصطنع لنفسه الزي البلدي الفضفاض
واعلن خبر هذا في الصحف المحلية مشفوعاً بزيه الجديد واخذ المحررون يصفونه
في صحفهم والشعراء يذكرونه بقصائدهم فلما دخل الكاظمي عليه عاتبه سليم على عدم
وصف الزي الجديد فجعل الكاظمي يرتجل شعراً في مدح سليم ووصف زيـه
الجديد يمليه ، عليه وهو يكتب حتى إذا طال نفس القول اعترضته انا قائلاً:
أرى ان يكون لهذه القصيدة نبأ عظيم بين ادباء القاهرة فلم لا يكون لي فيها ذكر
وانا ثالثاً وشاهد حادثك فتحول الكاظمي عن سليم واقبل على المغربي ونظم
فيه عشرة أبيات ثم ختمها بابيات خاطب فيها سر كيس .

من هذا نجد ان الكاظمي نظم عشرة أبيات فقط ولو حذفناها لما أثرت
في مسيرة القصيدة وكأنها لم تكن ، وأنا لا استبعد على الشاعر أن يرتجل عشرة
أبيات وفي هذا الروي وهذه القافية ولكني لا اعتقد بان الكاظمي لم يقرأ أو لم
يسمع بزي سر كيس قبل أن يملئ عليه القصيدة إن لم يكن قد رآه قبل هذه المرة

لذلك فقد نظم الكاظمي القصيدة وحضرها ثم القاها على سر كيمس ولكنه
ارتجل عشرة أبيات لا غيرها وهذا ممكن لانهم كانوا جلوساً وكانت طريقته في
الاملاء التمهّل والتفكير وهي غير قصائد الارتجال في الاحتفالات الكبيرة
وما في جوها من وقار ورهبة .

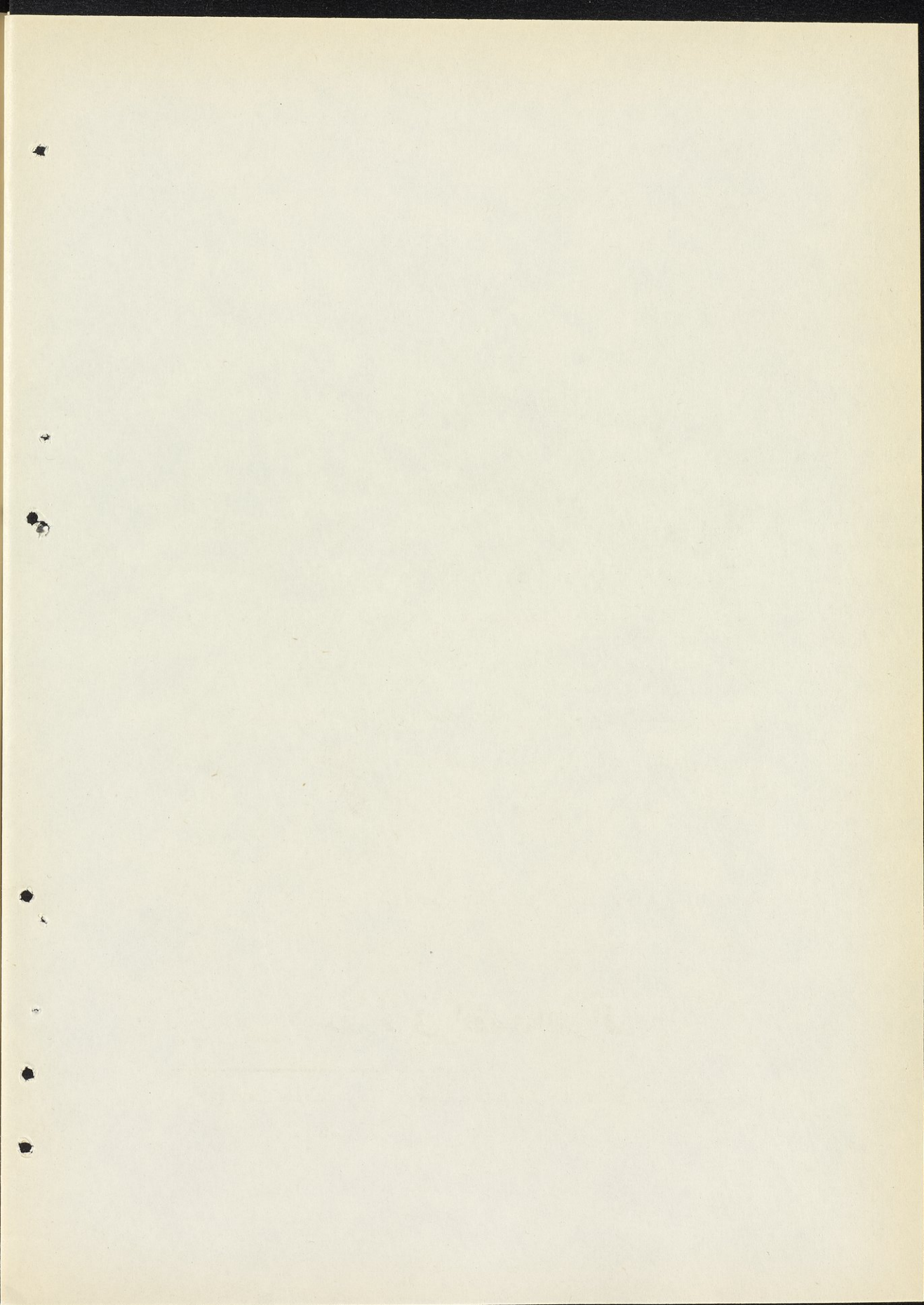
أما الحادثة الثانية فهي حادثة القصيدة التي القاها بعد أن التقى الدكتور
شوددي قصيدته والتي مطلعها :

نفر الحبيب ولا سبب	اتراه يسلب ما وهب
لا جاء ودعني ولا	بعث الرسول ولا كتب
فارتجل الكاظمي قصيدته :	
لعب الطيب ولا عجب	ولرب جند في اللعب
ذكر الحبيب وبعده	ودلاله اما قرب

وهو وزن سهل بسيط وهو أقرب الى النثر والى السجع فلا يحتاج الى كبير
عناية، وقد تلى الشاعر القصيدة وقد استعدادها روحياً وذهنياً والقافية من
القوافي السهلة التي يمتطيها الشعراء وليس في القصيدة امتياز وهي ليست من عيون
شعره ولا تقتضي مثل هذه القصيدة ، لو صدقنا الرواية ، هذه الضجة
ونظم في مستواها الكثيرون في مجالس السمر ولا يسمون هذا شعراً مع اني اميل
الى أن الكاظمي تقحها وصلح فيها بعد القائها .

هاتان نقطتان جديرتان بالاهتمام ولست اريد أن انقص من قيمة الشاعر
ولكنه رأي أراه ويمكن ان يناقشه المفكرون والكتاب والنقاد .

مقدمة في القصة العراقية



القصة من الفنون الأدبية الجميلة المحببة الى النفوس فالقاص البارع يسيطر على القاريء ويوجهه الوجهة التي يريد (١) وقد توطدت دعائم القصة في العصر الحديث واصبحت اهم عناصر المطابع الحديثة لرواج سوقها وكثرة قرائها وطالبيها وعلى وفرة ما ترجم منها عن الآداب الاجنبية فلا يزال الانتاج العربي متأخراً بالنسبة للآداب الاجنبية الحديثة وتكاد لا تعثر على انتاج عربي أصيل واضح المعالم جلي السمات كما نلاحظ في القصص الاجنبي اذ لم نجد للقصص العربية في العراق طابعاً يميزها عن غيرها من القصص كما نجد ذلك واضحاً في الآداب الانكليزية والفرنسية والروسية فاذا أخذنا قصة عراقية وحذفنا اسماءها فلا نتمكن ان نقول عنها انها عربية كتبت في العراق الا في القليل اذ ليس هناك شخصيات عربية متميزة يرسمها القصاص العرب في انتاجهم في العراق تقف امام الشخصيات التي يرسمها القصاص الاجانب في انتاجهم القصصي ، لأن الكاتب الاوربي أراد لقصصه الخلود فوضع فيها فلسفته وبذل جهاداً طاقته في ان تستوعب قصصه أو رواياته ، فكرته الفلسفية الخاصة ، لأن الاوربي اعتبر الرواية

(١) كتبت هذه المقدمة سنة ١٩٥٤ لقصة طريق الشوك تأليف الكاتب عبدالواحد خماس وقد استفاد من هذه المقدمة قسم من الباحثين دون الاشارة اليها شأن اكثر ما نكتب .

او القصة وعاء الفكر الحديث وانها أرقى انواع النثر وخير وسيلة للتعبير الأدبي الحديث . أما أكثر السكتاب في البلاد العربية فقد دأب على كتابة القصة للقصة نفسها او كتب تجربة فردية محدودة الاثر الانساني .

وهناك عوامل كثيرة وتيارات مختلفة تؤثر في توجيه القصة العربية في العراق ولعل اهم هذه العناصر عدم العناية الكافية بالقصة من دور النشر في العراق وضعف الأديب العراقي الثماني حال دون نشر انتاجه في دور عربية بالقدر الذي يضاهي به السكتاب العرب ، والثقافة العالية ضرورة لكل كاتب قاص يريد أن ينجح في قصصه ويرسم صوراً لا يظالمه ويوضح نفسياتهم على الورق ويسمع تنهيدات ألمهم بين الحروف وصرخات رغبتهم بين الكلمات ، ليصور احداث الشعب ويبرز مشكلاته في صمت الحرف وهدوء الكلمة فيستهوي القاريء بصور كاملة المعالم واضحة الملامح لطيفة الاسلوب غنية بالرغبات العميقة الصادقة . وعدم استكمال ثقافة القاص العالية وسطحية آرائه يبعده عن القيادة الفكرية والصدق الفني وعمق الفكرة ووضوح الصورة . فالذي درس ناحية من نواحي المعرفة كالحقوق والآداب والطب لا يمكنه أن يكون قاصاً ناجحاً بل ينبغي أن يتزود علوماً ودراسات منظمة عالية اخرى تعينه على توسيع افقه الفكري ولقسم من السكتاب عذر في عدم الدراسة المستمرة العميقة لأن أكثرهم مرهق بالعمل في سبيل كسب الرزق، فتعثرت جهودهم الفنية وتدنى عملهم الادبي. ولو قدر لهم الاستمرار في الدراسة والتتبع لبلغوا الكمال الفني او قاربوه اضافة الى ان الاضطراب الاجتماعي العام الذي ساد حياتنا اليومية ادى الى بلبلة الافكار وقلق

النفوس فاصبحت موهبة القاص العربي في العراق قلقمة مضطربة لا تقف امام
الموهبة المتزنة في البلاد المستقرة اجتماعياً وسياسياً .

والقصة العربية في العراق قصيرة العمر وقد سبق العراق في هذا الميدان كل
من مصر والشام لأن ميدان العراق الساذج المتأخر بعثت عنه عناصر القوة الفنية
وكما تقدمت الامم في الحضارة كلما وجدت القصة ميداناً رحباً وافقاً واسعاً ،
وما زال كثير من كتاب العراق في القصة عالة على ما كتبه المصريون فهم
يرسمون خطى طه حسين ومحمود تيمور وتوفيق الحكيم ... والتقليد الدائم
لا يعطي صورة حقيقية للانتاج الفكري ويحتاج المقلدون من ابناء العراق الى
الابتكار البعيد عن الجمود والى السير في ركب حياة الشعب الذي يتن من
مشكلات متنوعة كالاقطاع والاستعمار والتعصب الديني ومكانة المرأة الاجتماعية
ولم يفكرا اكثر هؤلاء في اسعاد ابناء الشعب وتقوم حياته انما انصرفوا الى انفسهم
والى قصصهم لا يحاولون رفع مستوى الشعب فكرياً وادبياً .

واهتمام الغرب في القصة العربية دعاهم الى الاهتمام بها في العصر الحديث
ومن اوائل المهتمين بها من المستشرقين الاستاذ هملتون (ركب) فقد القى
محاضرة عن أدب المنفلوطي ودرس بعض آثار المصريين (١) وقد تتبع آثار
الفصص في العراق فوجدت من اقدم القصص قصة (سجع القمرية في ربيع المدرسة
القمرية) وقد كتبها محمود ابو الثناء الآلوسي وهي قصة غرامية على شكل المقامات
وكما قال منها : اغرب قصة في العشق (٢) ويعوزها الطابع الفني الاصيل وسجعها

(١) مجلة الحديث الخلبية عام ١٩٢٩ .

(٢) ما زالت مخطوطة في مكتبة الاوقاف نسخة منها تحت رقم ١٢٧٠ .

يبعد القاريء عن تتبع اجزائها ومواصلة قراءتها .

وعندما انتشرت الجرائد في العراق وجدناها تعني عناية كبيرة في ترجمة القصص المتسلسلة والقصص اليومية وقد نشر بعضها بتواقيع مستعارة واغفل توقيع قسم منها فوجدنا جريدة المبدأ ترجمت (الابناء والبنون) وقصصاً اخرى عن الفرنسية والانكليزية والالمانية ووقعها الياس الكاتب ويعقوب شاؤول (١) ورفائيل بطي (٢) كما ترجمت بعض الروايات التاريخية (٣) وظهرت اسماء كتاب اختفت من عالم القصة أمثال يوسف رجب و يوسف متى ومعمر الشابندر وحسن الجواهري وخلف شوقي الداودي (٤) وحسين الظريفي وعبدالقادر رشيد الكيلاني (٥) وسعيد الشهابي (٦) وقد مرت بي قصص مترجمة لابي صميم (٧) وسليم بطي (٨) ومحمود توفيق (٩) ولكن اشهر هؤلاء السكتاب في هذه الفترة بل رائد القصة الأول هو محمود أحمد السيد فقد كتب قصصاً وأدلى برأيه في الفن القصصي واتصل بكتاب العالم العربي وقد تأثر المكاتب بادباء أترك امثال عبدالحق حامد وترجم عن اللغات الاجنبية وقد عني المستشرق كرجوفسكي

(١) جريدة المبدأ لجعفر ابي التمن عام ١٩٣٥ .

(٢) جريدة العراق .

(٣) مجلة الأخلاق للبناء العدد ٢ - ١ - ١٩٢٧ .

(٤) ترجم قصصاً مختارة من الأدب التركي جريدة الزمان الصادرة بدل البلاد ٢٦٦ - ٩٣٠ .

(٥) ترجمة دون كيشوت .

(٦) له زهور البنفسج .

(٧) جريدة الزمان الصادرة بدل البلاد سنة ٩٣٠ .

(٨) جريدة نداء الشعب ٢٦٦ - ٩٣٠ .

(٩) جريدة نداء الشعب ١٩٣٠ .

الاستاذ بجامعة لينغراد به وكتب عنه فصلاً ضافياً في مجلة الدراسات الشرقية
نوه بجهوده وفضله (١) كما عيّنت به السيدة الكاتبة وداد سكاكيني فكتبت
عنه فصلاً عندما ظهر أحد كتبه (٢) وقد كان السيد متأثراً أشد التأثير بما حاق
بالبلاد من اخطار فقد كان المستمر يحجم على صدر بلاده والاحداث الظالمة تفتك
بوطنه فعبر عنها تعبيراً واضحاً وان لم يبلغ المرحلة الفنية الكاملة ككل عمل بدائي
ولكنه واضع الحجر الأساس للقصة العربية في العراق (٣).

ثم يأتي كاتبان اشتهرا بوفرة الانتاج القصصي وغازته هما جعفر الخليلي
وذنون أيوب ، والاستاذ الخليلي متأثر بالأدب العربي القديم وأغلبية أقاصيصه
القديمة مغرقة في الخيال ثم انساب جانب من واقع الحياة في أدبه فتغير مجرى
قصصه نحو الانسانية والخلود وكنت أتمنى ان يجانب الفروع البعيدة ليكون
القاري معه دائماً ، وجودة قلمه مكنته من السيطرة على القصص وان أبعده
أحياناً عن وضع الحلول المناسبة للمشكلات التي تمر بين يديه ، وعنايته بحمال
العبرة واشراق الاسلوب ترضي القاري العربي وتسره وله فضل واضح على القصة في
العراق وتركيز دعائها فهو من الرواد الكبار ولا بد للرائد أن يقع في اخطاء .

أما الاستاذ أيوب فقد ملأ عالم القصة بقصصه الطويلة والقصيرة وانتاجه
من واقع المجتمع فقد تلمس بمشكلات الحياة فانتقدتها ووصف حالة الشعب ورسم
صوراً للاقطاع وبؤس الفلاحين حين وصف مشاعر الشعب وهاجم الفوضى

(١) جريدة البلاد ١٠٥٧ - ٩ - ٣٠ ك ١ عام ١٩٣٧ مقال لمحمد أمين حسونه

(٢) مجلة الحديث الحلبية العددان ٣ و ٤ آذار ونيسان - ٩٣٦ .

(٣) له عدة قصص منها « في ساع من الزمن » و « جلال وخالد » و « النكبات »

و « مجاهدون » .

والفساد في البلاد وسبر أغوار مشكلاته واخذ يسير ركب القصة الحديثة ولا يزال متأثراً بأهوال القديمة والرواسب القصصية المثالية التي تعتمد على الحكمة القصصية وجمال المطلع وحسن المنتهى رغم معرفته بلغة اجنبية . وقد امتاز بروح التهمك والفكاهة في بعض القصص ترفيهاً للقارىء .

أما عبدالمجيد لطفي (١) وانور شاؤول فهما من مراحل القصة الأولى والاستاذ لطفي على كثرة ما كتبه يكتب سريعاً ويمر بمشكلات الشعب دون أن يتعرف على أسبابها ولا اظنه يترك في نفس القارىء أثراً عميقاً لا يتعاده عن واقع الشعب ولو توفر على دراسة المشكلة ودرسها بعمق لكان في مقدمة كتاب القصة ولكنه انشغل مرة بالشعر واخرى بالمقالة وطوراً بالتعليق والعمل الصحفي ففرق جهده بين الشعر والمقالة والقصة فما وسعه الوقت للدراسة والتتبع مع انه يملك ملكة فذة ونزعة انسانية شاملة . ولو تزود ثمناً عالية وسمح له وقته بالدراسة لكان قائد مدرسة لأن الملكة وحدها لا توصل الى الابداع الفني ولا تضعه في مصاف كتاب القصة في العالم .

وانور شاؤول (٢) كتب بعض القصص التي تلائم الجو العراقي ولكنه كتبها بروح الحذر الخائف وقد مارس الصحافة والشعر ولو ركز على واحدة منها لكان له مكان ادبي مرموق ، ثم ركن الى التجارة واستراح ، ولا نور فضل السبق وان كان مهتماً بمواضيع تافهة كما اهتم مثله شالوم درويش (٣) ويعقوب

(١) له عفيفة قصة صغيرة أشبه بالمديح الخاص .

(٢) له الحصاد الأول والحصاد الثاني .

(٣) له احرار وعبيد وبعض الناس .

بلبول (١) فنجحاً نجاحاً يسيراً ثم اختفياً . ومن الذين لم يقدر لهم النجاح في فن القصص المحدث البارع صلاح الدين الناهي (٢) فهو محاضر في قصصه ومحدث بارع لذلك تضييع منه صفة القاص لان القارىء لا يريد دائماً المحدثين الذين يأخذون كل الحديث بل يريد الجودة والتغيير . ولو استمر في الانتاج وابتعد عن كرسي المحاضرة اسكان له شأن في الأدب العربي الحديث .

والشعب العراقي أشد الشعوب اهتماماً بامور المجتمع لأنه أرهف حساً وأدق فهماً من غيره يفيض شعوراً صادقاً وهو احوج الى ادب يمثل له حياته الاجتماعية بشقائها وسعادتها ويرسم له صورها واضحة جلية ليفهمها ويعيها . فقد وجدت ان كثيراً من كتّاب القصة لا يتحدثون الا عن طبقة واحدة عليا استمراراً للثقل القديمة التي تعنى بالفرد دون العناية بالمجموع غير ان الشباب الطامع اتجه نحو مشكلات الشعب العامة لمقاومة الفساد الاجتماعي بعد أن أحس بما وصلت اليه البلاد من تأخر فانتقد المجتمع المضطرب الفاسد مقوماً اعوجاجه ومنهم من نجح ومنهم من تخلف ومنهم من لم تواته الفرص ولا كنيهم احسوا جميعاً بانهم اصحاب رسالة فكرية ويجب ان يؤدوا دورهم في حل مشكلات الشعب .

وكتاب القصة في العراق كثيرون منهم شاكر خصيبك وفؤاد التكريلي ، وصفاء خلوصي ، وعبد الوهاب الامين ، وعبد الحق فاضل ، ونزار سليم ، ونهاد التكريلي ، وحمدي علي ، وعبدالرزاق الشيخ علي (٣) و خليل رشيد ، وعبدالله نيازى

(١) له الجرة الأولى .

(٢) له اقصيص شتى وتمنية الاقصيص .

(٣) له « حصاد الشوك » و « رباب » و « على الحديد » .

وعبد الصمد خانقاه ، ومحمود الحبيب ، وشاكر خصباك الذي درس في مصر
وأخرج هناك مجموعة من قصصه (١) وقد كان في بدء حياته سطحي الدراسة
ولكنه التزم اتجاهها اجتماعياً وهيمن على أسلوبه وما يزال يحتاج إلى دراسة للادب
العربي القديم وأساليبه ، ليتأثر بالأسلوب العربي الأصيل ككتب الجاحظ لتشرق
ديباجته فيؤثر في النفوس ويصفو أسلوبه من الشوائب وتظهر قابليته
القصصية الممتازة .

أما نزار سليم فهو فياض العاطفة لكنه مضطرب الأداء فجاءت أحكامه قلقة
وسيطر عليها الاضطراب والفيض العاطفي مشوشة المعالم ، وامتاز ببراعة في وصف
المشاعر الانسانية .

وعبد الملك نوري واقعي مرهف في كل ما قرأته له من قصص وقد برع
في رسم المشكلات الاجتماعية غير أن روايته الماضي السحيق في الانجاه الفكري
وعدم قدرته التامة على التعبير العربي الأصيل تظهر بعض قصصه مفككة ومعقدة
معاً وهو يحيطك بجو غامض وبمحاكاة إلى الأسلوب السهل والوضوح في الوصف واليسر
في القول لتنمو في ذهنه الأساليب العربية إلى جانب ثقافته الغربية وليفهمه
أكبر عدد ممكن من أبناء الشعب المثقف .

ولعبد الحق فاضل قابلية جميلة للابتكار وقد نجح في وصف أبطال قصصه
الشباب ، وقابليته في المسرحية أظهر منه في القصة .

والدكتور صفاء خلوصي قصاص متأثر بالدراسات العقلية والنقد الأدبي
وقد أثرت هذه الدراسات في كتيبه القصصية ومثله العليا الأدبية بعيدة عن

(١) له صراع وعهد جديد ودراسة واقية ناجحة عن « انطوان تشيخوف » .

واقع المجتمع العراقي (١).

هذه لمحة سريعة عن القصة في العراق أقدمها للقارىء، اما كاتب القصة الأخ
عبدالواحد خماس فقد تفرس في حياة الشعب وآلمته حياته وآلمته أوجاعه وما

١) وقد رجوت الاخ السيد عامر رشيد السامرائي ان يزودني بقائمة بأسماء ما ظهر بعد
هذه المقالة فكتب مشكوراً:

وبعد هذا ظهر في عالم القصة شباب جدد تعكس قصصهم القلق العنيف الذي يعاني منه هذا
العصر، كما تعكس التأثير الواضح بالقصص الغربي فصرنا نجد تأثرات واضحة بأفكار سارتر
وكولن ولسن مثلاً.

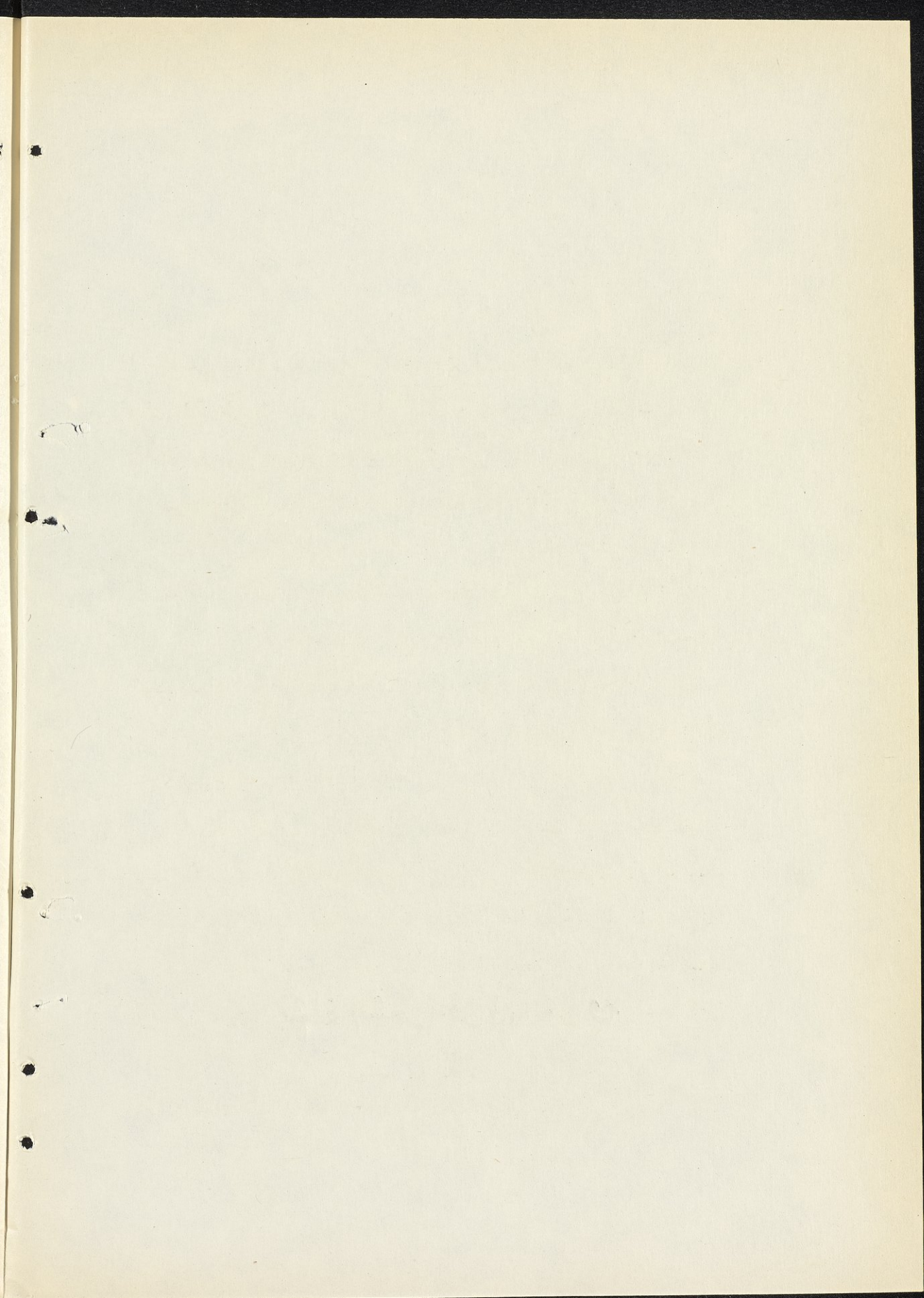
- ١ - السيف والسيفينة - مجموعة قصص - عبدالرحمن اريمي ١٩٦٦ بغداد
- ٢ - الزقاق المسدود - رواية - ياسين حسين
- ٣ - أعياد - قصص - عبدالله نيازي ١٩٦٣
- ٤ - مولود آخر - قصص - غائب طعمة فرمان ١٩٥٩
- ٥ - المدينة تحتضن الرجال - رواية - موفق خضر ١٩٦٠
- ٦ - الوجه الآخر - قصص - فؤاد التكرلي ١٩٦٠
- ٧ - نشيد الأرض - قصص - عبدالملك توري ١٩٥٤
- ٨ - الظالمون - رواية - عبدالرزاق المظلي ١٩٦٧
- ٩ - دموع الوداع - رواية - عبدالوهاب النعيمي
- ١٠ - الحب أقوى - رواية - حازم مراد ١٩٦٧
- ١١ - عباس افندي - قصص - عبدالرزاق الشيخ علي ١٩٥٩
- ١٢ - في زحام المدينة - قصص - أنور شاؤول ١٩٥٥
- ١٣ - في شارع النهر - قصص - خير الدين سلطان ١٩٦٧
- ١٤ - خطوات الى الافق البعيد - قصص - برهان الخطيب ١٩٦٧
- ١٥ - امرأة سيئة السمعة - قصص - بسيم الذويب ١٩٦٠
- ١٦ - ليل بلا عيون - قصص - عبداللطيف الراوي ١٩٦٧
- ١٧ - رماد الليل - قصص - عامر رشيد السامرائي ١٩٦٧

يعانيه وجهد في رسم صور الألم والنكد والشقاء . بأسلوب رقيق جميل ورسم صورة صادقة لحياة الطبقة الفقيرة في اثناء سفرهم بالقطار بالدرجة الثالثة وصور الصخب الذي ينتاب هذه الدرجة وحياة بغداد الاجتماعية بأسلوب سلس واضح وقد سجل انطباعاته عندما وصل العاصمة لأول مرة مترباً لا يملك ما يقيم به أوده فنام على الأرصفة مع المئات من ابناء الشعب الكادحين الذين لم تبق منهم غير الهياكل البشرية تتمطى في الأجسام وقد اختار أحد مقاعد حديقة غازي (١) التي وصفها بالمرحبة لأنها بالمجان . وينقل الكاتب الى وصف المنطقة الشمالية من العراق . ثم نراه مقارناً بين الغناء المبطر والفقير المدقع والحياة الحقيرة التي دفعه اليها رئيسه . وصور لنا حياة الملايين من ابناء الشعب الكادحة المعذبة التي تعيش في الاهوار وقد عاش الكاتب فترة من عمره في تلك المجاهل الخيفة التي يعيش كثير من ابناء الشعب العراقي فيها وخرج لنا بسجل صادق وانفعال عميق واحساس كبير لوقائع حياة الشعب المريرة التي جاءت نتيجة للاقطاع في تلك المجاهل .

ويحتاج الأخ عبدالواحد الى دراسته أصول الفن القصصي وقراءة الانتاج العالمي فيه وتنمية مواهبه القصصية وهو دائم نشط اخرج اكثر من كتاب ولاشك انه سيصل الى ما يصبو اليه من الخلود الادبي وارجو أن يسد في قصته مكاناً من فراغ المجتمع العراقي . لأن القصة الطويلة قليل كتابها والمحاولة ناجحة مستمدة من عواطف الكاتب ومن روحه العالية وقلبه العامر بالاحاسيس الفياضة وفقه ووقفنا الله الى ما فيه خير الأمة .

(١) تحولت الى حديقة الامة في الباب الشرقي (بغداد) .

نشأة الشعر الحر في العراق



في العراق اليوم (١) نقاش فكري حول الشعر الحر او المرسل او الطلق ، وكثير ممن نظم فيه يدعي أنه كان البادئ فيه ، ويدلي بالبراهين ويأتي بالأمثلة . ويعوز هؤلاء في دعواهم التحقيق العلمي والتتبع العميق . وكان أكثر ما كتبوه في هذا الشأن ، مدفوعاً بدافع الفخر والمباهاة . ومن أراد أن يطلع على جلية الامر وجب عليه أن يقرأ جرائد العراق من سنة ١٩١١ حتى ١٩٤٥ ، ليتضح له أن الحركة قديمة ، ولها جذورها التاريخية التي تصل الى أوائل القرن العشرين ، لأن كل فكرة جديدة لا بد لها من جذور ، وينبغي أن تقوم على أسس وقواعد قديمة ، تستمد حياتها منها . ولم تصل الحركة الى ما وصلت اليه إلا بعد أكثر من ثلاثين سنة ، إذ لا يمكن للفكر أن يتطور دفعة واحدة ، ولا بد له من دوافع حضارية واجتماعية .

ولعل الفوضى والاضطراب النفسي أهم باعث للشعر الحر نتيجة للتحول السياسي او الاقتصادي او الحربي الذي رجّ المثل الاجتماعية ، وهزّ التقاليد العالمية العامة . لعدم قدرة الناس على احتمال وطأتها او الصبر على مواجهتها ، لضعف النفوس واضطرابها وقلقها . وتتجلى هذه الحقيقة في هذه الحركة ، حركة الشعر الحر ، فان أكثر الناظمين في هذا اللون من الشعر كانوا

(١) نشرت فكرة المقال في جريدة لواء الاستقلال في العدد الصادر في ٢٤ ٨ ١٩٥٤

وحددت فيه الفترة من ١٩١١ - ١٩٤٥ وقت بدء الحوار حول الشعر الحر .

من ضعاف التعبير ، والثقافة . والضعيف لا يقدر على مجازاة القوي ، فيتخذ ، له سبيلاً آخر يثبت به وجوده ، سداً لثلمة نقصه ، وتخديراً لهوان نفسه ، وإلا فاين الشاعر الضعيف المهلهل النسج ، من القوي ، الفخم العبارة ، الناصع الديباجة؟ إن الشاعر الضعيف ، اذا استشعر قصوره عن مجازاة ركب الادب الاصيل وآثر النكوص على عقبيه ، وألحت عليه عقدة حب الظهور ، فمن المحتمل أن يعبر عنها بالاجوء إلى « الشعر الحر » . وإن الانتقال إلى « الشعر الحر » هو نوع من الثورة الادبية . والشعراء الذين يخوضون غمار هذه الثورة ، اذا اطلعوا على الآفاق الادبية والفكرية الجديدة ، وعمقوا من افكارهم ، استطاعوا أن يقدموا ادباً طيباً في اطار « الشعر الحر » ، أما اذا ظلوا على ضعفهم وبأدواتهم القاصرة ، وأفكارهم المحدودة ، فلا فائدة من وراء منتوجهم ، ولا خلود له .

والثورة على الشعر العربي قديمة ، ففي العصر العباسي نادى الموالى بنبذ أصول الشعر العربي القديم ، ومثل ذلك فعل الموالى بالاندلس ، فكان ما رأيناه من تجديد عباسي ، وموشح اندلسي ، لم يعيش منهما إلا القليل لأنهما لم يصلابه إلى النسج العربي القديم وإن سارا في ركب الحضارة الجديدة .

ولو بحثنا في مبعث هذه الثورة لوجدناه في ضعف الموالى وقصورهم عن إدراك جمال اللغة العربية ومتانة أسلوبها وإشراق بيانها . ثم إن العرب في الاندلس اختلطوا بالقوط والفندال والصقالبة والبربر ، فنتج من هذا الاختلاط جيل صعب عليه فهم تراكيب العربية وتدوقها وهضمها . ثم أصيبت العربية في العصور المظلمة بالركود والحوول والضعف ، فأنتج « البند » الذي أكثر من نظمه ضعاف الشعراء ، مع أن البند فيه موسيقى جميلة وسار على التفعيلات العربية

ويقبله الذوق العربي ، رغم خروج بعض البنود على الوزن ، ولو رتب البند على نسق الشعر الحر لكان خيراً منه في كثير من انتاج عصرنا (١) .

وتبدت هذه الظاهرة ثانية عندما هاجر كثير من العرب الى امريكا ، وأكثرهم ممن لم تمكنه الفرصة من اتمام تعليمه العالي ومنهم من لم تسعفه الحال لاتقان العربية لسيطرة اللغة الاجنبية على تربيته وثقافته ، فهجرة الشاعر العربي الى امريكا وبعده عن وطنه وذكرياته القديمة قد بعثت فيه الحنين الى وطنه ، والاشتياق الى اهله وأسرته ، أراد أن يفرغ هذه المشاعر في قلوبها الشعرية العربية المألوفة فأحس بضعف في الاداة وقصور في التعبير ، فالتجأ قسم الى الشعر الكثير القوافي والاوزان ، فكانت هذه بداية الشعر المرسل او المنشور . وترك للباحثين البحث والتدقيق عن اول من نظم فيه وكيف بدأ اسمه . ولا بد من الاشارة الى أن ظهور الشعر الحر أدى الى حركة فكرية ونشاط ادبي في العراق ، وتحديث عنه الشعراء وأدلو برأيهم فيه .

وقد وجدت ، من المصادر المتوفرة بين يدي ، أن الزهاوي اول من دعا في العراق الى هذا الشعر ، ولكنه اشترط ، شروطاً ولم يترك الشعور يجري على حسب اهواء الشعراء فقد رأى الشعر المنظوم أشد تأثيراً من المنشور ، لما فيه من اللحن والموسيقى ولأنه سهل الحفظ والانشاد ، ورأى أن الشعر هو من فعل المحيط ومن أثر دوافعه ومؤثراته ووقف أمام الذين يقلدون الادب العربي موقفاً واضحاً فقال : عبثاً يسعى بعضهم الى جعل الشعر العربي على نمط الشعر الافرنجي بحجة أن الافرنج سباقون في

(١) أصدر الاستاذ عبد الكريم الدجيلي (البند في الادب العربي) وطبع سنة ١٩٥٩

وفيه يجد القارىء تاريخ البند وقد جمع كل البنود التي وقعت بين يديه .

كل علم وفن، محاولاً تقليدهم، فإن شعور الغربيين تراث آبائهم وأجدادهم في عصور
اوغلت في القدم . . . وشعور العرب اليوم هو إرث متنقل اليهم من آبائهم
الاولين، ولم يتولد هذا الشعور إلا من العادات المتأصلة في الاقوام بتعاقب
الدهور. متى كانت عادات المتنبئ موافقة لعادات شكسبير؟ حتى تكون ارواحها
متفقة وشعرها متشابهاً؟ وبجوره فيها متماثلة اللجج؟، قد اعمرى فات هؤلاء
المتشبهين أن الشعر في كل امة هو احساسها فلا يقاس على العلوم والصنائع المادية،
ولكل امة ذوق فيه ترجع معرفته الى علم النفس، وقد انتقل فيها هذا الذوق
تراثاً في آبائها فهل يمكن أن ينتقل من قوم الى آخر بعيد عنهم في العادات
والمشارب؟ وليس من يسعى الى تحويل الشعر العربي، الى شعر افرنجي إلا كمن
يحاول جاهداً ان يجعل العنديل ديكا، والعقاب حداة، والاقحوان بنفسجاً.
وهل يطرب العنديل العنادل اذا صاح صياح الديكة؟ او يستفز الديك الديكة
اذا غرد تغريد العنادل؟

زينوا الباطل حتى ظنه الناظر حقا
إن شعباً جهل الباطل ظل والحق ليشقى

ولا اريد بما اقول ان نبقى، نحن العرب، جامدين على الطراز الاول الذي
استحسنه اجدادنا في الشعر، كلاً ثم كلاً، فأنا اكثر الناس ميلاً الى التجدد والتقدم
بالشعر تقدماً يناسب ارتقاء العلوم والحضارة، لكنني مشروط أن يكون مشيناً
في الطريق الامثل الذي نحن سائرون عليه كما سار اجدادنا غير جانحين الى
طريق جديد . . .).

وقد وصف الزهاوي الداعين الى تقليد الغرب بضفاف النزعة العربية،

وقال : إن بيئة الغرب تأثرت بالآلة ولم يتأثر بها العرب ، وعد شعـر الغرب نسيج الآلات ، وشعر العرب شعر الارواح ، ومن قتل الشعر العربي فقد قتل العرب ، فقال: الغالب على القائلين بهذا التحويل هم نفر مارسوا الآداب الغربية في بلادها فألفوها، وضعت فيهم النزعة العربية فأخذوا يشعرون شعور الافرنج وأرادوا أن يعبروا عنه بالعربية شعراً ، فما سمحت لغتهم بذلك لأنها متولدة للتعبير عن شعور خاص ، هو شعور العربي وقد خلقت كل لغة للتعبير عن شعور أهلها ، فلا تسطيع أن تعبر تعبيراً صادقاً عن شعور غير أهلها . . .) .

ووصف هؤلاء الذين نظموا الشعر العربي بعيداً عن البيئة العربية ، بالمتشبهين بالغرب وان أكثر شعرهم (بارد غث وتكاد لا تصادف بلباً مبرزاً يجوز أن تستشهد به في كتاباتك او خطبك لحسن أدائه وكبر معناه . . . بالرغم عما هنالك من الالفاظ المزوقة التي يأتون بها طلاء لوجه شعرهم . . .) وطالبهم بعدم انشاد هذا الشعر ، والابتعاد عن نظم الشعر واعتبرهم من الضالين الذين يجردون في تقويض صرح الشعر العربي وقال (وهذا الذي يأتون به من الشعر المتفونج لا يعيش في ارض لا تلام ، بيئته وستجده بعد قليل قد يلس بأشعة الشمس التي تطلع من سمائها حارة فيعود حطاماً . . .) وقد أراد للشعر الحديث المرسل ، أن يأتي بقالب عربي مع مراعاة للذوق العربي ، والمحافظة على أسلوبه حتى يكون للشعر العربي ريق فوق رونقه وثناء فوق ثرائه ، ولكن خاف من الشباب الذين تعلموا في الغرب وما رسخت اقدامهم في اللغة العربية .

والزهاوي من المجددين الى أبعد حدود التجديد ، مع ذلك فلم يرض بالتجديد الكلي الذي رآه في الشعر آنذاك ورأى أن التخلص من القافية

غير صحيح ، وخير وسيلة للإصلاح (أن يحافظ الشاعر في قصيدته على البحر ، سواء أكان من مجور الشعر القديمة ام الجديدة ، وأن ينتقل بعد كل بضعة ابيات الى روي جديد ، فان القصيدة لا تخلو من مطالب مختلفة مع مناسبة بعضها) وقال (ومن العجب أن فئة من المتشبهين ينحون باللائمة على اهل القوافي ، وحثهم انها قيود يتقيد بها الشاعر ، فلا يكون حراً في نظم المعاني ، مع انهم يلزمونها حتى في الاشطر الاولى ، فهم يضيفون على القيود التي في ارجل الشعر ، اغلالا في ايديه . . .) . (١)

ودعا الزهاوي في تجديده الى ترك القافية والاكتفاء بالوزن . وسمى الشعر الذي يدعو اليه الشعر المرسل ونشر قصيدة أيد فيها رأيه منها :

لموت الفتى خير له من معيشة يكون بها عبئاً ثقيلاً على الناس
يعيش رخي العيش عشر من الوري وتسعة أعشار الأنام مناكيد
أما في بني الارض العريضة قادر يخفف ويلات الحياة قليلا
أفي الحق أن البعض يشبع بطنه وان بطون الاكثرين تجوع
أسألتني عن غاية الخالق اسكتني فما لي على هذا السؤال جواب (٢)

وشرح بمقالات وجهة نظره . وخالفها من خالفها ورد عليه رفائيل بطي فقال (إن ما يدعو اليه هو الشعر المنشور بعينه ، واذا اطلق الشعر العربي من القافية فأحر به ان يطلقه من الوزن ، ليكون ارساله صحيحاً ، فيصبح حينئذ الشعر المنشور الذي

(١) محاضرة ألقاها الزهاوي سنة ١٩٢٢ ونشرت في جريدة العراق شباط ١٩٢٢ .
() ديوان الزهاوي ص ٣١ ، القاهرة ١٩٢٤ وبلغت القصيدة ٢٦ بيتاً وكانت بالكلم المنظوم ٦٠ بيتاً ونظمها سنة ١٣٢٣ هـ .

هو شعر بمعانيه والفاظه ، ولكنه ليس منظوماً . ونخال ان الانفس العصرية
اصبحت تمج التقليد ، وتكره القيود ، لذلك هي ترحب بالطرائق الجديدة السهلة ،
نظير الشعر المنشور ، انما مع مناصرتنا للشعر المنشور لا نجد قيمة الشعر المنظوم ،
ولا نود أن يقاوم ، فانه ركن مهم في عالمنا الادبي ، بل ليق الشعر المنظوم
وبجانبه الشعر المنشور ، لتظل القصائد الغر المنظومة آثاراً خالدة لكبار الشعراء
الناظمين ، ولتظهر بدائع الشعر المنشور في مقالات وكتب يكون لها تأثيرها
في جمهور القارئ (١) .

رأى الرصافي :

وقد أبدى الرصافي رأيه فيه فقال : (الغناء والرقص غريزتان من غرائز
الانسان ، كما ان المنطق غريزة فيه ، وما الشعر إلا وليد هاتين الغريزتين ، فان
المنطق هو أسنى مظهر من مظاهر الشعور لما اقترنت بالغناء وتولد الشعر ،
فالشعر لا يقال إلا لينشد وبعبارة أخرى ليتغنى به فلا بد فيه من الوزن والقافية ،
لأن الغناء نغم وإيقاع ، وهما لا يكونان إلا على تقاطيع متوازنة من الكلام
ولم نعهد أمة من الامم الغابرة ولا الحاضرة تعنت بشعر لا وزن فيه ، وغاية
ما نراه من شعراء اوربة اليوم ، هو إنهم يعدون في القوافي ويتجاوزون فيها ،
لأنهم يهملونها بتاتا ، وكما هم يتجاوزون في القوافي يتجاوزون في الوزن ايضاً ،
فلا يلتزمون في القصيدة الواحدة وزناً واحداً . وقصارى القول في طريقتهم
هذه أنها تشبه طريقة الموشحات عند العرب ، وأنا وإن كنت لم اطلع على الشعر

(١) مجلة الحرية ، ١ تموز ١٩٢٥ رئيس تحريرها رفايل بطي ، صاحبها ومديرها

المسؤول عبد الجليل رزق الله ادفي .

الافرنجى لعدم معرفتي لغة اجنبية ، فقد اطلعت على المتفرنجين من شعراء
الأتراك الذين قلدوا شعراء الافرنج تقليداً مطلقاً ، ومشوا في اشعارهم على
آثارهم ، واتبعوهم فيها حذو القذة بالقذة ، فلم أر شعراً خالياً من الوزن ولا من
القافية ، وإنما هم كما قلت آنفاً يبعدون فيها ويتجاوزون . وجل ما يتجلى لي
من هذا الشعر الذي يسميه صاحبه بالمرسل إنما هو اقتران الرعونة بالشعور ،
وخلط السخافة بالظرافة ، وإدغام التفاهة بالنباهة ، وطلب السمعة من
وراء البدعة . (١)

(ومن الغريب أن بعض الناس عابوا على الشعر قوافيه بأنها تكرار ممل ،
وذلك وهم منهم فان القافية لا تتكرر في الشعر ، بل تكررهما عيب عند العرب
يسمى بالايطاء ، وإنما يتكرر منها حرف واحد وهو الحرف المسمى بالروي ، فالمعنى
في كل قافية غير المعنى في سواها من أخواتها ، فمن أين جاء هذا التكرار الممل ؟
على أن تكرار بعض النغمات في الموسيقى امر لا محيد عنه ، وهو مسموع ومألوف
وما تكرار حرف الروي في الشعر إلا بمنزلة تكرار بعض النغمات في الموسيقى) .
(هذا . وما الشعر المنشور العاري من الوزن والقافية ، فهو شعر بالمعنى
الاعم أي هو شعر بمعانيه التي تفعل في النفس ما يفعله الانشاد المقترن بالنغم
والايقاع ، إلا أنه لا يتغنى به فعلاً ، فهو إذن تقليد للشعر المنظوم من جهة الغاية
المقصودة به ، وحبذا لو سمي الشعر المنشور بالشعر الصامت ، لعدم اقترانه بالغناء
والرقص ، وسمي المنظوم بالناطق لاقترانه بذلك) .

(أما أنا فاستحسن الشعر المنشور ، وأقول به ، من حيث أنه خير واسطة
لانباط القرائح ، وإثارة العواطف لا غير ، إلا أنني لا أفضله على الشعر المنظوم ،

(١) عرض الرصافي بفكرة الزهاوي .

لأن هذا شعر منشور وزيادة ، إذ هو لاقترانه بالغناء يبلغ غاية الشعر المنشور من طريق أقصر ويتناولها بيد أطول .

(ولا يجوز أن يفضل المنشور بكون مجاله أفسح ، وأوسع من مجال الشعر المنظوم ، بسبب تقييد هذا بالوزن والقافية ، وإطلاق ذاك منها ، لأن الشعر لا يكون مسرحاً للعقل والفكر حتى بعد اتساع مجاله . منزية مستحسنة وإنما الشعر مسرح للنفس ، ومثار للشعور والعاطفة ، وإذا كان الوزن والقافية هما الغناء نفسه ، فتقييدها بإطلاق له في مسرح العواطف والشعور . وهل ينكر منكر أن الغناء قنطرة النفس الى العواطف ومعبرها الى الشعور والحس) (١) .

رأى شكري الفضلي :

ومن المؤيدين للشعر المرسل شكري الفضلي فإنه نشر مقالة في جريدة العراق واخرى في مجلة الحرية ، أزر فيها الزهاوي في فكرة ترك القافية ما دام الوزن متوفراً فقال « الوزن نوع من الغناء وهو كما يكمل بالقافية يكمل بغيرها من الالفاظ وعلى هذا فوجود القافية وعدمها سواء بالنظر الى استقامة الوزن » (٢) وعد اقتراح الزهاوي إنقاذاً للشعراء من مصيبة القافية وهاجم في مجلة الحرية الشعراء الذين سماهم شعراء القافية بقوله : (إن أكثر شعرائنا اليوم يستحقون أن يسموا بشعراء القافية) فقد رأى القافية تتحكم فيهم وتصدم عن مشاعرهم الخاصة وتحثهم على التقليد ، واتهم الشعراء بأنهم يجمعون القوافي من المعاجم قبل نظم القصيدة واتهمهم بالسرقة عندما تحددت طاقتهم بالقافية ، واتهم أكثر

(١) مجلة الحرية العدد السابق وهو جواب لسؤال سأله المجلة هو : ما تقول في الشعر

المنثور الذي ابتدعه الريحاني والشعر الذي سماه صاحبه بالتمر المرسل ؟

(٢) جريدة العراق العدد الصادر في ٤ حزيران سنة ١٩٢٥ .

الشعراء في البلاد العربية بالتقليد وعدم الابتكار فقال : إن شعرهم
 (. . . نافر من الشعر الطبيعي والابتكار ، ومتعثر بين تقليد القدماء والكذب
 المسمى بالمبالغة) وفيه تكرار وسرقة استعارات القدماء وتشبيهاتهم وأن الذين
 جددوا في أغراض الشعر في العراق إنما يقلدون شعراء البلاد العربية وما جاءوا
 بجديد واتبعوا غيرهم في الاحاسيس ولم يبتكروا وجعلوا (الشعر في قيد أدهى
 وأمر من شرك تبعية معنى الكلمة المتضمنة حرف القافية) (١) .

ثم عرض السكاكب على القراء قطعة من شعره « المرسل » كما سماه هو ،
 وعنوانها « حمامة وهرة » وهي

والصبح مرآة ادكار	كانت تنوح حمامة
ألم التآلف والمعاش	قتريك حاجتها الى
ثم ابتغت أكلا وشربا	حنت الى الف لها
في قلبها الحر الصغير	سر الطبيعة كامن
جل المتاح وما الفناء	لكنها لم تدر ما الا
في سرعة السهم المصيب	فهوت اليها هرة
وأظفار حداد	فتخبطتها بين أنياب
لم يبشرها بموت	وكأنما قتل الحمامة
لموت ليمتكم لم تكنها (٢)	هذي الحياة وسيلة

وقد شرح رأيه بأن ترك القافية يمهّد الطريق للشعور والاحساس وقد
 ترك الشعراء النظم على طرق العروض وعكفوا على الالحن الموسيقية المناسبة ،

(١) مجلة الحرية ١٥ شباط ١٩٢٤ .

(٢) جريدة العراق للاستاذ رزوق غنام العدد الصادر في ٤ حزيران ١٩٢٥ .

واعتبر الوزن نوعاً من الغناء ولما كان الوزن كاملاً دون قافية فلم يجد ضرورة للقافية لأن القافية مضيية الادب العربي (١).

ولجأ للشعر الحر في العراق حينئذ ضعاف الشعراء الذين لم تكن لهم ثقافة عربية اصلية ، ولا اطلاع عميق على آدابها ، والاغلب هم ممن لم يتعلم في المساجد وأنظمتها . ومن يقرأ جرائد تلك الفترة يجد مثل هذه الاسماء التي توصل السير في نظم هذا الشعر .

وقد حاولت تتبع هذا اللون من الشعر في العراق ما بين ١٩١١ حتى ١٩٤٥ في الصحف التي بين يدي فوجدت حر كته ضعيفة الاثر مع ، أن الجرائد والمجلات نشرت اشعراء من البلاد العربية الاخرى . وقد اهتمت (صدى بابل) بنشر نماذج من هذا الشعر لأن صاحبها داود صليوة كان ذا ثقافة عربية ضعيفة محدودة ، وكان ركيبك الاسلوب فوجد في الشعر المرسل شيئاً جديداً يوافق ثقافته الفقيرة ، التي لا تعرف قوة النسيج ورصانة الاسلوب . ومن القصائد التي نشرت قصيدة (واهم دياب نعمة) من دير القمر ختمها بما يلي :

ليس ما نجعله يجعلنا جهلاء
بل ما ندعيه
ليس ما نرائي به يجعلنا ودعاء
بل ما نقصده
ليس ما ننشره يجعلنا أدباء

(١) المصدر السابق .

بل ما نفعه

ليس ما نعمله يجعلنا اتقياء

بل ما نرتاضه (١)

وبعد ذلك أجد في العشرينات حركة أقوى من الأولى، وإن ظهرت هذه الحركة خجلي، فقد نشرت جريدة العراق سنة ١٩٢١ قصيدة للاستاذ محمد الهاشمي واخرى بتوقيع (ب ن) واخرى بتوقيع (احدهم) فمن قطعة الاستاذ الهاشمي:

هو هكذا متألم في حياته الحزينة
لا تلوح على فيه إلا ابتسامات حفيفة
لا أثر لها في اعماق فؤاده المضطرب
لم تضحك له الايام ولم يضحك لها

ومنها :

هو هكذا مجلس العرس والغناء؟
وفي مجامع الحزن ونوادي الرثاء
صامت كأن الملائك توحى اليه
تهمس في قلبه معاني لا يعرفها لسانه

ومنها قوله :

يذهب الى المقبرة لأنه يجب الموتى
وبين الموتى يجلس لأنه من الموتى
ومن الموتى يسمع لأنه يخاطب الموتى

وعنهم يفهم لأن الاحياء أغنياء (١)
ونشرت مقطوعة (ب ن) ومنها ما يلي:

أتركوا نعشي ملاك الهجر يحملني الى
حفرتي

هو يحملني اليها

ويواريني فيها

إنه

حمل الهم الي

طول عمري

سليسقينني المنية

أنا أدري

فأتركوه ، ليتمم فعله نحوي ولا

تزرجه

بعد موتي (٢)

ومن قطعة « احدثهم » وقد سميت بالشعر الحر :

الى مهد العلوم وبنت القرون

الى مرضع الفلسفة ام الفنون

الى جنة الآداب في العهد المصون

يسير الساعة موكب الامير العظيم

(١) جريدة العراق العدد ٣٢٧ ٢٥/٢ حزيران ١٩٢١ .

(٢) ملحق جريدة العراق العدد ٣٥٠ ٢/٢ تموز ١٩٢١ .

أمعهد العلم إلا اسجد بتهليل
فزايرك هو ابن الحسين الاثيل
علم بقدرك وفضل تاريخك الجليل
وفي صدره ذكرى عز وشمم عظيم (١)

وقد نشرت مجلة الزنبقة عدة قصائد منها قصيدة لأمين الريحاني الذي عدّ
رائد هذا الشعر (٢) وسمي شعره منشوراً مختاراً منه جزءاً :

ولم تنبج الكلاب
من ذا الذي في الباب؟
إن في الباب مليكا دوخه الزمان
.....

تصرخ فيه معدة ظالمة فتذلل فيه صورة الصمد المتعال
تصفر في رأسه الرياح فتصرعه
فيرد صداها شبج الوسوس والايام
يهذي فيتساقط اللعاب من فيه ،
أسير أسقام وأوهام .
يدق صدره مستعظفاً فيرتجف هيكله المهشيم ارتجافاً قصبة في الرياح
إن في الباب شحاذاً يستنبج الكلاب

(١) جريدة العراق العدد ٥٠٥ / ٣ / ٢ / ١٦ تموز ١٩٢١ .

(٢) قالت مجلة الحرية عنه انه احتدى طريقة والت وثمان في اطلاق الشعر
من قيود الوزن والقافية فابتدع طريقة الشعر المنثور في اللغة العربية وتبعه كثيرون ولا سيما
أدباء العرب في المهجر .

إن في الباب مليكا دوخه الزمان

.....

ولم تنبح الكلاب ؟

إنما نحيب الكلاب هذا لانباحم .

نحيبهم على من في الباب

على عليك صرعه الزمان

على شحاذ عضه الوهم في الكبد والويل في الجنان

حتى الكلاب ينبجون ويتساءلون ! ؟

.....

إن في الباب شحاذاً من بؤساء الكلدان

ممن أرقهم سيف بني عثمان

طواف يطوف البلاد متسولا

كفارة عن ذنوبه وآثامه ؟

كفارة عن جرائمه حكاه

هو صحية الزمان

على طفاة الزمان

هو دمل من دماميل مجتمع الانسان (١)

وزيارة الريحاني للعراق سنة ١٩٢٢ اثرت في تيار جماعة من الشعراء أرادوا

أن يجاروه لأنهم حسبوا أن امين الريحاني قد جاء بشيء جديد . وقد استقبل

(١) مجلة الزنبقة العدد الصادر في أول تشرين الاول ١٩٢٢ .

الريحاني استقبالا حافلا، وأقيمت له الحفلات، وكرم تكريماً كبيراً، لأنها كانت
فترة الحماسة الادبية والفكرية والوطنية، ولعلها من أهم فترات العصر الحديث
في العراق . ومن الذين عثرت على نظمهم في الشعر الحر رفائيل بطي وقد
ألقاه في تكريم امين الريحاني محاكياً فيه شعره، قال :

انا رفيق الطبيعة

انا طريد الزمان

انا حبيب الانسانية

انا عدوها اللدود

مكاني معروف وإن عشت بغير مكان

وذكراي لا تبرح الاذهان

وإن تجاهل بوجودي كثير من ابناء الانسان

وأكثر القصيدة من النثر الخالي من الوزن وإن جاء بعض القوافي فهو

نثر مرتب على شكل الشعر لا غير، وختمها بقوله :

مكاني معروف وإن عشت بغير مكان

وذكراي لا تبرح الاذهان

وإن تجاهل بوجودي كثير من بني الانسان

وسوف يعرفني رفاقي

متى رفعوا الغشاوة عن أعينهم يعلمون

إنتي وإياهم في الجوهر متفقون

وإن اختلفنا في الاعراض

في ذلك اليوم لا اعشق الطبيعة وحدي

بل اعشقها واخواني سوية ونسير في سبيلها معا
فنفوز بالحياة الحقبة الحياة الخالدة
حياة الحب والسلام
حياة الحقيقة والوئام (١)
وقد نشرت الزنبقة قصيدة وقعت بتوقيع (فتاة مكلومة الفؤاد)
اول مقطع منها:

قد كان لي حبيب ، أجد قربه النعيم .
كان خليلي الودود الحميم ،
وأنيسي الوحيد الوسيم
اغتالته يد المنون في شرخ الشباب ،
وتركني أقاسي انواع العذاب ،
لفراقه الأليم
وباليتها قصفت حياتي معه ،
كي أكون مقترنة به في الرميم
ففي إحدى الليالي المقمرة ذهبت لزيارة ضريحه
كي اناجيه في الخلوة وأنا في سكون الليل البهيم .
اخذت له معي زهوراً كي افرشها على لحده -
فتذكرني بزهرة شبابه وأريج عرفه الكريم
وتناجى كاتبة هذا القول وتحنمه قولها او - نثرها المرسل بقولها :
ما أقسك ايها الموت الظالم

(١) المصدر السابق نفسه .

إذ فرقت بيني وبين حبيبي وهو في القبر نائم
ألا تقول لي ما كان ذنبي اليك؟
إذ صرعته ولم تحش لومة لائم!
ما الذي اقترفته يا لئيم
حتى جعلتني في عذاب دائم؟
ورثت لعنات الخلائق طرا،
وفعلك بالائم قائم
تخالف في كل لحظة وصايا الذي حرم القتل،
وفي المنكرات انت عالم
تنقض على الحبيب فتصرعه وتنزع قلب الحبيبية،
وانت فوقها كالصقر جائم
فاذا كنت ذا نخوة،

فاجمعي بذلك الذي قلبي به هائم (١)

ويتبارى الشعراء الضعاف في التحرر من الأوزان والقوافي، حتى ينتقل الشعر الى نثر مسطور على شكل الشعر، وقلما وجدنا فيه بعض القوافي والموسيقى والوزن، وفتح رفائيل بطي صدر مجلة الحرية التي يشرف على إصدارها ويكتب قائلا في إحدى مقالاته بعنوان الشعر المرسل: (أخذ الاستاذ الزهاوي في بغداد، يدعو في الايام الاخيرة الى ترك القافية في الشعر العربي، والاكتفاء بالوزن، وقد سمي طريقته هذه بالشعر المرسل، ونشر مقالات في جريدة السياسة البغدادية

(١) الزينة العدد ٤ الصادر في ١٥ تشرين الثاني سنة ١٩٢٢ .

وظهرت مقالات تؤيده وتخالفه... وكتبت كلمة في «السياسة» أقول له: إن هذا هو الشعر المنشور وإذا خلا الشعر من القافية فاحر به إطلاق الوزن ليكون ارساله صحيحاً (فيصبح حينئذ الشعر المنشور الذي هو شعر بمعانيه وألفاظه ولكنه ليس منظوماً. نخال أن النفس العصرية أصبحت تمج التقليد، وتكره القيود لذلك ترحب بالطرائق الجديدة السهلة نظير الشعر المنشور... » . (١) وعزز رأيه في المجلة نفسها فقال :

احتذى الاستاذ أمين الريحاني طريقة (وايت ویتان) الامريكى في اطلاق الشعر من قيود الوزن والقافية ، فابتدع طريقة الشعر المنشور في العربية وتبعه كثيرون لاسيما أدباء العرب في المهجر ، وقام في الايام الدكتور نقولا فياض ، من أدباء سورية المقيمين في مصر ، بمحركة فكرية حديثة فأوجد أسلوباً جديداً للشعر العربي ، الطلق من قيود القافية والوزن ، كذلك مع الاحتفاظ بالرقعة الموسيقية في اختلاط الأوزان ببعضها :

إن أكن أحبيت حباً خالصاً

فلقد أحبيت فاك

إن أكن أحبيت حباً مؤلماً - فهما

مقلتاك

إن أكن أحبيت حباً لا يطاق

فهو ذاك الخصر مشدود النطاق

وهو ذاك الجيد والقـد الرشيق

(١) مجلة الحرية العدد الصادر في أول تموز سنة ١٩٢٥ .

إن أكن أحببت حباً لا أفيق

منه ، فهو الجسدُ

ناعم يتقصد . (١)

وينشر قصيدة لمراد ميخائيل بعنوان (صلاة الشيطان) نقتطف منها ما يلي :

مثلاً ينتفض الطير لابتسام النور،

مثلاً تسبح النجوم فوق صدر المياه ،

مثلاً تتلمع رمال الشواطئ وقت الهجير

مثلاً تحن الازهار للمنحة العنبرية ،

مثلاً تهدأ دمدمة السواقي لقدم الظلام

مثلاً تهرب العصافير من وجه العاصفة .

هكذا حالات ذاتك الصغيرة صنعة يديك !

- فباركها لتتفادي في حبك

وقدسها لتتفاني للقيام حتى ترجع اليك

طاهرة نقية من أدران الحياة .

معروف الرصافي :

ثم نشر لمعروف الرصافي في نقده وتقريره مقالاً جعله على شكل شعره

في باب مجالي النقد والمناظرة بعنوان (الشيطان أمثاله وأشعاره (٢)) : وقد

سار الشاعر في تيار العصر ونظم في الطريقة ، وإن لم يقدر أن يتابع مثل

(١) مجلة الحرية العدد الصادر في ١٥ تموز سنة ١٩٢٤ .

(٢) كتب الرصافي في هذا النقد لكتاب (الشيطان) لمراد ميخائيل .

هذا الشعر فقد خلط بين النثر وبين الشعر المرسل وكان في الذي نظم كثير من
الوزن والقافية ، والمقال او القصيدة ترتبها حسب الشطر الواحد :

كتاب كريم

من شيطان غير رحيم ،

من رحيم غير شيطان ،

من إنسان في صورة رحمان

من رحمان في سلاح انسان

من انسان هو شيطان ،

من شيطان أنس ليس من الجن .

ينقش صورة اليقين في ألواح الشك

ويزج في مهاوي الشك

بالواح اليقين ،

تراه ساخطاً على الدين وهو به راض ،

ومحتقراً للعقل وهو به قاض .

يريد أن يجمع سلسلة النور الممتدة بين ظلمتي الازل

والابد ليجعلها قلادة في عنق الانسانية

بل يروم أن يصقل بمصقلة الهدى مرآة الحيرة

ليقدمها هدية

الى عروس الهوية الناسونية

ترى في صورتها الأولى بجانبها من المحاسن المصنوعة

والمعانيب المطبوعة

رقيم خطير

لشاعر حقير ،

نظيم وهو نثير ،

صغير وهو كبير ،

فيه خطاب مستطاب

ولكن لا يستطاب

ولا ريب فيه ولكن فيه بستراب .

* * * *

شعر لشاعر يقول بما يشعر ويشعر بما يقول ،

يريد أن يصوغ من شعوره الحي

تاجاً لجمجمة الحق البالية

وأن ينسج من نيران ذكائه المتوقد

أزاراً يستر به سوءة الأباطيل البادية

وهيئات ثم هيئات لما يريد .

لقد آمنت بك أيها الشيطان

إذ لم أر قبلك انساناً قال بأنه شيطان

ولكن كم في الناس من شيطان يزعم

إنه من ملائكة الرحمان

أما أنت فيجازع

أما غيرك فخداع

أما انا فأقول :

لو كان للشيطان معنى غير ما الانسان

ما آمنت بالشيطان يا مراد ميخائيل !

أنا اول انسان

يؤمن بأنك شيطان ،

وآخر شيطان يكفر بأنك انسان (١)

وينشر في المجلة قصيدة للاستاذ ابراهيم عبد القادر المازني ويسميتها

الشعر الطلق بعنوان «محاورة قصيرة» (مع ابن لي بعد وفاة امه) :

لم أكله ولكن نظرتي

سألته أين أمك ؟

أين أمك ؟

وهو يهندي لي على عادته

مذ توت - كل يوم !

كل يوم !

فانثني يبسط من وجهي الغضون

ولعمرك كيف ذاك ؟

كيف ذاك ؟

قلت لما مسكت وجهي يدها

(١) مجلة الحرية المدد الصادر في ١٥ شباط سنة ١٩٢٤ .

أترى تملك حيلة ؟

أي حيلة

قال : ما تعني بهذا يا ابتاه ؟

قلت : لا شيء أردته

ولثمته . (١)

وتنبري مجلة اليقين (٢) لصاحبها محمد الهاشمي وتنشر قطعة من الشعر الجديد لم يذكر اسم كاتبها وأعتقد انها لمحمد الهاشمي نفسه ، لأنه اخبرني من قبل أن ما كان قد نشر في مجلته بلا توقيع فهو له إلا ما ندر . وقد بدأت المجلة بنشر نماذج من البند العراقي في عددها الأول وروت عن الجوهري : إن البند حلقة بين النظم والنثر ولعل ابن دريد هو اول من أراد أن يفلت من هذا القيد فما تمكن وتحدثت عن أصول البند وانه عراقي وان من أولع به هم الاخرس والعشاري ومحمد سعيد الحلي وأبن الخلفة ؟ . ونشرت في أعدادها بنوداً منها بند ابن الخلفة الذي يقول فيه :

أيها اللأمم في الحب

دع اللوم عن الصب

فلو كنت ترى الحاجبي الزج (٣)

فويق الاعين الدعج

او الخد الشقيقي

(١) ابراهيم عبد القادر المازني - مجلة الحرية العدد الصادر في ١٥ ايلول ١٣٤٢ هـ

(٢) مجلة اليقين العدد ٣ السنة الثانية ١٩٤٢ ونشرت في جريدة العراق .

(٣) كذا .

او الرقيق الرحيق

او القد الرشيق

الذي قد شابه الغصن اعتدلاً وانعطافاً (١)

ويستمر في نشر جملة من البنود في اعدادها .

وتنشر الجرائد العراقية انواعاً غريبة وأنماطاً عجبية من هذا الشعر

الجديد الغريب الانماط متأثرة بالريحاني المتأثر بالشعر الامريكي ، الذي اعتبره

رفائيل بطي زعيم مدرسة الشعر الجديد في العالم العربي ، فنجد في مجلة الصحيفة (٢)

قطعة بعنوان (ايها الفتاة) :

ارفعيه !

مزقيه !

واطرحيه !

بين احجار القبور

وانهضي سافرة الوجه وغني :

هكذا كان السفور

* * * *

ليس عاراً

او شناراً

أن يجارى

سير تيار الدهور

(١) اليقين العدد الاول ١٦ نيسان ١٩٢٢ .

(٢) مديرها حسين الرحال والمحرر مصطفى علي لاحظ العدد الثالث السنة الاولى ٦ شباط

١٩٢٥ والقصيدة للشاعر بسيم الذويب .

فارفعي البرقع عنك واطرحيه

تحت نيران القدور

* * *

بل دعيه !

غسله !

وادفيه

بين طيات التراب

ثم لا تبكي وقومي بارتياح

هكذا مات الحجاب

* * *

إن سئلت

من دفنت ؟

فأجبت

إنه نعش النقاب

سيقولون عليه رحمة الله فصلي

واقراءى ام الكتاب

* * *

ظلموك

سجنوك

زوجوك

شر زوج في الوجود

قائلا زوجي لا تخرج إلا

يوم تدعوها اللحد

* * *

قد كفانا

يا نسانا

ما لقينا

من خمول وجود

فلندع كل قديم ! لا تقلد !

إننا لسنا قروء !

ونشرت مجلة الصحيفة قصيدة اخرى بعنوان (اشتكي) وبتوقيع سمير الكواكب وهي قصيدة جيدة المعنى والأسلوب ، وفي أكثرها تفاهيل تكسبها موسيقى ، وكان ناظمها نظر الي قصيدة تسبب عريضة :

كفنوه .

واسكنوه

هوة اللحد العميق .

فهو شعب ميت ليس يفيق

التي منها :

أشتكي : اشتكي لكن الى من اشتكي ؟

أخبرني : أخبرني انت يا نفس أخبرني !

وأخبرني : وأخبرني قلبي الكسير المشتكي

* * *
أشتكي للريح هبت في السحر ؟

لرعود السحب ، ام فطر المطر ؟

لخزير الماء وأغصان الشجر؟

* * *

أم لأمواج البحار الهائجة
فاتركي : اتركيني بين أحزاني اتركي
أشتكي : أشتكي لكن الى من أشتكي

* * *

كلها تشكو : فتغريد الطيور ،
وخرير الماء ما بين الصخور ،
وحفيف السرو او موج البحور ؟
كلها أصوات حزن شاكية .
فاملكي ، أملكي روعك يا نفس املكي !
اشتكى : اشتكى لكن الى من اشتكى

* * *

اشتكى من سوء اخلاق البشر ؟
أشتكى من جور أحكام القدر ؟
اشتكى نفسي ! فهل منها مفر ؟ (١)

وتنشر جريدة الاستقلال قصيدة بتوقيع أبي سلمى وقد وضعت في باب

« الشعر المرسل » فيها :

نسمة الصبح اذا زرت الشام

(١) مجلة الصحيفة ٢١/٤ شباط سنة ١٩٢٥ .

سحرا

فاخشعي واهدي الى ربي السلام

عطرا

والثمي تربتها فهي نديه

قد غدت من دم أبنائها رويه

هي ارض المجد مشوى الشمم

يا أخلاي قفوا وابكوا الربوع علنا (١)

وقصيدة لخضر صالح بعنوان « جهادي في بلادي » وقد وضعت تحت باب

« الشعر المرسل » وهي :

قباتي شعبي وديني وطني

وبنو قومي عمادي وبلادي معبدي

رايتي انت شعاري جددي الماضي وعيدي

وروي أيام الرشيد

أيا بغداد لا تشكي هموماً

ففي الايات ، صبراً ، قال رب

دعي الاقدار ترميك بسهم

لعل الدهر يأتي بانقلاب (٢)

وقصيدة (ملدحة) بعنوان « الى فتاة الشرق » وقد وضعت تحت باب

(١) جريدة الاستقلال ٨٢٠ السنة السابعة ١٠ اغسطس ١٩٢٦ .

(٢) جريدة الاستقلال ، ١٤٧٤ ، ٧/١٠ أيار ١٩٣٠ .

« الشعر المرسل » وهي :

كفكفي الدمع تعالي

في الليالي

تحت اشجار النخيل

واصفحي غني قليلا

ودعيني

أتناسى ما مضى

من سويغات اللقاء

عهداً اقسمت به لا عهدي الآن سواه

أواه

ارحميني

وسقامي لأقسامك الهموم

فاليك الآن اصبو ولك الحب يدوم (١)

وينشر بسم الذويب قصيدة في المزمارة سنة ١٩٢٩ منها :

صرعني

قتلتني

إذ رميتني

بسهام من عيون

ناعسات ساحرات فاتنات

(١) جريدة الاستقلال ١٤٧٣/١٠/١٦ أيار سنة ١٩٣٠ .

جالبات للمنون
هي ضيفهم
ليس ترحم
قلب مغرم
فهي للظلم تجيز
لقد احتلت وأيم الله قلبي
كاحتلال الانكليز
ضاع قلبي
تساه لي
أي وربّي
بين هاتيك النهود
فتلستها عليّ أرى ثم -
لما ضاع وجود
وبخنتي
إذ رأيتني
كدت أجني
ثم قالت يا عنود
لا تمد اليد للنهد فقد
جاوزت والله الحدود
فندمت

إذ لمست
ثم قلت
انت فقط العالمين
بجمال ما حوته غير حور
قاصرات الطرف عين
فارحميني
لأنيني
وامنحيني
قبلة من ذي الشفاه
علمها تغدو شفيعي عن ذنوبي
يوم يلتقاني الآله
فالتفاني
يا حيأتي
في صلاتي
لك يا ذات الدلال
إنما الله كما قالوا - جميل
ومحب للجمال

ويصدر رفائيل بطي مجموعة الربيعات فيها من الشعر المرسل يقتطف منها

امين الريحاني في كتابه «ملوك العرب» (١) جزءاً منها وقال عنه : إنه شاعر، وعامل في السبيل الذي فيه التحريم والتكفير وسيكفرونه بلا شك تكفيراً مضاعفاً لأنه يسيء الى اصحاب العقائد والآداب العتيقة إساءتين في الفكر وفي الطريقة ، أجل هو من اعضاء الشعر المنشور وقد قال في قصيدة له عنوانها (النابغة) :

وجدتني في مجاهل أرض كل ما فيها يثير الدهش والذهول
ورأيت نفسي مكبلاً بسلاسل التقليد ، سجيناً في قفص
الأوهام ، أسير عادات ، ورهين أوصاب
حطمت السلاسل ، وكسرت القيود ، وقوضت جدران الوهم
وانعتقت مما درج عليه اجدادي
فصاح اخواني وضجوا
وأعولوا وبكوا

راوني خارجاً عن سجنهم ، أتمتع بحرية هم منها محرومون
شاهدوني أرفل بصحة وسلامة ، وهم في الآلام يتعذبون
أولئك الذين يتخذون من جهل الشعب علمهم ، ومن ضعفه قوتهم .
ونشر أنور شاؤول سنة ١٩٢٩ في جريدة العراق تحت باب «الشعر المرسل»
هذه القصيدة :

اسمعي

أنصيني

أسعيني بالوداد

(١) ملوك العرب ص ٣٩٨ ج ٢ طبع سنة ١٩٢٥ - بيروت .

قبلما يصحو فؤاد
أسكبي في القلب حبا
سائغاً مثل العسل
سكراً مثل الأمل

ثم اختتم القطعة بقوله :

ولتكوني مثلما قد كنت او سوف أكون

مثلاً للعاشقين

وإذا ما غبت يوماً فليكن طيفي بجنبك

باسماً أحلى ابتسام

ناثراً زهر السلام

عازفاً لحن الفراق

منشداً : يا حبذا لو تخذ الروح بقربك (١)

ولم يقف تيار هذا الشعر الحر ، او « النثر المشعور » كما يسميه الدكتور مصطفى جواد ، بل مضى في طريقه ، وظهرت منه قصائد ومقطعات في مختلف المطبوعات كالسكلام وبعداد والاستقلال والعراق ، ومن هؤلاء مراد ميخائيل ، وهو أسوأ من رأيتيه ينشر في هذه الفترة ، من ناحية الاسلوب والمعاني والموسيقى ، كقوله من قطعة له عنوانها « دفتر الحب » :

ارفعي عينيك نحو السماء إنها « أنت »

هي غامضة كابتسامانك ، شاردة بنجومها كمنظراتك ،

(١) جريدة العراق العدد ٤/٢٨٨٥ ت الأول سنة ١٩٢٩ .

رائعة كسما عينيك ، عميقة كخيالتك ، شاهقة كأحلامك (١)
هادئة كنفسك .

ونجد قصيدة لمير بصري في جريدة العراق وهي خير من (دفتر الحب)
فنجد فيها وزناً وموسيقى ، وهي :

نبئوني ، خبروني أين تحظى بالرقاد
نفس حر قد أقامت في سهاد أبدأ
ذكر عهد قد تولى في صفاء ووداد
حين كانت حلف جهل ليس تدري كدا
ليس للماضي معاد . . . والتمني لا يفيد
إن من يلتقي سلواً في الكرى فهو السعيد (٢)

ونجد الموشح أثراً واضحاً في تلك الفترة ينظم وكأنه رد فعل على هذا
المنشور في الجرائد فنشر الاستاذ عبد الستار القرغولي قصيدة في ذكر شعبان :

الكفاح ، سيجعل الآمال بيضاً ، صفاح
والجراح ، اذا همت فوق الربي ، والبطاح
فالصفاح ، سوف تواسيها ولدن ، الرماح
فاغربي ، يا فئة الشعر ولا ، تقربي
واسكي ، دمعاك من فتك بني ، يعرب (٣)

-
- (١) جريدة البلاد العدد ١١/١٢٩ نيسان ١٩٣٠ .
(٢) جريدة العراق ٣٤١٣ / ٢٠ نيسان ١٩٣٤ .
(٣) جريدة البلاد ٨/٧٠٦ / ٢٦ ت ١ سنة ١٩٣٦ .

وقد نشرت جريدة بغداد عدة مقطوعات فيها محاولة لضبط القافية منها
قطعة لعبد اللطيف السامرائي :

لنفترق يا صديقي

قبل أن تسوء العاقبة وتفسد النهايه
كنا قبلا . . . قلوبنا متآلفة متآخيه
فثارت بين أجنحتنا عاصفة الشقاق

فحصل ما سبق

وستتفرق، ونبتعد كل يجد هدفه

لا وفاق بيننا ولن تجمعنا جامعه (١)

ونجد في الجريدة نفسها قطعتين لطارق عبد الحافظ نور الدين فيها
من الوزن والموسيقى ما يضاهي احسن الشعر الجيد الحر والسكن يظهر ان
الناظم لم ينشر غيرها وهما :

سحر الجمال

كعب في وجنتيها

فجر أحلام

ينام

رب تقبيل يزيد

في احمراره

(١) جريدة بغداد ١٩٣٧ .

دمعة من مقلتيها

لهب آمال

يضام

بجمال لا يسير

في أواره

كعب جسمها زبد البحار

ففيها الضياء وفيها دماء

تغرها الحلو الجميل كدنيا

من السحر خصيبه

والقصيدة الثانية بعنوان (قبلة) منها :

شفتك كأس خمر الجمال

ففيها خيال

لموت الحياة

وعيش الممات

وقلبك في دمعة كالشفق

ففيه انهرق

ضلال الهوى

وطيف الجوى

ولكن قلبك في ثغرك

يلوح كسحرك

عند ابتسامه

ولم تكن الصحف العراقية مقصورة على نشر الشعر العراقي فقد وجدناها
تنشر لالياس أبي شبكة قطعة بعنوان اسطورة :

كان ما كان ، في ربي لبنان
شاحب كالطيف أهيف اسمر
ضامر كالسيف او أضمر
حذر الرؤيا على عينيه
وارتعاش الحب في فمه
عرق الوحي على صدغيه
فاض من دمه
قلبه ، ما أبعد الآثام
عن هواه ، عن لياليه
والهوى إن راح يخفيه
حدثت عن سره الاحلام وأغانيه
والحور سهران موهن الخصر
والقمر سكران في النهر (١)

وقد نشر الأستاذ كمال ابراهيم بمناسبة ذكر ياسين الهاشمي قطعة سماها الشعر
المرسل هي :

في خشوع العابد ، ورهبة ، الموت والتأمل الحزين

(١) الكلام العدد الأول سنة ١٩٣٨ .

وقفت بين قبر البطلين ياسين وصلاح الدين
فيا للبطولة مجتمعة في مكان واحد
وقفت في صمت وذهول
لا أجد ما أقول
سكت اللسان ، ونطق القلب وفاضت على النفوس شؤون الشجون
معان وصور تبدو للعين وتزول
كأنها رفوق الخيالة ثم يحجبها الغيب عن العيون
أشباح تموت ، وأشباح تحيا من جديد
يرسلها الماضي القريب والبعيد (١)
ونشر حسين تيمور قطعتين في جريدة العراق من الشعر المنشور الأولى
بعنوان (ابن الراعي) هي :

عندما يلفظ الليل أنفاسه الأخيرة
تنففس نسيمات الفجر
تتعانق الأغصان
تتجاوب قبلات الصباح
ومن بين جذوع عمالقة النخيل
من وراء التلول
تنفلت الغزالة
تبعث النور والحياة

(١) جريدة الاستقلال ، عدد خاص عن ياسين الهاشمي رقم ٣١٠٥/١٨/٢١/٢١ ك ٣٨٢ .

ليوم جديد وكفاح جديد (١)

ونشر قطعة أخرى في الجريدة نفسها عنوانها (حفار القبور) منها :

وجوه جامدة

تعمل بنشاط

بالنور والظلام

دون أن يعترها الكلل

او يستوي على نفوسها الملل (٢)

ونشرت الجريدة قطعة بعنوان (ضحكة القدر) بتوقيع (أنيس) هي :

لأشد ما أمقت ضحكة القدر

واحتقر سلاحه ، سلاحه الذي يفتك لكنه لا ينتصر

ولا يسود

أنا لا أخاف القدر

ولا أهاب غدره

ولا أخشى فتكه

لأنه ليس قوة تنتصر ، او هيبة تخيف إنما غدر

يفتك وحميلة تطو (٣)

وإحصاء ما نشر في خلال ربع القرن الماضي ليس أمراً يسيراً وأنا هنا

أذكر مسيرة تاريخية للشعر تقيد الباحثين وأراني فتحت الطريق أمام غيري

ممن يتسع له الوقت والقابلية ومهدت السبيل له ليسير على طريقي

(١) جريدة العراق ٥٣٧٠/١٨/٥ تموز ١٩٣٨ .

(٢) جريدة العراق ٥٦٥٣/٢١/٣١ ت ٤٠/١ .

(٣) جريدة العراق العدد ٥٤٧٥/١٩/٤ ت ٩٣٨/٢ .

وقد حاولت أن أورد أكبر قدر ممكن من النصوص مما لم يألفه القارىء
في دراساتي .

ملاحظة وخاتمة :

من الاستقراء لما مرّ من النصوص نجد أن أول محاولة للتجدد هي التي قام
بها الزهاوي في ديوانه « الكلم المنظوم » عندما نشر قصيدة حوت ستين بيتاً ،
ثم عاد فنشر منها ستة وعشرين بيتاً في ديوانه سنة ١٩٢٤ ، لكنه لم يستمر . لأنه
ما كان يعاني من الحيرة او القلق ولم يصطدم في أمنيات نفسه ليثور ، فالمحاولة
كانت في قصيدة واحدة بدل قوافيها فقط مع المضمون القديم وقلده في المحاولة
شكري الفضلي وبزه بقصيدته فهي في موسيقاها اقرب الى الذوق العربي وفي
معانيها اتجاه في التجديد

وبقيت حركة التجديد محدودة مع أن الجرائد كانت تنشر لنقولاً فياض
والملازمي وغيرهم من شعراء البلاد العربية في المهجر وكنا نجد في شعر قسم منهم
مضامين ناجحة وأطر تجديد واضحة .

ومن المحاولات الناجحة في الشعر في العراق شعر طارق الحافظ وبسيم
الذويب فقد كان كل منهما يحتذي حذو الشعر المهجري ويحافظ على المعاني
والموسيقى والذوق العربي .

فما سبب ظهور هذا الشعر في العراق ؟ او لماذا طرأت هذه الحركة على
الشعر العربي في العراق ؟ ولفهم أسس الأدب لا بد أن ندرس العوامل النفسية
التي تؤدي الى النظم او النثر لأن الثورة لا تأتي إلا بعد رجة خارجية تهز
النفس الانسانية ، وتأتي مثل هذه الرجات من الاخفاق الروحي ، نتيجة

خسران الأمة الحرب او ضياع المثل والأمانى ، خاصة عند الشباب وقد كان من إخفاق نابليون في حروبه ظهور الشعر الرومانتيكي في فرنسا لأن الشعراء الشباب أرادوا أن يعبروا عن احزانهم وآلامهم لما ضاعت احلامهم في الانبراطورية .

والعراق قبل دخول الانكليز كان بلداً خامداً مستقراً هادئاً والحضارة محدودة ودبيب الحياة يكاد لا يحس به ، ومظاهر الحياة الفكرية والاجتماعية سائرة على وتيرة واحدة من قرون ، لأن العراق كان بعيداً عن التفاعلات الخارجية ومعالم الحضارة الجديدة في أوروبا .

وشعراء القرن التاسع عشر لا شغل لهم إلا النظم في امور محدودة ومضامين تمثل حياتهم الهادئة التي يقضونها في المقهى لاسماع حكايات الف ليلة و ليلة وعنترة بن شداد ليلاً والعب بالترد والمنقلة وتدخين (النار كيلة) تزجية للوقت . او الذهاب الى ديوان من دواوين الأغنياء او الوجهاء وقضاء الوقت في الحديث المحدود الأفق والاشاعات الخاصة . ومنهم من كان يذهب الى المسجد للصلاة . فالحياة محدودة بمحدود مرسومة لم يخرج عنها كل الجليل وما كان الحكم خيراً من الرعية . فما أثروا في حياة العراق الاجتماعية والفكرية تأثيراً يدعو الى التجديد والثورة على القديم .

ودخل الانكليز العراق بعد حرب ضروس طاحنة ابتلى بها أبناء العراق ومات منهم من مات ولم يعد منهم من ذهب الى جبهات القتال ، وخسرت الدولة المسلمة حربها ضد الكافرين فاهتزت المثل ، وضاعت القيم ، وفقدت الثقة بالحاضر الذي كان يعيش فيه الشعب . لأن الانكليز يختلفون كل الاختلاف

عن العثمانيين الذين كانوا قريباً من العرب . أما الاستعمار الانكليزي فقد
ظهرت معالمه المادية واضحة للعيان في القوانين وفي طراز اللباس وفي حياتهم
الاجتماعية ، ومعاملتهم لأبناء الشعب .

ظهرت السيدة الأوربية سافرة تسير مع الرجل ، وتصحب كلبها معها وكان
لها سلطان ونفوذ ، والعراقي يمنع ظهور النساء ويستقذر الكلاب ، وراها ترتدي
الملابس البعيدة عن الحشمة وهو المحتشم المحافظ ، رأى اختلافاً كبيراً في طراز
حياته عن حياة المحتل . فهل يحافظ على طراز حياته وتقاليده ويتمسك بها ؟
هل يجاري المستعمر في أعماله التي لا يقرها ضميره الاجتماعي ؟ . إن الاستعمار
قوي وهو ضعيف فهل ان مظاهر حياة المستعمر صيرته أقوى منه ومن الدولة
العثمانية الترامية الأطراف ؟

أخذ العراقي يعيد التفكير ويعمق في الرأي أكثر من مرة عندما رأى
المظاهر المادية الجديدة من اسلحة مختلفة ومخترعات حديثة ، كالبنادق والطائرات
والسيارات والقطارات التي جاءت مع المستعمر أخذت تكثر وتنتشر . . .
ولم يتركه المستعمر فقد فرض عليه قيوداً جديدة وراقبه في حياته اليومية وعاقبه
على المخالفة بالجلد والحبس والاهانة . . .

وبدأ مظهر آخر في الحكم مظهر الدولة الجديدة ، فقد برز وزراء ونواب
وكونت مجالس نيابية . . . إنها امور أخذت تجري سريعاً أمام عينيه ومعالم
حياته التي ألفها تتغير سريعاً . . .

ثم ثار العراق سنة ١٩٢٠ وأبلى في ثورته وقدم التضحيات لكن هذه
الثورة أخفقت واخفق امل العراق بالاستقلال وأمله بالوحدة العربية والحرية

كما ضاعت آمال أولئك الذين حسبوا ان الدولة العثمانية ستعود ، فران اليأس على الجميع وتلاشى الأمل الحبيب واختفى أفق الاماني المشرق .

كان هناك جيلان ، الجيل الذي نضج عقله واستوى جسمه وقويت شخصيته فتقبل الأحداث بقوة وصمود وعاد الى الماضي الاسلامي والعربي يستمد منه العون والقوة والثبات فينظم في تحليده وإعادة مجده ، ويدخل في شعره المحترعات الحديثة والنظريات الجديدة والحضارة الوافدة الى بلده محافظاً على الاطار ، وحاول أن يحشر الجديد في المضامين الشعرية .

والجيل الشاب الطالع يتوقد حماسة ، وينمو سريعاً لم تستكمل بعد أدواته ، ولم ينضج عقله ، وتتوضح أفكاره . أراد أن يكون شيئاً ، اراد أن يعبر عن رغباته .

وظهرت جماعة ما كان لها مجال في ممارسة الادب ونظم الشعر ، لأن المجتمع لم يكن ينظر اليها نظرة الارتياح والتقدير ، وكانت تهيم في كلمة الشاعر وما تسبغ من نعوت وأوصاف وفي هذا العصر الجديد الذي ضاعت فيه المعايير ، وتاهت في دروبه المثل ، ظهر شعر جديد ومحاولة لأساليب جديدة وأنماط حديثة لم يألها الشعر العربي .

فهل كانت هذه الحركة رد فعل للشعور اللاوعي لهؤلاء لقبول الحضارة الجديدة والاعجاب بالمستعمر والأخذ منه والافتدائه ؟ لكي يحصل اللامة . ما حصل المستعمر من نصر ونجاح بعد أن اصابها الخذلان وجرعها مرارة الاخفاق وذل الاستعمار ؟

هل كانت دعوة التجديد قبول الواقع والرضا بالمستعمر ؟ لأن العصر عصر

تمدن وتطور وتقدم !! فما عادت للتقاليد قيمة ، وللدن أهمية ، وللقومية كبير طائل ؟ لأنه عصر ثورة على التقاليد والدين والقومية فجاءت دعوة السفور والأخذ بالمدنية الجديدة وتغيير التاريخ الهجري والساعة الغروبية ، وتطبيق الشريعة الاسلامية . وحل محلها التاريخ الميلادي والساعة الزوالية ، وقانون العقوبات الهندي . . . أليس من اختلال موازين المجتمع أن يكون من الأحكام اولئك الذين احتقرهم المجتمع ؟ ونبذتهم الأكثرية ؟ إنها أسئلة تحتاج الى كثير من الاجوبة ولكنها كانت عميقة الاثر في النفوس . . .

وما الشعر الجديد إلا وافد مع هذا الوافد الجديد الكثير . . .

كانت حركة الشعر بين مد وجزر ، ودخلت الى قاموس الادب اسماء كثيرة ، وكثر نظمه عندما جاء الريحاني في زورته الاولى ، وبدأ أثر جماعة ابولو يظهر بين الشباب الجديد ، وانتشرت الترجمات للشعر الغربي الذي كتب على شكل الشعر ، وهو بعيد عنه في الروح والوزن والموسيقى ، وطفحت جرائد هذا العصر بأمثلة منه .

الحرب الثانية :

وتقوم الحرب العالمية الثانية بعد أن مر العراق بأحداث في حياته السياسية ، وبعد أن ضاعت فلسطين ، وبعد أن قامت عدة ثورات في العراق لم يكتب لها النجاح ، ويدخل الانكليز العراق مرة اخرى بوجه سافر ، بعد أن أخفق الجيش العراقي سنة ١٩٤١ ، وتظهر الجيوش الانكليزية وتوابعها في شوارع بغداد ، ويطلع جيل جديد يسوؤه هذا الامر وتصطم أمانيه وأحلامه بوجود المستعمر ، وخسران شعبه وإخفاق ثوراته في دنيا العرب ، فأراد هذا الجيل

أن يعبر عن مشاعره ، وبثبت وجوده خلال الادب والانتاج الفكري عامة ،
ولكن في إطار جديد ومضمون جديد ، إذ لم يعد يرى المضمون القديم صالحاً ،
ولم ير الشكل الذي ألفه قديراً على حمل أفكاره وبث نوازه ، أراد أن يقارع
التيارات الجديدة التي غيرت المفاهيم العربية والقيم الروحية ، والمثل الاسلامية .
فقد اهتزت مثله فارتج وجدانه وضميره فأنتج أدباً قلقاً روحياً . أراد أن
يتخلص من كابوس القديم والمثل الادبية العتيقة ، لأنه لم يجد لها قدرة على التعبير
العميق عن مشاعره ، لأنها لا تستجيب اليه ، وتؤمن رغباته العارمة ، لمواجهة
واقعه الجديد ، وانفعالات نفسه القلقة ، فقد اتسعت آفاق الادب العربي ،
وتفتحت على عوالم رحبة من الفكر العالمي والآداب الانسانية . . . بالترجمة او
بالدراسة بعد أن كثر الذين يعرفون اللغات الاجنبية وغمرت دور النشر السوق
بالترجمة . . . جاءت آداب الغرب وقد لفها الضباب وشملها القلق والضياع ،
فقد اهتزت المثل في اوربا في الحرب العالمية الثانية ، كاهزت الحرب مثلنا فكانت
كوارث اوربة تجدد صدى في نفوسنا ، وتحزبنا لدول رأيناها تحارب عدونا . . .
فأعجبنا الادب الاوربي وسرنا بتياراته الحديثة . . .

جاءت هذه المثل الغربية فتقبلها قسم من الشباب واعتنقها لأنه وجد في
اعتناقها سلوى عن الحزن ، وتخلصاً من القلق الروحي في وطنه ، والضياع القاتل
في الحياة الجديدة التي يحياها ، أراد أن يعيش دينا لا تسير على التقاليد التي
جرت عليه الدمار والكوارث . . .

أليس في هذه الآراء تجديد لواقعه المر؟ أليس هذه الآراء جاءت من شعب
اقوى من شعبنا ، فلا بد أن تكون قوية الاركان ، رائعة المضامين ، ولا بد إذن

من التجديد . ولم يكثرث الجيل إن كان التجدد للاحسن او للاسوأ ، المهم التخلص من قيود مجتمعه، ومثل شعبه، بمخاً عن العزاء والسوى والابتعاد عن الموروث المؤلف . وما كان في الحرب العظمى الاولى جاء في الثانية ، غير ان الثقافة الواسعة وانتشار الكتب خلقت جيلا اكثر عدداً من الجيل الماضي ، الذي اعتمد على اورية شرقاً وغرباً في الأخذ بالمضمون . فكانت بداية عهد جديد للشعر الحر . . وهذا الجيل اكثره لم يتسلح بعمق الثقافة العربية مثل الجيل الماضي ليتق من الزلل ، ويحافظ على الاصاله العربية ، والجرس الموسيقي العربي .

الجيل الجديد أراد ان يثور فنظر الى القافية فوجدها عبثاً ثقيلاً ، لأن محفوظه من الشعر العربي محدود ، فلم يحفظ دواوين الشعراء كما حفظها الجيل السابق ، فرأى ضرورة التخلص من القوافي . . ثم جاء فوجد أوزان الخليل ، ومنهم الكثير من لا يعرف حتى هذه الاوزان وموسيقاها ، فهده فكره الى التخلص من هذه الاوزان ومن الموسيقى . .

أراد ان يغير الاطار ويبدل المضمون ، ولم تكن له مادة قوية يضعها للبناء الجديد ، فقلد ما وجده في كتب بيروت المترجمة بأسلوبها الركيك وذوقها الممجوج واتجاهها التجاري .

ونحن لا ننكر على الشعراء التجديد وقد سبق ان جدد الاندلسيون في الموشح حتى اسفوا في هذا التجديد ، وخرجوا عن عمود الشعر واختلفت التفعيلات وخرجت عن الاسلوب العربي أما المضمون ، فن الضروري أن يبدل بادخال عناصر جديدة تحافظ على إشراقه الاسلوب او يستحدث شيئاً جديداً رائعاً خالداً ، فهل وفق اصحاب هذه الحركة في العمل والتطبيق ؟

وفي القرون التي سميت مظلمة حاول الشعراء ابتداع نوع جديد من الشعر
سموه البند وخرجوا به عن المألوف ، لكن المحاولة بقيت في الاطار القديم
ولم تتطور ولو تطورت لفاق شعرها الشعر الحر ، لأن البند فيه موسيقى ولا
ترفضه الأذن العربية .

الثورة الجديدة أرادت ان تتخلص من الشكل والمضمون العربيين القديمين ،
لأن الحياة في الواقع العربي الجديد اختلف عن قديمه ، فاتخذ الشاعر التفعيلة
الواحدة بدل الشطر الواحد ، ولكن أكثر هؤلاء لم يعرفوا للتفعيلة وزناً لأنهم
لا يملكون أذناً موسيقية . . وفي المضامين أراد الشاعر ادخال كلمات وفلسفات
جديدة واصطلاحات اوربية جديدة فهبط لأنه لم يقدر أن يرسم في انتاجه
عاطفته الجائعة وتجربته الجديدة . . إذ ليس من السهولة واليسر إبراز العقل
والعاطفة معاً إلا لمن كانت أدواته قوية متماسكة . . ولما أراد اخضاع العقل
والعاطفة لفلسفة فهمها سطحياً ضاعت منه الموسيقى وفقد الوزن . والموسيقى
ضرورة من ضرورات الفن ولها اعلى الصلة في الفكر وربطه في الوجدان
الحساس المرهف ، ولن يكون الابداع والخلق إلا خلال وحدة متسقة
بين الوجدان الحي والفكر الوقاد .

بدأ الحركة جماعة من الشعراء محاولين ، بعد الحرب العظمى الاولى ، ايجاد شيء
جديد . ثم جاء بعد الحرب الثانية بدرشاكر السياب ونازك الملائكة واعاد المحاولة ، وهما
احسن من نظم في هذا الشعر . حاول الشعراء ان التجديد في مضمون الشعر العربي ،
وسارا في الشكل العام للقصيدة على طريق الادب المهجري والادب الامريكى على
الخصوص ، فقد كان بدر شديد الإعجاب بالادب الانكليزي والامريكى وكان يعجب

بالشاعر الامريكى ت . س . اليوت وكان يقرأ باللغة الانكليزية ما ترجم من اللغات الاوربية ، ولو تتبع دارس الأدب هذا الأثر لوجده واضحاً ، ويمكن للنقاد أن يبحثوا عن الكتب التي قرأها ليجدوا أثرها واضحاً في شعره ، وقد كان في قسم اللغة العربية لكنه انتقل الى اللغة الانكليزية وأكمل دراسته فيه .

أما نازك فهي أصيلة في ثقافتها العربية وفي فهمها للادب العربي ، وزادت ثقافتها بالثقافة الامريكية ، فجمعت بين الثقافتين او بين التيارين ، في اسلوبها جزالة ورسانة ، وفي شعرها وعي عربي ناضج ، أرادت أن تجد فرسمة لنفسها طريقاً واضحاً ، وسارت في درب واضح المعالم . أما بدر فلم يخط لنفسه هذه الخطة ، ولم يسر في طريق مرسوم ، وحافظت نازك في شعرها على أساليب العربية فهي قريبة من عمود الشعر وتعي ما تريد .

أما بدر فقد جدد معتمداً على اذنه الموسيقية التي كانت تخونه ، فخرج كثيراً عن المفهوم العربي للشعر ، وسار دون وعي في طريقه لذلك فالذين يقلدون بدر شاكر السياب أكثر من مقلدي نازك ، لأن مجال الحرية واسع الابواب في طريقته وأدبه .

فهل كانت دوافع هذا التجديد اخفاق الآمال العربية ؟ ورد فعل لبروز القومية العربية ؟ أم انها مرحلة من مراحل التطور الحتمي للشعر العربي ؟ كل هذا الدوافع عملت عملها في نشر فكرة الشعر الحر . وقد أساء الى حركة هذا الشعر ضعاف الثقافة والتفكير . . فأضاعوا معايير الشعر نفسه ولم نعد نرى غير سطور ضبابية الفكرة ترص ، مهلهلة النسيج ضعيفة التراكيب . . فاستحال الشعر الى نثر وسموا النثر شعراً ، لأنهم لم يكونوا بقادرين على فهم

الموسيقى وتدوقها ، ولم يطلعوا على النصوص العربية الاصيلة اطلاقاً كافيًا ، ولم يكن الكثير منهم يملك الموهبة الشعرية فكان شعرهم خلطاً غريباً عجيباً كثرت فيه الفواصل والنقط وعلامات التعجب وكأنما الشعر بكثرة هذه الفواصل ؟ وكان حرياً بهم جعل القوافي فواصلهم في الكتابة لأن الاصلاح يجب أن يأتي من داخل الشيء ومن روحه وحاجته ، لا من الخارج .

وأول ديوان صدر لبدر شاكر السياب في القاهرة سنة ١٩٤٧ « ازهار ذابلة » الذي وجدنا فيه قصيدة قال عنها (هذه القصيدة محاولة جديدة في الشعر المختلف الاوزان والقوافي وهي كأغلب الشعر الغربي - وخاصة الانكليزي - تجمع بين بحر من البحور ومجزوآته اي ان التفاعيل ذات النوع الواحد يختلف عددها من بيت الى آخر) ومن القصيدة :

هل يكون الحب ابي

بت عبداً للمتمني

أم هو الحب اطراح الأمنيات ؟

والتقاء الشعر بالثرع ونسيان الحياة ؟

واختفاء العين في العين انتشاء

كانثيال عاد يفنى هدير

او كظل في غدیر (١)

وقدم الديوان رفائيل بطي وتحدث عن القصيدة وقال عن الشاعر انه (يحاول جديداً في قصيدته - هل كان حباً ؟ - فيأتي بالوزن المختلف وينوع في القافية

(١) ازهار ذابلة - القاهرة ١٩٤٧ ص ٦٧ وقد أرخ القصيدة في ١١/٢٩ ١٩٤٦ .

محاكاة الشعر الفرنجي ، فعسى أن يعن في جرأته في هذا المسلك المجدد (. . .)
فهل كانت صدفة أن يقدم رفائيل بطي لبدر شاكر السياب أم أن السياب
عرف بالحركة الشعرية التي قامت زمن رفائيل بطي وقرأ الشعر الذي
نشره رفائيل ؟

وتصدر نارك الملائكة ديوانها وفيه مجموعة من القصائد الحرة مع مقدمة للديوان
ذكرت هذا التجديد وتحديث عن القديم والجديد ورسمت الطريق لما تريد
بوضوح فقالت عن الشعر العربي (لقد سارت الحياة وتقلبت عليها الصور
والألوان والاحاسيس ومع ذلك ما زال شعرنا صورة لقفنا نيك ، وبانت سعاد ،
الأوزان هي هي والقوافي هي هي وتكاد المعاني تكون هي هي ،) ورأت ان يكون
التطور على يد الشاعر والاديب لأنه سنة في كل اللغات العالمية فقالت :
(الشاعر او الاديب إذن هو الذي تتطور على يديه اللغة ، أما النحوي او
اللغوي فلا شأن لهما بها . . .)

وقد وضعت شروطاً للاديب المرهف ولا أدري لماذا سمته المرهف ، وهي
شروط ضرورية لكل اديب ، ومن لا يملك الحس المرهف فليس بأديب ، وهي
ثقافة عميقة في لغته ولغة اجنبية واطلاع على أدبها ، ووضعت اسماً واضحة
عندما أحست بحاجة الشعر الى اسلوب جديد لتطويره ، ولم تعتبر عملها خروجاً على
طريقة الخليل إنما هو تعديل لها يطلق جناح الشاعر من الف قيد ، دعاها اليه تطور المعاني
والاساليب خلال العصور ، التي مضت على أوزان الخليل ، وتحررت من الشطرين
واعتمدت على التفعيلة دون الاخلال بالوزن او الموسيقى ، والتزمت في ديوانها (١)

(١) شظايا رماد طبع مطبعة المعارف بغداد ١٩٤٩ .

بصريقتها ونظمت عدة قصائد وأول قصائد الديوان :

لا تسلني عن سر أدمعي الحري

فبعض الاسرار يابى الوضوحا

بعضها يؤثر الحياة وراء الحس لغزا

وإن يكن مجروحا

وفيها تصف معاناة النفس التي تضطرم فيها أسرارها وتغلي نوازعها بقولها :

ومئات الاسرار تكمن

في دمة حزن تلوح في مقلتين

ومئات الانغاز في سكتة

تهتز خلف انطباق الشفتين

وأجمل وصف لسكبرياء الاثني والاعتزاز بكرامتها قولها :

وشفاه تموت ظمأى ولا تسأل

أين الرحيق ؟ أين الكاس

ونفوس تحس أعمق إحساس

وتبدو كأنها لا تحس

والذي لا أشك فيه أن الشاعرين لا بد أن اطلعا على حركة الشعر في المهجر وفي مصر وسورية وأميل الى أنها عرفا بالحركة التي ظهرت في العراق ولا أشك في اطلاعها على شعر المازني ونقولا فياض وأمين الريحاني وجماعة ابولو كما انها عرفا شعر محمد بسيم الذويب وطارق الحافظ نور الدين وتأثرا بحركات التجديد التي ظهرت قبلها . ولها فضل مواصلة النظم ولنازك فضل وضع الحدود والقواعد ..

وجاء جيل جديد لم يفهم حركة التجديد وشط حتى جاءت نازك مرة
اخرى فوضعت كتابها العروضي (قضايا الشعر المعاصر) .

بعد بدر شاكر ونازك طبعت مجاميع منها ما طبعته انا في الاسكندرية (في ضمير
الزمن) (١) و (ملائكة وشيطان) لعبد الوهاب البياتي و (المساء الأخير)
لساذل طاقة و (ظلام الغيوم) لصالح جواد الطعمة ، وظهر أثر السياب في شعر
الطعمة وفي شعر ساذل ولكن الذي لا أشك فيه انهم تأثروا بالشعر المهجري
تأثراً عميقاً .

وجميع هؤلاء من جيل واحد تأثروا بتيارات واحدة ودراساتهم تكاد تكون
واحدة وليس من السهل أن يقول الدارس أيهم البادئ في هذا الشعر و ليست
الأهمية فيمن بدأ وإنما العبرة فيمن سار على الطريق وقد سار بدر في طريقه
حراً وسارت نازك واعية .

وشاذل يعطينا فكرة واضحة في مقدمة ديوانه (المساء الأخير) عندما نظم
في الشعر ورآه شيئاً غريباً بعيداً عن عمود الشعر وأنه شعر على نسق منطلق لا
يتقيد بقافية موحدة ولا يلتزم عدداً معيناً من تفعيلات البحور ولا يعرف ما هذا

(١) لما أصدرت مجموعة شعري (في ضمير الزمن) سنة ١٩٥٠ كان فيها شعر جديد نظمه
اعتماداً على ذوقي وحسي وكنت اعرف أن هناك شيئاً جديداً فيه ولم أطلع على حركة هذا الشعر
في العراق ولما ظهرت الضجة لم اتدخل فيها لأنني كنت أوصل دراستي وليس هذا الشعر هو مما
اكثرته به وليس هو كل ما عندي من انتاج .

الشعر فهو ليس شعراً مسلاً ولا مطلقاً من جميع القيود وأحس أن هناك شيئاً يلتزم به وأُعترف بوضوح أن هذا الضرب ليس مبتكراً أو له جذور من الأندلس والمهجر.

الفصيرة :

والملاحظ أن أهم ما جدد في الشعر وقامت من أجله المحاولات النصب على الأطار دون العناية الكبيرة بالمحتوى أو المضمون الفني للقصيدة حتى أسف قسم من الشعر فجاء شعرهم أشبه بالنثر القديم .

وكنت أرجو أن يكون الاختلاف على المحتوى الفني للقصيدة وعناصرها المكونة لها وطريقة مزج عناصرها، في إبراز الحقائق، ورسم التجارب، وصياغتها بطريقة فنية جديدة تختلف عما ألفه الشعر العربي حتى يكون الشعر الحديث مختلفاً ومتميزاً عن النثر، وينبغي أن تختلف لغة الشعر عن لغة النثر أو أن القاموس الشعري يجب أن ينفرد بأجزاء جديدة حتى يتسنى للقارئ الحديث أن يفرق بين الشعر وبين النثر، أما إذا خلطوا هذا الخلط بين لغة الشعر ومضامينه ولغة النثر فلن يجد القارئ أية لذة فكرية أو نشوة روحية من جراء انشاد الشعر . لا شك أن قاموس اللغات واحد غير أن هناك حدوداً لا بد منها، أساسها الذوق والاحساس المرهف وطلاوة الالفاظ وموسيقى الكلمات وإلا انقسم الكلام إلى قسمين علم وشعر كما قسمه وردزورث، الذي أدخل النثر مع الشعر فكانت أضعف نقطة في نظريته وحسب أن الشاعر يمكنه أن يضيف الوزن من الخارج (١) ويعجب المرء كيف يكون

(١) خير من ترجم نظرية الشعر عند الشاعرين ودرزورث وكولج أستاذنا

في كتابه القيم من الوجهة النفسية المطبوع سنة ١٩٤٧ .

النثر شعراً بمجرد إضافة الوزن والقافية وكثير من النثر فيه وزن وقافية ولا يشعر بروعة الشعر ، مثل ألفية ابن مالك ومعظم المتون المنظومة .
وقد أوجب الشاعر الانكليزي كولرج الموسيقى والقافية او الوزن والقافية في الشعر ولم يعترف بالمضمون وحده . عندما ناقش فكرة الشعر مع زميله وردزورث .
وقد سار بعض الشعراء الذين نظموا في الشعر الحر على التخلص من القافية والوزن كما أراد وردزورث ، والقليل منهم من جعل للقصيدة موسيقى تلائم الاذن العربية .

والشعر كل الشعر يجب أن يسهم في بناء المجتمع وان يكون مضمونه نابعاً من الانسانية ويلتئم تطور المجتمع لأن الشعر هو النبضات النفسية القائمة على اسس من العقل والعاطفة ويجب ان تتطور عناصره ومقوماته كما تتطور الحضارة .
وبالرغم من اختلافه مع شاعر في مضامين الشعر فأجد فيه عناصر الشعر ومقوماته الفنية التي ترضي ذوق الفني . . .

وبعد ١٩٥٠ إزداد الناظمون في هذا الضرب واصبحت فوضى أمورهم واشتد بعضهم فيه دون أن يفكروا في الطريق الذي يسرون فيه فكان الشاعر يكتب السطور ويتوهم انه الشعر ، حتى جاءت الزميلة نازك الملائكة فوضعت كتابها (قضايا الشعر المعاصر) ووضحت الطريق لهؤلاء ، وكان موقفها أشبه بموقف الشاعر الانكليزي كولرج محافظة على اصالة الشعر وتجديده وأرجو أن تكون قدوة في شعرها وما رسمته لهذا الجيل من خطوط هذا السبيل .

وقد وجدت من هؤلاء الناظمين في هذا اللون من الشعر : الدكتور داود سلوم والدكتور عبد الجبار المطلي وهلال ناجي ولميعة عباس عمارة وحسين مردان وشفيق السكالي وبلند الحيدري وصفاء الحيدري وكاظم جواد

وانور خليل وسعدي يوسف وصالح جواد الطعمة وجميل شلش ورزوق فرج
رزوق وحسن البياتي وعبدالجبار داود البصري وراضي مهدي السعيد وكاظم
الساوي ومحمد النقدي وغازي السكيلازي وزكي الصراف وزهير غازي وحارث
المطلبي وزاهد محمد وپريال محمود وماجد الوتار ومثنى حمدان العزاوي وعبدالامير
الموسوي ومالك المطلبي وصالح سعيد الحديثي وعناية الحسيناوي وجاسم الدوري
وعبدالجبار خضر وعمران القيسي وهادي العادلي وعبدالمجيد فليح وخالد جواد
موسى وعائذ عزيز وحسان يوسف المطلبي وعبدالوهاب العيسى وقحطان المدفعي
ومحمد جواد الحلي وحسن القطان ومحمدعلي الخفاجي وسلمان الجبوري ورضاالدين
الحيدري وعبدالستار الدليمي وسلمان هادي الطعمة وعبدالرزق حسين ونجم
الجبوري وعلي الحسيني وسامي مهدي وهاشم الطعان وخالد يوسف ومحمود
الريفي وهادي الربيعي (١) وغيرهم .

أترك دراسة آثارهم الكثيرة للدارسين . فالكثرة المتوفرة في الادب العربي
في العراق في الشعر الحر بحاجة الى دراسة موسعة تعطينا فكرة اكثر شمولا
ووضوحاً من هذا البحث .

(١) اشكر السيد عباس جبر أمين مكتبة وزارة الثقافة والارشاد على اعداد جزء من

هذه القائمة .

فردی طوقان

مكتبة جامعة القاهرة

الادب النسوي :

لابد أن يتبادر للذهن ونحن نتحدث عن شعر شاعرة سؤال طالما تردد بين الناس .. هو : هل يختلف أدب المرأة عن أدب الرجل ؟ وما خصائص هذا الادب ؟ وما ميزاته ؟ وما الميزات التي يمتاز بها أدب المرأة عن أدب الرجل ؟ وهل في طاقة القارئ أن يفرق بين قصيدتين في مضمون واحد ايها قصيدة المرأة وايها قصيدة الرجل ؟ وهل لقصيدة الرجل ميزات تشابه مظهر الرجل في شكله وصوته وكشافة شعره وان قصيدة المرأة لها ميزات تحاكي مظهر المرأة ؟

الواقع هناك تفاوت بين أديب وأديب كالتفاوت بين رجل وآخر وهناك اختلاف في انتاج اديبين في امور كثيرة كالاسلوب وتناول الموضوع ، ومناقشة الفكرة يضاف الى هذا كله ان الرجل نصفه امرأة والمرأة نصفها رجل ، وتتفاوت هذه الانوثة والرجولة بين انسان وآخر حتى قيل امرأة مسترجلة ورجل مستونق . واذا جاز لنا الحكم على المظهر المادي فهل يجوز تطبيق هذا الامر على الفن بوجه عام والادب بوجه خاص ؟ فاذا كانت لكل أديب ميزات تختلف باختلاف الاديب وثقافته ومحيطه فكيف نفرق بين ادب المرأة وأدب الرجل ؟

مما لا جدال فيه أن هناك فروقاً بينة بين المرأة والرجل في معالجة الامور والنظر اليها ، فالمرأة لها نظرتها المختلفة عن نظرة الرجل فهي بطبعها الفطري وبحكم واجبها الذي خلقت له تفرض على الحياة نوعاً خاصاً من الأدب لا يمكن للرجل أن يلجحه كما انها لا يمكن ان تلجج موضوعات الرجل واموره رغم مشاركتها الرجل في العصر الحديث في مضامير الحياة وميادينها .

ان المساواة بين الرجل والمرأة في كل شيء هدر لكرامة المرأة فهل يريدونها

أن تكون رجلاً وهل بالإمكان جعل العالم كله نساء؟

والعمل الشعري يشارك فيه الرجل والمرأة وأهم من الجنس الفطرة لأنها أهم عنصر مقوم للقابلية الشعرية والتجربة الأدبية أو سمها السليقة أو الطبيعة توهب للرجل كما توهب للمرأة وقد تجود وقد تسف كما يجود الرجل ويسف، غير أن ما خلقت له يحول دون أن تصل إلى مستوى الرجل المتفرغ بالطبيعة. وخير دليل على تفوق الرجل أوروباً التي منحت المرأة أوسع الحريات ولكنها لم تفرز بقدم على الرجل وقد أحصي عدد المتفوقين في الفنون والآداب فوجد الرجل زاد عدداً وبز تفوقاً ثم إن أشهر عمال الأزياء رجال وخير الطبّاخين منهم.

وتتجلى هذه الظاهرة في الأدب العربي وفي العصر العباسي على الخصوص فقد أخذت المرأة فيه مطلق الحرية وهي ربة دار وجارية ومغنية واستاذة ومحدثة ولكن لم تصل إلى ما وصل إليه الرجل ويمكننا أن نحصي عدد من اتصفت بالنبوغ من النساء، ولكن هيهات أن نحصي عدد من عرف بالنبوغ من الرجال.

وانوثة المرأة عند الرجل خير من شاعريتها لأنها لا تفرط بها على حساب أي شيء في الوجود.

وشعر الشواعر من أمثال الخنساء وليلى الأخيلية وسكينة بنت الحسين ووردة اليازجية وباحثة البادية شعر تجمد على محياه سحر الانوثة الجميل الرائع سواء في الغزل أو في الرثاء.. وعلام تبحث المرأة عن ما خلقت له إلا إذا لم تكمل هذه الانوثة. وقد يقال إن المرأة وأدت عاطفتها في الحب والغزل ومناجاة الحب فإذا كان هذا ما لا يرضاه المجتمع فلم لم تبدع في الرثاء والمجالات الأخرى إن خشيت من المجتمع؟

وهذه المرأة في عصرنا الحاضر وفي لبنان بوجه خاص انطلقت وتحررت

لكنها لم ترتفع الى مستوى الأدب وقد قلدن ساغان في وصفها واياها وحسب
انهن محررن من قيود الرجل فاذا بهن يتسولن كلمة الاعجاب فكان أدبهن أدباً انتهازيا
أسف ودل على مقدار الرغبة الملحة الى رضاه الرجل والتوسل الى عطفه ..

لذلك كنت في حيرة لما أردت ان اكتب عن شاعرتنا وترددت لاني
لا اريد ان اكتب عن شاعرة ما تزال على قيد الحياة وانتاجها ما زال ثراً متدفقاً
وقد اكتب عن المعاصر أشياء فلا يرضى أن يسمعها الناس لانها لا ترضي غروره
الاجتماعي أو مركزه الادبي .

والمرأة في بلدنا ليس من السهولة دراسة ادبها لرفقة مشاعرها وحراجه موقفها
وقسوة المجتمع الذي وضع كل القيود امامها وترك للرجل الحرية غير أنني رأيت
ان اقدر المرأة الفلسطينية في شخصها وأدب النكسة في انتاجها فوجدتني اتبع
دواوينها وأبي دعوة الجمعية .

مطائز فروى :

تتميز فدوى بشعر اثنى قلما اتيسح لغيرها ففي شعرها صدق المرأة ، ورقة
عواطفها ، وعمق الحب مع ترفع واعتداد وكبرياء فهي تفيض بالحنان وما سفت
كاسفت كاتبات لبنان . رسمت الشاعرة المرأة العربية وما مارت في العواطف
ولا ابتدلت في الاحاسيس أرادت أن ترضي الرجل وتفخر به ، ولم تدع غير واقعها
لأن المرأة هي التي تعبد الرجل وتسعى في رضاه وترضي كبرياءه وتغمره بالحب
والحنان والعطف فقد قالت الشاعرة :

في الليالي الممطرات الدفء شدنا حوله

معبداً أفعبه خصب الهوى شعراً وفنا
وعلى أجنحة النسوة نشوة طوفنا به
وتعبنا لدى محرابه
وتلونا ، كم تلونا
سور الحب لديه ، كم عزفنا
اغنيات البهجة الكبرى له (١)

والرجل يجب أن يكون قوياً ومتسلطاً ليشعر المرأة برجولته واقرب
النسوة الى قلبه تلك التي تشعره بضعفها وبم حاجتها الى حمايته والرجل يقوى
ويسيطر متى أخذ المسؤولية وشعر بمحاجة المرأة اليه وفدوى امرأة عرفت كيف
تشعر حبيبها بذلك فقالت بصراحة ووضوح في قصيدة منها :

ها أنت في عينيك عاصفة تجتاحني ، وهبوب إعصار
ها أنت بحر راح يأخذني في موجتيه أخذ جبار
ها أنت ، ها أنا قصة بدأت مكتوبة في سفر أقداري
لا لا تسلمي ، ان ابوح به سيظل حبك سر أسراري (٢)

وتظهر فدوى صادقة عندما تناقش الرجل في معنى الوفاء لأن الرجل يتهم
المرأة دائماً بالغدر ويضفي على نفسه كل نعوت الوفاء ولست انحاز الى جنسي
عندما أقول وفاء المرأة مكمل لانوثتها وغدره جزء من رجولته لأن وفاء المرأة
ضروري لبقاء الجنس البشري وقد فهمت قسم من الشرائع الامر فاباحت للرجل

(١) أعطنا حباً ص ٢٣

(٢) أعطنا حباً ص ٤٨ و ٤٩ .

ما لم تبسح للمرأة ، والمجتمع العربي ما زال على تقاليده لا يسمح المرأة لأن غلظتها
تدخل شيئاً جديداً في النسب لذلك نجد شاعرتنا حائرة بين امرين فقالت :

وتسأل : أين الوفاء ؟

أما من وفاء ؟

وأضحك في وجهك المتجهم

أسأل منك : أين الوفاء ؟

وماذا عن الاوفياء

وأين هواك القديم ، وأين النساء

مئات النساء اللواتي حبيت

وكل امرأة ، تظنك ملك يديها

وتحسب حبك وقفماً عليها (١)

وتناقش الرجل الذي تقلب فقالت :

نريد من الآخرين الوفاء

نصفدهم نحن ، نربطهم بالرجاء

بجبل سراب كذوب

بهرق خلوب

ونمضي لنشرب كأساً جديد

ونمضي لنطعم لوناً جديد

لنحيا غراماً جديداً

(١) أعطنا حباً ص ٥٤ .

لنعبد وجهاً جديداً
ونرجع نسأل: أين الوفاء؟
وترى طلب الوفاء في الآخرين إنانية فيجب الا يسألها الآخرون:
نريد من الآخرين البقاء على عاطفة
ذوت وتلاشت باعماقنا واستحالت الى صورة زائفة
أنانية يا رفيقي تعشش فينا
تسير رغباتنا في الخفاء
ونحجبها بنقاب كثيف نسميه نحن وفاء (١)

الرجل السُرقي :

وترسم لنا فدوى صورة من اجمل الصور للرجل الشرقي الذي يرصد الزلات
ويحاسب على الهفوات فهو ما زال يسأل عن ماضي المرأة ، يريد لها بلا تجربة ، بلا
تاريخ ، ولا يغفر لها زلة مضت وغلطة عبرت ، يحاسبها على الطفولة وطيش
الماضي بل يسألها عن نائمة في ذهنها ورغبة مرت في فكرها .. لأن المجتمع ما زال
مجتعماً بدوياً وما زالت جذور الحضارة القديمة تأخذه .

ورجل فدوى الذي عرفته تمثلت فيه هواها الحي المجسد ولكنها اخذ يحاسبها
على نظم قصيدة في رجل ويؤكد لها ان هذه القصيدة أجمل شعرها ، ولكنها
نشور لا تريد أن يعود الماضي وتظهر تفاهة القصيدة وبلادة ما فيها وتحاول في
شعرها أن تبرز اعمال الاتى التي تبرم بالماضي وتريد الحاضر فتقول :

وامض أتفه أبياتها واكشف زيف انفعالاتها

(١) أعطنا حباً ص ٥٦ و ٥٧

وألوانها الباهتات البليدة ولكن سدى تظل تعيد

وتقرأ لي أنت تلك القصيدة (١)

وتثور الشاعرة وتنزع الديوان لتمزق القصيدة منه وتقطعها إربا إربا وتركها
الرياح فيمكر الرجل ويضحك مداعباً ويطوي صفحة الحديث عنها فتقول معتدرة

وترنو إلي وأرنو اليك وفي ندي ، ندي وانخدالي

اروح اغغم بين يديك : ألا ليتني يا هواي الحبيب

عرفتك من قبل تلك القصيدة (٢)

الرجل الشرقي يجب أن يكون كل شيء في حياة المرأة ، يحبها زوجة ، وحبية
ومها تقدم في العمر فهو بحاجة اليها الى حنانها ورعايتها فهو طفل كبير والسيدة
الفضلى تلك التي ترعاه وتشعره بالحنان والدفء والرضا .. وفي وصية أمامة بنت
الحارث الى ابنتها ام آياس خير مثال لفهم طبيعة الرجل فنما : كوني له أمة يكن
لك عبداً ، ثم اوصتها بعشر خصال : حسن السمع والطاعة ورعاية تامة لمكانه
وشمه وعينه وانفه واكرامه ومنها : « واعلمي انك لا تصلين الى ما تحبين حتى
تؤثري رضاه على رضاك وهواه على هواك فيما أحببت وكرهت » .

وقد عرفت شاعرتنا طبيعة الرجل الشرقي واكدت شخصية الرجل فهي
عندما تكتب اليه تشعره بانها لا تنساه وتذكره في كل مكان ودرب وانه لا ينجتفي
عنها اينما حلت وأين ارتحلت :

غبت ؟ ولو غبت ، فما زال في دي عبير منك يرويني

(١) أعطنا حباً ص ٣ . . .

(٢) المصدر السابق ص ٧٥ .

يمنحني أجمل ما في الدنيا	يخصبني ، يملأ كوني غنى
الشعر والحلم ، ودفء المني	غبتَ فاياي رؤى وانتظار
حلو على الرجاء يطويني	وحين يؤوي الليلُ اهل الهوى
أحضن اشواقى واغفو على	
ذكرى توافيني	
أحملها في سر تكويني	ذكرى هنيهات ملاءٍ قصار
وترجع الدرب تنادينى	تعود لي ، تعود لي في غد
اصحبها وفي دمي يقظة	فاصحب الشمس الى موعدي
يبعثها الحب فتعطيني	
الخضرة الريا بمحض الجمال	الوهج الضاحك فوق التلال
نكبتها ، ألوانها كل ما	روائح الارض ، ارتعاشاتها
في الدرب من جمال	
ملون الظلال	
اذ ترجع الدربُ تنادينى (١)	يعود لي ، يعود لي في غد

ظماً الروح :

والملاحظ على شعر الشاعرة ظهور ظماً روحي عميق ، وحرمان نفسي عارم ، يعصر جوانحها لانها لم تجد الشخص الذي يملأ حياتها الروحية. فكان من جراء هذا الظماً رغبة في المجهول .

(١) أعطنا حباً ص ٥٠ و ٥١ و ٥٢ و ٥٣ .

ومن يدرس شعرها يجد أهم مظاهر هذا الظماً القلق والضياع في شعرها .
ولعل جو التقاليد القديمة قد أفقدها الهدوء والرضا بواقع الحياة العربية فظهر في
شعرها صراع بين عاطفتين ، عاطفة الإبقاء على القديم واحترام الموروث وهي من
أسرة كريمة لها تاريخ زاه زاهر والعاطفة الذاتية المتفتحة الجارحة ومتطلبات الحياة
الحضارية الراحنة ، فهي رأت أنها تعيش أسيرة قيود هذا المجتمع ولكن نفسها
المتفتحة الثائرة برمت بهذه القيود فهي تريد أن تعيش شاعرة منطلقة من كل
أسر تريد ان تجد ذاتها انسانة لتعبر عن مشاعرها بصدق وعن احساسها بوضوح
ولكنها لم تكن قادرة على تحقيق هذه الرغبة فسرت في شعرها روح الحزن
الجميل والكتابة الواعية وأصبح شعرها صورة لهذا الصراع النفسي والضياع
الانساني واتخذت الشعر وسيلة لتنفس عن المكبوت من الاحاسيس والمغلف من
العواطف والمحبوس من الآمال والاحلام فقالت :

ذني ؟ وما ذني ؟ ألا ويلاه من ظالم القيود
ما حيلتي والغل في عنقي على جبل الوريد
أواه ، حتى أنت لم تنصف هوى قلبي الشهيد ؟
أواه ، حتى أنت تظلمني مع القدر العنيد ؟ (١)

قلبي يئن ، يلوب في ألم ، يسائل في شرود :
لم لا يعود ؟ فلا يجيب سوى الصدى : «لم لا يعود»
وأروح ، في شفتي أشعاراً وفي كفي عود
وأعاب الأيام ، والزمن المفرق ، والوجود

(١) وحدي مع الأيام ص ٧٢ .

وفي قصيدة لها بعنوان (من وراء الجدران) نجد ثورة مأسور أرهقه الاسر
وقد أحس بثقل القيود ، فتأقت نفسه للحرية والاطلاق ، وأدرك خطر الاستسلام
على انسانيته فاراد أن يحطم هذه الجدران ويخرج للحرية والانطلاق فقالت :

بنته يد الظلم سجنًا رهيبا	لوأد البريئات أمثاليه
وكرت دهور عليه وما زال	يمثل كاللعنة الباقيه
وقفت بجدرانها العابسات	وقد عفرت بترات القرون
وصحت بها : يا بنات الظلام	ويا بدعة الظلم والظالمين
لُعنت ، احجبي نور حررتي	وسدي علي رحاب الفضاء
ولكن قلبي هذا المغرد لن	تطفيء فيه روح الغناء
فقلبي يد الله صاغته لحنا	تدفق من عمق نبع الحياه
ورغم شموخك يا مجرمات	يرن على كل أفق صدها (١)

الشعور بالوصرة :

وفي شعر الشاعرة الكثير من المعاناة من الشعور بالوحدة و كان اثره في حياتها
عميقاً ملاً شعرها بالاسى العميق والثورة العنيفة الحزينة ولهذا ف شعرها صادق
العاطفة عميق الألم صادق التجرية وكأنها تتحدث بلسان العربيات اللواتي يضقن
بهذه القيود الثقيلة فهي تقول :

حياتي دموع	وقلب ولوع
وشوق وديوان شعر وعود	
حياتي حياتي أسى كلها	إذا ما تلاشتي غدا ظلها

(١) وحدي مع الأيام ص ١٠٥ .

سابق على الارض منه صدى يردد صوتي هنا منشدا (١)
حياتي دموع وقلب ولوع وشوق وديوان شعر وعود
وفي هذه القصيدة قرنت مآسيها بحسرتها فهي تبكي والدها وتبكي أخاها
وتبكي نفسها والمصائب التي صبت عليها حركت اوتار الألم فصاغته الحاناً عذاباً
وظلم التقاليد الذي بدأت تتبرم به أصبح مأساة عميقة مثل موت الاعزاء من
الاسرة والانسان إذا لم يقدر أن يتحدث عن شيء صراحة نراه بنفس عن همومه
بمسارب أخرى وقد وجدت الشاعرة في فقد والدها واخيها خير سبيل فصب
همومها كلها في هذا الفقد وانهمر الحزن ثراً وبدت العواطف سخية
الدمع والحسرات .

وفي ليل سهدي يحرك وجددي
أخ كان نبسح حنان وحب وكان الضياء لعيني وقلبي
وهبت رياح الردى العائيه وأطفأت الشعلة الغاليه
وأصبحت وحدي ولا نور بهدي
أجلج حيرى بهذا الوجود
وهذا شبابي أمان كوابي
شباب سقاه الأسي ورواه اذا ما دعته اليها الحياه
واشواقها شدّه الف غلّ وطوقه الف طوق مثل
شباب عذاب رهين اغتراب
يضيع شذاه باسر القيود (٢)

(١) وحدي مع الأيام ص ٣٩ .

(٢) وحدي مع الأيام ص ٤٢ و ٤٣ .

وفي الليل عندما تهدأ حركة الحياة ، ويسدل الظلام على الناس الامال والاحلام ، ويلقي المهوم برأسه على وسادته ، وتتسارع أمنائه وتتسارع رغباته يخلق في دنياه سعيداً طوراً ، ومغموماً اخرى ، وفي هدأة الليل الساجي تنطلق النفس من اسارها وتذهب في عالم مجنح ضبابي الى اللاشعور هناك تنجلي هموم الحزين المأسور فيعب صفحات احزانه ويقلب صفحات عمره فيجد العمر يمر سريعاً بلا أمل ويرى الشباب الغض تفترسه مخالب الدهر فتعود روحه من رعبها الى الطفولة ويذكر الصبا الريان :

ومضيت شاردة أقلب في الظلام كتاب عمري
صور ، وأطياف كئيبات ، تلون كل سطر
فهنا خيال شاحب لم ترحم الدنيا ذبوله
هذا خيال طفولة لم تدر ما مرح الطفولة
وهنا صبا عضت عليه قيود سجن واضطهاد
باك ، ذوت أيامه خلف انطواء وانفراد
وهنا شباب ما يزال يجوس قفراً بعد قفر
متحرق. أبدأ الى شيء .. الى ما لست ادري (١)

هل تقاوم الشاعرة المجتمع وتقف ضد الطبيعة ، هل تقف امام الشوق الملتهب
أتقدر أن تخفي هذا الهوى العاصف ، وتحطم جدران التقاليد ، حاولت الشاعرة
أن تفعل ذلك . لذلك نجد في دواوين شعرها (وجدتها) و (امام الباب المغلق)
و (اعطنا حباً) نجد ان شعرها اختلف اختلافاً واضحاً عن (وحدي مع الايام)

(١) وحدي مع الأيام ص ٥١ و ٥٢ .

فعدت أكثر صراحة وجرأة فقالت :

كلما صوتك ناداني الى

موعدي يحضنه صدر الامان

عانقت روحي رؤى امسية

كم تساقى الحب فيها والحنان

عاشقان

نسيا الدنيا عليها والزمان

ليلة فيها حصرنا العمر ، ليله

أخذت ألوانها من الف ليله

من أساطير جواربها الحسان (١)

وبكل طلاقة وبكل حرية تقول :

كل درب الك يفضي فهو دربي

يا حبيبي أنا أحيا لأبي

أنت دنيا ملء قلبي

بكنوزي كلها ملك يديك

يا حبيبي (٢)

نادني من آخر الدنيا ألي

يا حبيبي أنت تحيا لتنادي

صوت حي أنت حي

كلما ناديتني جئت اليك

بينابيعي بأتماري بخصي

ولا بأس من تذكر ذكرياتها العذاب كأبي شاعر من الشعراء المعاصرين

ومن هذا (يوم الثلوج) عندما عاشت بكل حرية لأنها عاشت منتهى الحب

ومن شعرها :

(١) و (٢) وجدتاه ص ٧٢ و ٧٣ .

اسمك؟ يا تنهيدة الورد
تعيف في نداوة الحرف
اسمك؟ يا طلة فجر على تعثري في عتمة الدرب
يا نعماً اصحو واغفو على رنينه المحبب العذب (١)
وقولها:

لا ظل لا نسمة
ترف في صحرائنا المجذبة
بلى ، بلى ، لا شيء لكننا
يا تعسنا ، يا فقر أعمارنا
إذا انطوى العيش ولم تحترق
أرواحنا في لهب التجربة (٢)
وقولها في قصيدة غيران:

غيران يا زنبق
غيران يا كنز أمانينا
إذا لمن صغنا أغانينا
لمن منحنا خير ما فينا
يا غيبتنا الحبيب يا زنبق

انت شربت الغمر من حبنا وانت أمرعت على خصبنا
ونحن هل نجد يا بلسماً من على جرحنا

(١) أعطنا حباً ص ٨٥ .

(٢) أعطنا حباً ص ٩٨ .

ويا ندى رطب أيامنا وشعرنا الغالي وأحلامنا (١)
وتختم القصيدة :

ظلمت من قال حيننا سواك من قال بعناك وعفنا شذاك
وأنت دنيانا التي نعشق يا حيننا الأخير يا زنبق

وفي ديوانها الأخير (امام الباب المغلق) نجد بوضوح أثر الصبابة الصادقة والهوى المشبوب فلم تبق هواها في طي السكتان فقد برمت بالحجاب والقيود وقد برزت للمجتمع بكل وضوح وعلنت عن شخصيتها الانسانية ولم تبق في نفسها ذلك الحجاب القديم الذي يقف امام عواطفها .

فكانت ثائرة في ثورة عارمة لتقتل صورة الحريم السجين بين الجدران وانا قد لا اوافق الشاعرة على هذه الحرية لأن عزة الاتي بالتدلل والتمتع والتحمل والحياء ، ولعل هذا الانطلاق رد فعل عن ضعفها وما تشعر به من قيود وهي تمر بهذه المرحلة الحضارية في العالم العربي .. انه رمز الكبت ورد فعل للحرمان الروحي ..

القومية في شعرها :

عاشت فدوى طوقان بين حربين عالميتين وفتحت عينها فوجدت الاحتلال الانكليزي جاثماً على صدر بلادها ، ورأت الأمة العربية دويلات يعبث فيها الحكم ، ويهيمن على شؤونها الاستعمار الاجنبي بمختلف اسمائه وانواعه وقد وضع السدود والحدود بين الارض الواحدة والقطر الواحد . ففلسطين التي كانت جزءاً لا ينقسم من الشام أصبحت تحت الاستعمار الانكليزي ودمشق وبيروت

(١) المصدر السابق ص ١٣٦ و ١٣٧ و ١٣٨ .

تحت الاستعمار الفرنسي وفي الاردن دويلة .. أراد الاستعمار خلق فجوات في الفكر والاقتصاد والحياة الاجتماعية أراد إيجاد فوارق بين أجزاء القطر الواحد ليسهل عليه الحكم والسيطرة ..

ولما وعت الشاعرة الحياة وجدت وعد بلفور يعطي بلدها لغير شعبها وكان العرب يموجون غيظاً وكانت فلسطين في ثورات ومظاهرات واضرابات واضرابات ، يعقدون المؤتمرات ويكثرون من الاجتماعات .. ورأت العرب يقاتلون من أجل كيانهم ويفقدون انفسهم رخيصة لهذا الوطن الغالي .. ورأت اشتداد الثورة سنة ١٩٣٦ وما تلاها .. فاهتزت مشاعرها . وفتحت على النضال ورد الفعل العميق في النفوس والمقاومة الصامدة .. وقرأت سفر اولئك الذين تغنوا في مصائب الوطن وسجلوا همومه وبلواه وسجل تاريخ الادب اسما هؤلاء الشعراء من امثال عبدالكريم الكرمي وفؤاد الخطيب وخير الدين الزركلي ومطلق عبدالحالق وأخيها ابراهيم طوقان .. كانوا شعلة تتأجج وثورة عارمة تغلي .. عاشت الشاعرة فترة ثورة دائمة وسخط عارم مستمر ..

ونشأ جيلها قلقاً وشملتة الحيرة وعمته الاضطرابات النفسية والروحية كما أحست بالنكسة الأولى والثانية فكانت أحداث بلادها تعمل عملها في روحها وفي حسها انه جيل القلق والضياع جيل الحسرة والأحزان فقد وجدنا انفسنا أساري هوان ، وعبيد استعمار ، وفي خضم من الفرقة والتشقق السياسي والفكري والاقتصادي وقد تمكن الاجنبي من وضع السدود التي ارادها وثبت الحدود التي رسمها ..

وحلت في هذا الجيل ثقافات متباينة وحضارات مختلفة ونظم اجتماعية واقتصادية

متناقضة فوجدت به أثرها وتسرب الى فكره ووجهت الشعب العربي توجيهات متضاربة متباينة وانقسم الفكر على نفسه وتشتت الرأي الموحد .

هذا هو جيلنا الذي نعيش فيه وعاشته الشاعرة .. وقد كان لها أخ يراها ويسدد خطاها وتلوذ به حين يداخلها القلق والشجن ، كان شاعراً قائداً وكان رائداً من رواد الشعر العربي وكان شعره مشرق الديباجة ، جميل الموسيقى ، رقيق المعنى متين المبني ، فاتخذته رماً لها تهتدي بهديه وترسم خطاه ، وسرعان ما اختطف الموت هذا النور الذي كان ينير حياتها قبل أوانه ، وكانت صغيرة لا تعرف الحب والحنان إلا في شعر الشعراء العذريين فسقاها اخوها حبهما الاخوي وسعدت به فقالت :

وحين فُتحت براعمي وامرع الصبا

وضمخ الجواء بالعبير

عرفتها في شعر « عروة » الحزين

وعشتها في شعر قيس في رؤى « جميل »

كم هزني تدفق الشعور في قلوبهم

كم عشت حبهم ، حنينهم ، عذابهم

كم قال لي قلبي الحزين :

« ما اسعد الاحباب رغم ما يكابدون

كم يغتني الانسان حين يلتقي

هناك من يحبه ، كم يغتني »

ولم يكن هناك من يحبني

وعاد من غربته اخي الكبير عاد
ابراهيم ، كان قلبه الرحيم خيراً كبير
وفيض حبه عزيز
ولقي اخي وضمني الى جناحه
هنا استقيت الحب وارتويت
هنا استردت ذاتي التي تحطمت
بأيدي الآخرين
بناءها ، هنا اكتشفت من أنا
عرفت معنى ان اكون

* * *

ومات من أحبني
مات اخي الذي أحبني ولم يكن
هناك من أحبني سواه (١)

* * *

فكانت الصدمة قوية وكانت مأساتها في وطنها وفقدتها الاخ الحبيب مأساة
مزروجة وموحدة فقد كان اخوها لسانها وعواطفها وشعرها الذي تحمل في سبيل
شعبه وفهم مشكلته ، وأحس بالمأساة وبالمصير المؤلم فقالت تناجيه :

أخي يا أحب نداء يرف على شفتي مثقلاً بالحنان
أخي لك نجواي مهيارتطمت بقيد المكان وقيد الزمان
أحقاً يحول الردى بيننا ويفصلني عنك سجن كياني

(١) امام الباب المغلق ص ٧٧ و ٧٨ و ٧٩ .

فإلي إذا ما ذكرتك اشعر
 انك حولي بكل مكان (١)

وتحلق الشاعرة في الخيال البعيد وفي الافق الرحب وينتاب قلبها الألم العميق لأنها أرادت أن تستكشف حجب الغيب لتعلم ما سيثول اليه مصير شعبها المشرد ووطنها المغتصب وهي ترى آمالها الحبيبة تتعاورها معاول الأيام فيتسرب إلى روحها اليأس الحزين عندما ترى جنادل الذل على ظهور العرب ، وتراهم يعيشون كالقطعان الضالة ، وقد فقدوا الأمل بالنصر وتسم شرفات المجد وتحدد مطالبهم بالطعام بعد المسبغة المذلة ، وبالماوى بعد التشرذم القتال وقد فترت همهم وبردت ثورة نفوسهم وهوت مطامعهم ومطامحهم فقالت تخاطب أخاها :

وارسلت عينيَّ حيث رنوت	وقد دب ثقل خفي بقلي
خلال دخان علا واستدار	رأيت الحمى خربة ماحله
على العتبات تدب هوام	وتعبر قافلة قافله
وبين الزوايا عناكب تجبو	وتعمر في زحفها واغله
وأبصرت اشلاء قومي هنا	وهناك على طرق السابله
عيون مقلّاة بُعثرت	على الأرض حياتها السائله
وأيدٍ مقطعة ووجوه	غزا التربُّ ألوانها الحائله
وكان هناك وراء الدخان	قطيع تشتت في كل بيده
قطيع وديع بقية قومي	فهذا شريد وهذا طريده
تظلمهم في العراء الخيام	وقد اخلدوا في هدوء بليده
براكين خامدة لا تفور	استحال اللظى في حشاها جليده

(١) وجدتها ص ٢٥ و ٢٦ .

قصارى مطامحهم لقمته^ه مغمسة بهوان العبيد
تجود بها كف جلادهم لتخديرهم كل صباح جديد (١)

وترى قضية امتها كيف استحالت بيد الساسة العرب الى كلمات جوفاء
وسبيلا الى الزعامة والمطامع الفردية وبذلك كان مصيرها رهيباً وزادت قوى
الاستعمار في اذلال اهلها وسكانها .. فاستنجدت باخيها القائد الفكري والشاعر الذي
ما هان وما سكت ، وكأنها لا ترى في العرب من يستحق أن يستنجد به من
قادة ومفكرين وقد بثت فقالت :

« أخي أرأيت القضية كيف انتهت، أرأيت المصير الرهيب؟
أندكر إذ أنت ترسل شعرك يطوي الحى عاصفاً من لبيب
تخدرهم من هوان المساك كأنك تقرأ لوح الغيوب»
واسكن طيفك كان يغيب وراء المدى صامتاً لا يجيب
وجرحك يقطر ازكى دماء همت في حواشي غمام خضيب
وراحت تعانق جرح الحى هانا المسمّر فوق الصليب (٢)

والملاحظ ان الشاعرة ابتعدت عن طريق النصح والارشاد ولم تقف موقف
الواعظ أو تقف موقف الخطيب الذي يعتمد على الكلمات الحماسية في الثورة
والسخن وتركّت الأسلوب التقريرى فلانجسد في اسلوبها، اقتلوا ثوروا
حطموا وهو اسلوب يموت بموت الحادثة ويعني عليه الزمن انما تحدثت بهدوء
و بمنطق واضح يدخل حديثها الى القلب والعقل ، لأنها تتحدث وهي تروي

(١) وجدتها ص ٢٩ و ٣٠ و ٣١ و ٣٢ .

(٢) وجدتها ص ٣٣ و ٣٤ .

رواية رائعة وصفت فيها ما يعانيه الشريد اللاجئ ، وصورها في كثير من شعرها صور انسانية ناطقة تثير المشاعر. الحساسة المرهفة ، وتصور في شعرها هول المصائب ومن هذه القصص القصيدة الاولى في ديوانها وهي وان كان اسلوبها قريباً من النثر ، ولم يصل الى اسلوب قادة الشعر جزالة وقوة سبك ، فانها عالجت موضوعها بصور مؤثرة وبرزت معانيها ناطقة واضحة فوقف شعرها مع الادب العالمي ، لأن رسمها للصور فرض على الناس المشاركة والمساهمة وهي خير من أبيات الشعراء الداعية الى الحرب والقتال والخراب والدمار فان كان شعر الحماسة يفيد آنياف شعرها ينساب في النفس ويعد الشعور لتقبل القضايا المنطقية .. ولنسر مع الشاعرة في قصيدتها لنبرهن على ذلك :

صورت الشاعرة العربي اللاجئ الشريد يعيش في الخيام وليس بينه وبين بيته غير مسافة قصيرة وهو يرى وطنه المستباح يرى الربيع وقد ازهر في شذا البرتقال وفي ازاهير حديقته ويرى مروج سنابله تلمع مع نسيم الربيع يرى خيره يرى أرضه في خير والسكن العدو يحول دون الوصول اليه ويبقى في أرض مجدبة تحت الامطار والرياح وفي أرض قفراء ، ما حال هذا اللاجئ الشريد الذي فقد داره ومرجه وماله ، تأخذه خيالاته الى أيام صباه والربيع الثر المعطاء والى أمنه وهدوئه وهو يخرج في الصباح الى حقله يستاف أرج ازاهيره العبقرة :

تمثل وهو يلوب انتفاض تراها إذا ما الربيع أهلا

وماج بعينيه كثر السنابل يحضنه الحقل خير مطلا

ولاح له شجر البرتقال وهو يرف عبيراً وظلا (١)

ويستفيق المشرد الزين على ذله وعاره ، فيثور في قلبه القلق والحب ويهوى

(١) وجدتها ص ٨ و ٩ .

العودة ويتساءل ؟ بألم ممض :

أتعصب أرضي ؟ أيسلب حقي وابقى هنا ؟

حليف التشرذ أصحب ذلة عاري هنا (١)

ثم يعاوده الأمل الحبيب بعودة الحق السليب وبأنه لا بد أن يعود وأنى
للمفارق المهاجر أن ينسى وطنه وأرضه وينسى ساعات هناه في لهوه ومرحه ولما لم
يجد أملا في العودة حياً فهل هناك خير من أن يموت على تراها، فيصمم عليها ويحدث نفسه:

سأرجع لأبد من عودتي سأرجع معها بدت محتتي

وقصة عاري بغير نهاية سأنهي بنفسي هذه الرواية

فلا بد ، لأبد من عودتي وظل التشرذ عن أرضه

يتمتم : لأبد من عودتي

ثم أطرق برأسه الى أرض الخيمة ، وأخذت مراحل الألم تغلي في كبده
ونيران الهموم تكوي أضالعه وحناياه ، ثم صمم على تنفيذ الفكرة .. وفي ليلة
من ليالي الربيع الدافئة الجميلة وقد أذهلته الذكريات ، في الجو الرائع بسماؤه
الصفافية ونجومه المتلألئة ، وهو سابح بأفق خيال الذكريات رأى يافا الحبيبة
والبحر الساجي يداعب رجليها بامواجه وهو في قارب من قواربها يتنزه في
عرض البحر ، ورأى الاشرعة البيضاء تذهب في الجو مداعبة نسيمها البحري
الطري الندي فاستأنف من أرج البرتقال وسار وتاه لبه حيران القلب فقد مل
الانتظار وسثم فراق الوطن الغالي وفي سكون الصمت سار نحو الحدود .

وما زال يمشي سليب الارادة تدفعه قوة لا ترد

الى أين ؟ لم يدر . كان الحنين زراء ألح به واستبد

(١) وجدتھا ص ٩ .

كأن من الأرض ، من أرضه تصاعد يدعو صوت شرود
يجلجل في قلب أعماقه ويجذب ما وراء الحدود
وثار صراع عنيف بين العاطفة والعقل بين الشجاعة والجن بين رهبة الموت
وحب الوطن فقلب حب الوطن كل شيء بعد أن صار على خطوات من داره ولم
تبق بينه وبين أرضه الحبيبة غير خطوات :

هناك تنهات خطاه ، هناك تسمر عند السياج العتيق
هناك تيقظ وعياً رهيفاً وحساً عجيب التلقي دقيق
وفي نفسه كان يزدهم الدمع والشوق والسورة المفعمه
ورجع نداء ملح قوي وموجة عاطفة مبهمه
ورائحة الأرض في قلبه منبج حنان ونفح شدى
والصمت من حوله الف معنى يعانق الف شعور خفي (١)

وانسل المشرد بين الاسلاك ووطأ أرضه ولم يصدق انه في وطنه وارضه ولم
يدر ما يفعل فاهوى على الارض يشم عبيرها ويقبلها ويحتضن تراها ويمرغ
جسمه فيه كالطفل ..

وأهوى على أرضه في انفعال يشم تراها
يعانق أشجارها ويضم لآلي حصاها
ومرغ كالطفل في صدرها الرحب خدأ وفم
والقى على حضنها كل ثقل سنين الألم
وهزته أنفاسها وهي ترعش رعشة حب
وأصغى الى قلبها وهو يهمس همسة عتب

(١) وجدتها ص ١٥ و ١٦ و ١٧ .

رجعت إلي؟

- رجعت اليك وهندي يدي

سأبقى هنا، سأموت هنا، هيتي مرقدتي

وكانت عيون العدو ترمقه شزراً من قريب ايعود هذا الى بيته وأرضه؟
وثار حقدهم في قلوبهم كيف يعود صاحب الحق الى حقه الى أرضه الى سنابله
الى برتقاله ومرجه .

وكانت عيون العدو اللثيم على خطوتين

رمته بنظرة حقد وبقمة كما يرشق المتوحش سهمه

ومضق جوف السكون المهيب صدى طلقتين

أجل عاد المشرد الى وطنه وحقق حلمه واربعش الفجر حباً، واهتمت
الروابي شوقاً فقد ضمخ الأرض بدمه ونام مستريحاً ناعماً انه مات على ترى
الوطن العالي .

ايها السادة والسيدات :

أهناك صورة أروع من هذه الصورة رسمت الشاعر باسلوب بسيط ومنطق
واضح وعاطفة عميقة صورة المشرد فلا يقدر المصور أن يرسم مثل هذه الصورة
الخالدة لأنه يرسم على الورقة جانباً من المأساة ، أما الشاعر فقد رسمت لنا
الاحاسيس والمشاعر ، حدثتنا عن أنفاس الأرض وصفة المشرد ، فسمعنا
الخطوات وهو يدب على الارض والمشاعر وهي تعلي .. انه صدق الشاعر وعمق
الاحاسيس والأمل المنشود لكل عربي في هذه القصيدة .

والشعر العربي بحاجة ماسة لتسجيل المعارك العربية ورسم صور الثورات
المطالبة بالحرية والاستقلال ، والرغبات المطالبة بالوحدة ، لأن الشعر الحق هو

الذي يتصل بالأحداث ويرسم للامة آمالها وللمجتمعات ما تصبو اليه . ولن يكون الشعر خالداً الا إذا تسربت في ثناياها المشاعر الصادقة والاحاسيس النابضة الحية لأن الأدب طليعة كل حركة تحرر وزائد كل فكر وقائد الشعوب نحو الوعي في كل العصور الانسانية .

وشعراء الكفاح والنضال تنساب في شعرهم همسات الحزن وانين الهم فلا تعجب ان وجدنا هذه الظاهرة على شعر الشاعرة فقد كانت شاعرتنا تحس باعمق مشاعرها بالألم الفردي ففرعت هذا الألم في مشاعر الوطن ، وذل التشريد وهوان انقسام الشعب العربي وكل واحد منا يحس في قرارة قلبه غصة من هذا الألم ولا يدري سبباً لهذا الألم في أعماقه .

وشاعرنا ذاقت مرارة الوحدة والحرمان الروحي ، والقلق الاجتماعي فصورت المأساة تصويراً جميلاً وفي دواوينها الثلاثة يستطيع الباحث أن يجد ظاهرة هذا الألم والمأساة الاجتماعية والسياسية والفكرية . وقد كان شعرها الوجداني أكثر من شعرها في وطنها ولكنها بعد أن أصبحت تحت الاحتلال اخذت تكثر من النظم فقد نشر لها ثلاث قصائد وهي اجمل سجل وأصدق صور صورها شاعر عن الاحتلال الاسرائيلي .

ومن هذه القصائد قصيدة لها في شارع من شوارع نابلس التي تزدهم فيها الحركة ويلعب في الطرقات الاطفال وتثور الضوضاء والصخب يحيل الاحتلال المدينة الى صمت الموتى فتقول :

يوم رأينا الموت والخيانة تراجع المد واغلقت نوافذ السماء
وأمسكت أنفاسها المدينة يوم انحسار الموج يوم أسلمت
بشاعة الهوى الى الضياع وجهها ترمد الوجاء

واختتمت بغصة البلاء

مدينتي الحزينة

اختفت الاطفال والأغاني لا ظل لا صدى

والحزن في مدينتي يدب عاريا مخضب الخطى

والصمت في مدينتي مهيم الصمت كالجبال رابض

كالليل غامض

الصمت فاجع محل بوطة الموت وبالهمزيمه

أواه يا مدينتي الصامته الحزينه

أهكذا في موسم القطاف تحترق الغلال والثمار

أواه يا نهاية المطاف

هذه حسرات شاعرة مرهفة كانت تتوقع النصر في المعركة كانت تريد أن

يكون ثمار الحرب في صالح امتها وشعبها لكن يا له من قطاف مرقاتل .. ليس

لها الا أن تكرر أواه أواه من عميق القلب وتعب عن معنى اساهها وحزنها ...

فقد سلمت المدينة ونالها الذل والهوان وظلم اهلها وبمن يستجير المظلوم؟

خرجت مفتوحة الصدر لتثير رحمة السماء لترسل لها النصر وتبعد عنها

طاعون الاستعمار وذل الاحتلال واجدبت الأرض من سرورها وغدت رياح

المسكنة تهب على الديار .

يوم فشا الطاعون في مدينتي خرجت للعراء مفتوحة الصدر الى السماء

أهتف من قرارة الأحزان بالرياح

هي وسوتي نحونا الغيوم يارياح

وانزلي الأمطار .

تطهر الهواء في مدينتي وتغسل البيوت والجبال والأشجار
هي وسوق الغيم يارياح ولتنزل الامطار وتنزل الامطار
وعلى ما أصاب الملايين من ابناء العرب من الدهشة والحيرة واليأس ، واعتور
نفوسهم من هم ، وضياح الأمل وفقدان الثقة بالنفس والمستقبل فانها ما راعتها
الحسارة الكبيرة في جيش العربية وآلاف الجنود في ساحة الغداء فقالت :

يوم الاعصار الشيطاني امتد

يوم الطوفان الأسود

لفظته سواحل همجية

للأرض الطيبة الخضراء هتفوا ومضت عبر الأجواء

تتصادى البشرى في الانباء :

هوت الشجرة ، والجذع الطود تحطم ، لم تبق الأنواء

باقية تحيا الشجرة

هوت الشجرة

عفو جداولنا الحمراء عفو جنود مروية

بنبيذ سفحته الأشلاء عفو جنود عربية

توغل كصخور الأعماق وتمد بعيداً في الأعماق

ستقوم الشجرة

ستقوم الشجرة والاعضان ستتمو في الشمس وتخضر

وستتورق ضحكت الشجرة في وجه الشمس وسيأتي الطير

لابد سيأتي الطير ، سيأتي الطير ، سيأتي الطير

قاومت الشاعرة ياسها بعناد وبقوة وبصلابة وبغزم عندما رأت الشجرة

العظيمة تهوي على الأرض وتتقصف أغصانها وجعلت أملمها في الباقي منها الذي
سيورق ويخضر ويزدهر وتعود الطير الى وكناتها مفردة شادية .
إن الأمل الكبير في النصر يملأ قصائدها بعد النكسة انها لا تريد أن ترى
هذا الأمل يموت ويستولي عليها اليأس القاتل وفي قصيدة اخرى لها عنوانها
(حيّ أبدأ) تقول :

موطننا الحبيب ، لا
مها تدر عليك في متاهة الظلم
طاحونة العذاب والألم
لن يستطيعوا يا حبيبتنا
أن يفتأوا عينيك لن

* * *
ليخنقوا الأحلام والأمل
ليسرقوا الضحكات من أطفالنا
من حزننا الكبير ، من
من اختلاج الموت والحياة
يا جرحنا العميق أنت ، يا عدائنا يا حبيبتنا الموحيد
وليصلبوا حرية البناء والعمل
ليهدموا ، ليحرقوا ، فن شقائنا
تدبق الدماء في جدراننا
ستبعث الحياة فيك من جديد

ومتى آمن الشعب أن معركة واحدة لا تقرر مصير الأمة وآمن بان النصر
لا بد أن يأتي فقد تهاون الشعب وأصبح حديث النكسة والهزيمة عميق النغم ،
بعيد الرنين يبعث القوة والأهبة للعمل وفي شعر شاعرنا وهي تعاني مهارة الاحتلال
قوة أمل لم يتخل عنها وجدانها ولم تفارق الحماسة المصادقة والصور الجميلة شعرها
ومع أن الرمز قد تسرب الى شعرها فقد وفقت للإبداع خير توفيق ...

الفهارس العامة

١ - الأعلام

٢ - الامكنة والبقاع

٣ - الشعوب والجماعات

٤ - المصادر والمراجع

الاعلام

﴿ حرف الألف ﴾

ابن كونه ١٢	آغا خان ١٩١ ، ٦٤
ابن مالك ٢٨٩	الآلوسي (راجع محمود و نعمان)
ابو احمد ١١٥	آمال الزهاوي ٢٥
ابو صميم ٢٢٦	ابراهيم (الني) ١٧٢
ابو القاسم الشابي (راجع الشابي)	ابراهيم أدم الزهاوي ٧٤
ابو علي (راجع السعدون)	ابراهيم طوقان ٣٠٨
ابو غازي (راجع فيصل الأول)	ابراهيم عبدالقاهر المازني (راجع المازني)
ابو المحاسن (محمد حسن) ١٨٥ ، ١٩	ابسون ٤٩
ابو نواس ٤٤	ابن الأثير ٥
الاثري (محمد بهجة) ٢٤	ابن الخليفة ٢٥٨
احدم ٢٤٧	ابن دجلة ١١٥
احمد (الرسول ص) ٦٣	ابن دريد ٢٥٨ ، ١٦٧
احمد حسن الزيات ٦٩	ابن الراعي ٢٧٣
احمد زكي الخياط ١٠٥	ابن الرومي ٤٤
احمد شوقي (راجع شوقي)	ابن سلام ٥
احمد الصافي النجفي ١٦١ ، ٢٢	ابن الفارض ١٣
احمد الفخري ١١٢	ابن قتيبة ٥

الياس الكاتب ٢٢٦	احمد الكاشف ٣٨
اليوت (ت. س) ٢٨٣	الاحرس (عبد الغفار) ١١، ١٥٤،
اميرة نور الدين ٢٤	١٥٥، ١٧٧، ١٧٨، ٢٥٨،
امين خالص ١٠٥	اديب اسحاق ٣١
امين الريحاني (راجع الريحاني)	اديت سمرسكل ١٦٠
اندرية شنيه ٤٤	ارسطو ٤٣
انشتاين ٧٣	الازري (عبد الحسين) ٤٤، ٢٤،
انطوان تشيخوف ٢٣٠	١٦٢، ١٨٧
انكلز ٤٧	اسكندر (الاكبر) ١٠٣
انور خليل ٢٩٠	اسماعيل صبري باشا ١٥، ١٢٤
انور شاؤول ٢٢٨، ٢٣١، ٢٦٧	الافغاني (جمال الدين) ٣١، ٣٣، ٣٤، ٢١٥،
انيس ٢٧٤	اكرم احمد ٢٤
ايدن ١٦٠	البيركامو ٤٤
	الياس ابو شبكة ٢٧٢

﴿ حرف الباء ﴾

بجر العلوم (راجع محمد صالح)	باحثة البادية ٢٩٤
بدر شاكر السياب ٢٤، ٢٨٢، ٢٨٣،	البارودي ١١، ١٥، ٣٥، ٤٤، ١٢٤،
٢٨٤، ٢٨٧	١٧٨، ١٩٠، ١٩٣،
برسي كوكس ١٨، ٢٠، ٦٧، ١٠٢،	بايرون ٤٤
بركسون ٥١	البحثري ٧٤

بلفور ٣٠٨	برفادشو ٤٧
بلند الحيدري ٢٨٩	برهان الخطيب ٢٣١
البناء (عبد الرحمن) ١٦٢ ، ٧٥ ،	بريال محمود ٢٩٠
٢٢٦ ، ١٨٥	البراز ١٢
ب . ن ٢٤٦	بسيم الذويب ٢٤ ، ٢٣١ ، ٢٥٩ ،
بهجة الاثري (راجع الاثري)	٢٨٦ ، ٢٧٥ ، ٢٦٤
البوصيري ١٣	بشار بن برد ٤٤
بيغان ١٦٠	بشارة الخوري ١٢٥
	بل (مس) ٦٧

✽ حرف التاء ✽

التميمي ١٣ ، ١٧٧	تراجان ١٠٣
توفيق الحكيم ٢٢٥	ت . س اليوت (راجع اليوت)

✽ حرف الثاء ✽

الثعالي ١١٠

✽ حرف الجيم ✽

الجرجاني ٥	الجاحظ ٥ ، ٢٣٠
جعفر ابو التمن ٢٢٦	جاسم الدوري ٢٩٠
جعفر الحلي ١٢ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦	جيران ٨٩
١٨١ ، ١٧٨ ، ١٧٧	الجبرتي ١٤

جميل شلش ٢٩٠	جعفر الخليلي ٢٢٧
جميل صدقي الزهاوي (راجع الزهاوي)	جعفر العسكري ٢١٨ ، ٢١٩
جميل المدفعي ١٤١ ، ١٤٢	جعفر نصار ١٨٣
جنكيز ١٩٨	جمال باشا ١٨٥
جواد الشبيبي (راجع الشبيبي)	جمال الدين الافغاني (راجع الافغاني)
الجواهري (محمد مهدي) ٢٣ ، ٥٠	جمال عبدالناصر ١٦٣
١٠١ ، ١٥٦ ، ١٦١	جميل (بثينة) ٣٠٩
الجوهري ٢٥٨	

✽ حرف الحاء ✽

حسن الجواهري ٢٢٦	حاتم السكرخي ١١٥
حسن القطان ٢٩٠	الحاجري (محمد طه) ٢
حسين تيمور ٢٧٣	حارث المطلي ٢٩٠
حسين الرحال ٢٥٩	حازم مراد ٢٣١
حسين الشرع ١٨٣	حافظ ابراهيم ١٦ ، ١٧ ، ٢٢ ، ٣٦ ، ٣٨
حسين الطريفي ٢٢٦	١٦١ ، ١٢٠ ، ٧٥ ، ٤٤ ، ٣٨
حسين العشاري (راجع العشاري)	٢١٧ ، ٢٠٨ ، ١٨١
الحسين (بن علي بن ابي طالب) ١٢ ،	حافظ جميل ٢٤
١٣١ ، ١٨١	الحبوبي (محمد سعيد) ١١ ، ٢٣ ،
الحسين بن علي (الشريف، امير مكة،	١٨٥ ، ١٥٥
الملك) ٦٤ ، ١٠٦ ، ١٣١ ،	حسان يوسف المطلي ٢٩٠
١٤١ ، ١٨٠ ، ٢١٤	حسن البياتي ٢٩٠

حيدر الحلي ١١، ١٢، ١٣، ١٥٤،

١٨١، ١٧٧، ١٥٥

الحليمان (جعفر الحلي وحيدر الحلي)

١٧٧، ١٥٥

حسين علي محفوظ (الدكتور) ٢٠٦

حسين مردان ٢٨٩

حسين الحاج وهج ٢٣

حمدي الاعظمي ١٦٧

حمدي الباجه جي ١٦٧

✽ حرف الخاء ✽

خلف شوقي الداودي ٢٢٦

الخليل (الفرايدي) ٢٨٥، ٢٨١

خليل رشيد ٢٢٩

الخنساء ٢٩٤

خير الدين الزركلي ٣٠٨

خير الدين سلطان ٢٣١

خير العمري ٦٦

خير الهنداوي (راجع الهنداوي)

الخاقاني ١٤٥

خالد جواد موسى ٢٩٠

خالد الشواف ٢٥

خالد يوسف ٢٩٠

الخدوي ٢٠٧

خزعل (الشيخ، امير المحمرة) ٦٤،

١٩١، ١٤٥

خضر صالح ٢٦٣

خضر الطائي ٢٥، ٢٤

✽ حرف الدال ✽

الدجيلي ١٦

ديجيرون ١٠٥

ديكارت ٣٨، ١٦

دارون ٦٨، ٦٠

داود سلوم (الدكتور) ٢٨٩

داود صليوه ٢٤٥

﴿ حرف الذال ﴾

ذنون أيوب ٢٢٧

﴿ حرف الراء ﴾

١١١، ١١٢، ١١٣، ١١٤

١١٥، ١١٦، ١١٧، ١١٨

١١٩، ١٢٠، ١٢٥، ١٤٤

١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٩

١٦١، ١٧٨، ١٨١، ١٨٢

١٨٣، ١٨٥، ١٨٧، ٢٤١

٢٤٢، ٢٥٤

رضاء الدين الحيدري ٢٩٠

٧٢، ٧٤، ١١٧، ١١٨

١٨٥، ١٨٧، ٢٢٦، ٢٤٠

٢٤١، ٢٥٠، ٢٥٢، ٢٥٩

٢٦٦، ٢٨٤، ٢٨٥

الريحاني (أمين) ٢٠، ١٠٨، ٢٤٣

٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥٣

٢٦٧، ٢٧٨، ٢٨٦

راضي مهدي السعيد ٢٩٠

الرافعي ٣٨

رزق الله غنام ٢٤٤

رستم حيدر ١٨٦

الرسول (الكريم ص) ١٢

الرشيد (الخليفة العباسي) ٢٦٣

رشيد رضا ٣١

الرصافي (معروف) ١٦، ١٧، ٢٠

٢١، ٣٠، ٣٢، ٣٨، ٣٩

٤١، ٤٤، ٤٥، ٤٧، ٤٨

٤٩، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٣

٥٤، ٥٥، ٦٢، ٦٨، ٧٢

٧٣، ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٩٧

٩٩، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢

١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦

١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ١١٠

﴿ حرف الزاي ﴾

٧٦ ، ١١٢ ، ١٤٤ ، ١٥٤ ،

١٥٥ ، ١٦١ ، ١٧٨ ، ١٨١ ،

١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٨٧ ،

٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ،

٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٥٢ ، ٢٧٥ .

زهير غازي ٢٩٠

زاهد محمد ٢٩٠

زكي الصراف ٢٩٠

الزهاوي (جميل صدقي) ١٦ ، ٤ ،

١٨ ، ٢١ ، ٣٤ ، ٥٠ ، ٥٧ ،

٥٨ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ،

٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ،

٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ،

﴿ حرف السين ﴾

سعيد الشهابي ٢٢٦

سقراط ٣١

سكينة بنت الحسين ٢٩٤

سلمان الجبوري ٢٩٠

سلمان هادي الطعمة ٢٩٠

سليمان الدخيل ١٦٧

سليم بطي ٢٢٦

سليم سر كيس ٢٢٠ ، ٢١٩ ،

سمت ٢١

سمير الكواكب ٢٦١

السنوسي ٨٩

سارتر ٤٤ ، ٢٣١

ساطع الحصري ٣٥

ساغان ٢٩٥

سالم بن دارة ١١٥

سامي مهدي ٢٩٠

سان سيمون ٣٦

سعد زغلول ٢٠٩ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ،

السعدون (ابو علي عبد المحسن) ٦٧ ،

١٠٨ ، ١١٣ ، ١٩٣ ،

سعدني يوسف ٢٩٠

السعود الوهابي (الملك) ٧٠

﴿ حرف الشين ﴾

١٤٤، ١٤٣، ١٤٢	الشابي (ابو القاسم) ٩١، ٨٩، ٧٧
شداد ١٤٠، ١٣٣	٩٥، ٦٣، ٩٢
شدودي (الدكتور) ٢٢٠	شاتو بريان ٤٤
الشرقي (علي) ١٦١، ٥٠، ٢٤	شاذل طاقة ٢٨٧، ٢٤
الشريف الرضي ٧٣	شاكر خصباك ٢٣٠، ٢٢٩
شعيب (النبي) ١٦٣	شالوم درويش ٢٢٨
شفيق الكالي ٢٨٩	شبلي شميل (الدكتور) ٣٧، ٣٢
شكري (عبد الرحمن) ٤٩، ٣٦	الشبيبي (محمد باقر) ١٥٥، ١٩
شكري الفضلي ٢٧٥، ٢٤٣، ١٨٥	الشبيبي (محمد جواد) ١٦١، ٤٢، ٤٤
شكسيير ٢٣٨	١٥٥
شكيب ارسلان ٣١	الشبيبي (محمد رضا) ٥٠، ٣٤، ١٦
شوقي (احمد) ٤٩، ٤٤، ١٨، ١٦	١٢٦، ١٢٥، ١٢١، ١١٢
١٨١، ١٧٨، ١٥٦، ٧٥	١٣٢، ١٣١، ١٢٨، ١٢٧
٢١٧، ٢٠٧، ١٩٠	١٣٩، ١٣٨، ١٣٥، ١٣٤

﴿ حرف الصاد ﴾

صالح الحلبي ١٨٥	صادق البصام ١٤١
صبيح الغافقي ١٢٣	الصابي (راجع احمد الصافي النحفي)
صفاء الحيدري ٢٨٩، ٢٤	صالح جواد الطعمة (الدكتور) ٢٩٠، ٢٨٧

صلاح الدين الناهي (الدكتور) ٢٢٩

صلاح سعيد الحديثي ٢٩٠

صفاء خلوصي (الدكتور) ٢٣٠ ، ٢٢٩

صلاح الدين (الايوبي) ٢٧٣

﴿ حرف الطاء ﴾

٢١٩ ، ٢١٨ ، ١٩١

طه حسين ٢٢٥ ، ٣٦

طارق عبد الحافظ نور الدين ٢٧٠ ،

٢٨٦ ، ٢٧٥

طالب النقيب ١٠٦ ، ١٠٥ ، ١٠٢ ،

﴿ حرف العين ﴾

عبد الحميد (السلطان العثماني) ٤٧ ،

٦٣ ، ٦٢

عبدالرحمن البناء (راجع البناء)

عبدالرحمن الربيعي ٢٣١

عبدالرحمن النقيب ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٧

عبد الرحيم محمد علي ٢٠٦

عبدالرزاق حسين ٢٩٠

عبدالرزاق الشيخ علي ٢٢٩ ، ٢٣١

عبدالرزاق محي الدين (الدكتور)

١٥٦ ، ٢٤

عبدالرزاق المطلبي ٢٣١

عبدالستار الدلمي ٢٩٠

عبدالستار القره غولي ٢٥ ، ٢٦٩

عائكة وهي الخزرجي (الدكتورة)

٢٥ ، ٢٤

عامر رشيد السامرائي ٢٣١

عباس جبر ٢٩٠

عبد الامير الموسوي ٢٩٠

عبد الباقي العمري ١١ ، ١٥٥ ، ١٧٨

عبد الجبار داود البصري ٢٩٠

عبد الجبار خضر ٢٩٠

عبد الجبار المطلبي (الدكتور) ٢٨٩

عبد الجليل رزق الله اوفى ٢٤١

عبد الحسن زلزلة (الدكتور) ٢٤

عبد الحسين الازري (راجع الازري)

عبد الحق حامد ٢٢٦ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠

عبدالمجيد فليح ٢٩٠
عبدالمجيد لطفي ٢٢٨
عبدالمحسن السعدون (راجع السعدون)
عبدالمحسن الكاظمي (راجع الكاظمي)
عبدالمطلب الحلي ١٨٥
عبدالمملك نوري ٢٣٠ ، ٢٣١
عبدالواحد خماس ٢٢٣ ، ٢٣١ ، ٢٣٢
عبدالوهاب الامين ٢٢٩
عبدالوهاب العيسى ٢٩٠
عبدالوهاب النعمي ٢٣١
العبيدي (محمد حبيب) ١٧٨ ، ١٨٥
عراي ١٤ ، ١٦ ، ١٨ ، ١٩٠
عروة ٣٠٩
العريسي ١٠٧
عطاء الله باشا (والي بغداد) ٢١٥
العشاري (حسين) ١١ ، ١٣ ، ٢٥٨
العقاد (عباس) ٣٦ ، ٤٩ ، ٢١٧ ، ٢١٨
علاء الدين الآلوسي ١٨٣
علي الحسيني ٢٩٠
علي الخطيب ٢٤

عبدالغفار الاخرس (راجع الاخرس)
عبدالغني الجميل ٢١٥
عبدالقادر البراك ١٤٩
عبدالقادر رشيد السكيلاي ٢٢٦
عبدالقادر المغربي ٢١٩
عبدالقادر المميز ١١٥
عبدالقادر الناصري ٢٤
عبدالكريم الدجيلي ٢٤ ، ٢٣٧
عبدالكريم الكرمي ٣٠٨
عبدالكريم العلاف ١٧
عبداللطيف الراوي ٢٣١
عبداللطيف السامرائي ٢٧٠
عبداللطيف الشهابي ٢٤
عبدالله بن الحسين (الأمير ، الملك)
١٩١ ، ٢٠٩
عبدالله سلام ١٦٧
عبدالله فكري ١١
عبدالله نيازي ٢٢٩ ، ٢٣١
عبدالله نديم ٣٥
عبدالمجيد حسيب القيسي ١٠٥

عمير بن شميم التغلبي القطامي ٦٨
عناية الحسيناوي ٢٩٠
عنتر بن شداد ١٣٣ ، ١٤٠ ، ٢٧٦

علي الشريقي (راجع الشريقي)
علي الطريحي ١٨٣
علي يوسف (الشيخ) ٢٠٦
عمران القيسي ٢٩٠

﴿ حرف الغين ﴾

غازي الكيلاني ٢٩٠
الغلامي ١٥

غائب طعمه فرمان ٢٣١
غازي (الملك) ١١٠ ، ١٠٥

﴿ حرف الفاء ﴾

فطينة النائب ٢٤
فهيم المدرس ١٨٦
فؤاد السكري ٢٢٩ ، ٢٣١
فؤاد الخطيب ٣٠٨
فيصل الاول (الملك) ٢١ ، ٥٨ ، ٦٧ ،
١٠٥ - ١١١ ، ١٣١ ، ١٩٣

فدوى طوقان ٢٩١ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ ،
٣٠٧
فرج رزوق (الدكتور) ٢٩٠
فروخ (الدكتور) ٩٤ ، ٩٣
فرنسيس فتح الله ٣٦
الفرطوسي ١٥٦
فرعون ١٦٣

﴿ حرف القاف ﴾

القزويني ٢١٥
قيس ٣٠٩

قاسم أمين ٢١ ، ٦٠
قحطان المدفعي ٢٩٠

﴿ حرف الكاف ﴾

كعب بن زهير ١٣	كارل ماركس ٥١، ٤٩، ٤٧، ٣٧
كامل ابراهيم ٢٧٢	كاظم آل نوح ١٨٥
الكواكبي (عبدالرحمن) ٣٣، ٣١	كاظم جواد ٢٨٩
كوستاف لوبون ٧٤، ٧٣	كاظم الدجيلي ٢٤
كوك ٢١	كاظم السماوي ٢٩٠
كولج ٢٨٩، ٤٣	الكاظمي (عبدالمحسن) ٢٠١، ٣٥،
كولن ولسن ٢٣١	٢٢٠ - ٢٠٣
كيتس ٤٤	كب (السير هملتون) ٢٢٥
	كراجوفسكي (المستشرق الروسي) ٢٢٦

﴿ حرف اللام ﴾

لمبة عمارة ٢٨٩، ٢٤	لافونتين ٢٥
لمبلي الاخيلية ١٩٤	لامرتين ٤٤

﴿ حرف الميم ﴾

مثنى حمدان العزاوي ٢٩٠	ماجد الوتار ٢٩٠
محسن الحضري ١٢	ماركس (راجع كارل ماركس)
محمد (الرسول ص) ١٣٣	المازني (ابراهيم عبدالقادر) ٤٩، ٣٦،
محمد أمين حسونة ٢٢٧	٢٨٦، ٢٥٧
محمد باقر الحلي ١٧	مالك المطليبي ٢٩٠
محمد باقر (راجع الشيبلي)	المتنبي ٢٣٨، ٢٠٧، ١٤٢، ١٠٩، ٩٤

محمد بسيم الذويب (راجع بسيم الذويب)	محمد احمد ٧٣، ٧٤
محمد جواد الحلبي ٢٩٠	محمد احمد السيد ٢٢٦
محمد حبيب العبيدي (راجع العبيدي)	محمد توفيق ٢٢٦
محمد حسن آل ياسين ١٤٩	محمد تيمور ٢٢٥
محمد حسن ابوالحاسن (راجع ابوالحاسن)	محمد الجبوي ٢٤
محمد خليفة التليسي ٨٩	محمد الحبيب ٢٣٠
محمد السماوي ١٨٣	محمد الربيعي ٢٩٠
محمد سعيد الجبوي (راجع الجبوي)	محمد شكري الآلوسي ٢٢٥، ٢١٥، ١١
محمد سعيد الحلبي ٢٨٥	محمد صبحي الدقيري ٧٦
محمد شيث الجومرد ١٣	مدحة باشا ١٢٣
محمد صالح بحر العلوم ٢٣، ١٥٦، ١٦١	مدحة ٢٦٣
محمد الصدر ١٤٢	مراد الفاتح ١٣٢، ١٣٣
محمد طه الحاجري (راجع الحاجري)	مراد ميخائيل ٢٥٤، ٢٦٨
محمد عبده ٢٠٩، ٢٠٧، ٣١	مزاخم الباجه جي ١٦٧
محمد علي الخفاجي ٢٩٠	مصطفى جواد (الدكتور) ٢٦٨
محمد علي اليعقوبي (راجع اليعقوبي)	مصطفى صادق الزايعي ٣٦
محمد محي عبد الحميد ١١٥	مصطفى علي ١٠٠، ١١٤، ١١٩، ٢٥٩
محمد مهدي البصير (الدكتور) ١٧، ١٨٥	مصطفى الواعظ ١٨٣
محمد النقدي ٢٩٠	مطران (خليل) ٤٤
محمد الهاشمي ١٦٥، ١٦٧، ١٧٠	مطلق عبد الخالق ٣٠٨

مود (الجنرال) ١٠٢، ١٠٣، ١٨٩

موسى (النبي) ١٦٣

موفق خضر ٢٣١

مولود مخلص ٢١٩

مير بصري ٢٦٩

المظفري ٢٣

معروف العرناؤوط ١١٥

المعتصم (الخليفة العباسي) ١٨٦

معمر خالد الشابندر (الدكتور) ٢٢٦

المنفلوطي ٢٢٥

مهدي مقلد ٢٤

✽ حرف النون ✽

نسيم (الشاعر المصري) ١٨

نعمان الاعظمي ١٦٧

نعمان خير الدين الآلوسي ١٣

نعمان الكنعاني ٢٤

نقولا فياض (الدكتور) ٢٥٣، ٢٨٦

نهاد التكريلي ٢٢٩

نوري ثابت ١١٥

نابليون ٢٧٥، ٤٥، ٤٤

ناجي شوكة ١٨٦

ناجي القشطيني ١٧

نازك الملائكة ٢٤، ٢٨٢، ٢٨٣،

٢٨٥ - ٢٨٧، ٢٧٩

نجم الجبوري ٢٩٠

نزار سليم ٢٢٩، ٢٣٠

✽ حرف الهاء ✽

هملتون ٢٢٥

هنري ابسن ٤٧

الهنداوي (خيرى) ١٦، ١٨، ١٠٢، ١١٠

١١٢، ١١٦، ١٦٢، ١٧٥، ١٨٠ -

١٨٨، ١٩٠ - ١٩٢، ١٩٤، ١٩٦، ١٩٨

هادي الربيعي ٢٩٠

هادي العادلي ٢٩٠

هاشم الطعان ٢٩٠

هبة الدين الشهرستاني ٩٢

هلال ناجي ٢٤، ٢٨٩

هيكل (هيجل) ٣٦ |

هولاكو ١٠٣

﴿ حرف الواو ﴾

ولسن ٦٠	والت وتمان ٢٥٣، ٢٤٨
ووردزورث ٢٨٩، ٢٨٨، ٤٣	وداد سكا كيني ٢٢٧
ويليامس ١٠٥	وردة اليازجية ٢٩٤

﴿ حرف الياء ﴾

اليقوبي (محمد علي) ١٥٥، ١٥١	ياسين حسين ٢٣١
١٨٥، ١٦١، ١٥٨، ١٥٦	ياسين الهاشمي ٢٧٢، ١٨٦، ١٤١
يوسف رجب ٢٢٦	٢٧٣
يوسف السويدي ١٦٧	يعقوب بلبول ٢٢٨
يوسف متي ٢٢٦	يعقوب شاؤول ٢٢٦

الامكنة و البقاع

✽ حرف الالف ✽

الاندلس ٢٨٨، ٢٣٦، ١٩٠	ابو صيدا ١٨٣
انكلترة ٤٣، ١٣٠، ١٦٠، ١٧٧	ابو غريب ١٠٥
اوربا ١١، ٣٠، ٣٣، ٣٧، ٤٦	الاردن ٣٠٨
٤٧، ٤٩، ٢٤٠، ٢٧٦، ٢٨٠	الاستانة ٥٣، ٥٤، ١٢٣، ١٢٤، ١٥٣
او كسفورد ٤٣، ٧٣	الاسكندرية ٢، ٢٨٧
ايران ٢١٥	افريقيا العربية ٩٥
ايطالية ٤٣	الاقطار العربية ٩٣، ١٢٤
	امريكا ٢٣٧

✽ حرف الباء ✽

بغداد ٢، ٨، ١٣، ٢٩، ٣٤، ٥٤	الباب الشرقي (في بغداد) ٢٣٢
٦٠، ٦٢، ٦٥، ٦٦، ٧١	بابل ٦١، ١٨١، ٢٤٥، ٢٤٦
١٠٢، ١٠٣، ١٠٥، ١٢١	باريس ١١، ١٠٧
١٣١، ١٥٣، ١٥٦، ١٥٧	الباستيل ٧٩
١٦٧، ١٦٨، ١٧٧، ١٨٣، ١٨٥	البحرين ٨٠
١٩١، ١٩٣، ٢١١، ٢١٣	بردى ٣٤
٢١٥، ٢٣٢، ٢٥٢، ٢٦٣	برلين ١٣١
٢٦٨، ٢٧٩، ٢٨٥	بريطانيا ١٦١، ١٨٠
	البصرة ١٣، ١٢٠، ١٥٤، ١٩١

٢١٤ ، ٢٢٤ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ،

٢٧٥ .

البلاط الملصكي (العراقي) ١٦٨

البلقان ١٨٤ ، ١٨٦

بورسعيد ١٦٣

بيروت ١٠٨ ، ١٦٧ ، ٢٦٧

البلاد العربية (بلاد العرب ، البلدان

العربية ، بلد عربي) ١١ ، ١٥ ، ٨٠ ، ٦

٤٥ ، ٣٨ ، ٤٥١ ، ٦١ ، ٩٤ ، ٩٥

١٠٦ ، ١٠٧ ، ١١٩ ، ١٢٤ ،

١٥٣ ، ١٥٧ ، ١٧٩ ، ١٨٤ ،

١٨٨ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٢ ،

✽ حرف التاء ✽

تونس ٧٩ ، ٨٠ ، ٩٠ ، ٩٣ ، ٩٥ ، ١٥٩

تركية ١٦٧ ، ١٧٩

✽ حرف الجيم ✽

جامعة ليننغراد ٢٢٧

الجزائر ٧٩ ، ٨٠ ، ١٥٩

الجزيرة (في العراق) ٢٦ ، ١٣٦ ، ١٤٢

الجزيرة (العربية) ١٣١

الجامع الازهر ١٦٨

جامعة الاسكندرية ٢

جامعة اكسفورد ٧٣

جامعة بغداد ٢

✽ حرف الحاء ✽

حديقة غازي (في بغداد) ٢٣٢

الحرمان (مكة والمدينة) ٢١٢

الحلة ١٢٨ ، ١٨٩ ، ١٩٦ ، ١٩٧

حاجر ١٣

الحجاز ١٠٦ ، ١٤٠ ، ٢١٠

حديقة الامة (في بغداد) ٢٣٢

✽ حرف الخاء ✽

الخليج (العربي) ١٤٠

﴿ حرف الدال ﴾

الردنيل ١٥٩ ، ١٦٠	الدار التونسية ٩٠
دمشق ٣٤ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٤١ ،	دار السلام (بغداد) ١٩٣
١٤٢ ، ١٦٨ ، ٢٠٣ ، ٣٠٧	دار الكتب (المصربة) ١٢٠ ، ١٦١
ديالى (لواء) ١٨٣	دار المعلمين العالية (في بغداد) ١٢٠
الديوانية ١٢٨ ، ١٨٣	دجلة (نهر) ٣٤ ، ١١٥ ، ١٢٧ ،
	١٨٨ ، ١٣١

﴿ حرف الراء ﴾

روسيا ٧٩ ، ١٦٧	الرافدان (دجلة والفرات) ١٣١
رويال سينما (في بغداد) ١٦٨	رامة ١٣
	الرصافة (في بغداد) ١٩٥

﴿ حرف السين ﴾

١٤١ ، ١٣١ ، ١٢٨ ، ٩٥ ،	سامراء ١٥٤
٢١٩ ، ٢١٨ ، ١٥٤ ، ١٥٣ ،	السد العالي ١٦١
٢٨٦ ، ٢٥٣	سلانيك ١٨٤ ، ١٨٦
السويس ١٦٣ ، ١٦٤	السودان ٢١٢
سيلان ١٩٠ ، ١٩٣	سوريا (سورية) ١٦ ، ٦٦ ، ٨٠ ،

﴿ حرف الشين ﴾

الشرق ٤٧ ، ١٣٠ ، ١٥٧ ، ١٦١ ،	الشام (الشام) ٣٦ ، ١٠٧ ، ١٦٢ ،
٢١٦ ، ٢١٢ ، ١٧٢	٣٠٧ ، ٢٦٢ ، ٢٢٥ ، ٢١٢ ، ٢١١

الشنافية ١٨٣

الشرق العربي ٩٥

﴿ حرف الصاد ﴾

الصين ٧٩ ، ٨٠

الصدغ ٤٦

الصويرة ١٩٥

﴿ حرف الضاد ﴾

ضارج ١٣

﴿ حرف الطاء ﴾

الطرف الاغر (في لندن) ١٦٠

طبرية (بحيرة) ١٥٨

﴿ حرف العين ﴾

١٦٢ ، ١٧١-١٧٣ ، ١٧٧-١٨١

العالم العربي (عالمنا العربي) ٢٩ ، ٦٤

١٨٤ - ١٨٦ ، ١٨٩ ، ١٩١ ،

١٧٩ ، ٢١٤ ، ٢٢٦ ، ٣٠٧

١٩٣ ، ١٩٦ ، ١٩٨ ، ٢٠٣ ،

عاليه ١٠٧

٢٠٤ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٥ ،

عبادان ١٧٢ ، ١٧٣

٢٢٣ - ٢٢٧ ، ٢٣١ - ٢٣٣ ،

العراق ٤ ، ٨ - ١٠ ، ١٤ - ٢٠ ،

٢٣٥ ، ٢٣٧ ، ٢٤٠ ، ٢٤٤ ،

٢٤ ، ٤٩ ، ٥٩ ، ٦٢ ، ٦٤ - ٦٧

٢٤٥ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٧٣ ،

٧١ - ٧٣ ، ٧٦ ، ٩٥ ، ١٠٢ -

٢٧٥ - ٢٧٧ ، ٢٧٩ ، ٢٨٧ ،

١٠٧ ، ١٠٩ ، ١١١ - ١١٣ ،

العراقان ١٣٦ ، ١٣٨

١١٥ ، ١١٧ ، ١١٩ ، ١٢٣ - ١٣٠

عفك ١٨٣

١٣٣ - ١٣٨ ، ١٤٠ - ١٤٣ ،

عمان ٢١٨، ٨٠ | العمارة ١٨٣

﴿ حرف الغين ﴾

الغربي ١٤٥ | الغرب ١٥٩، ١٣٠، ٥١، ٤٧، ٤٨
غزة ١٥٨ | ٢٣٩، ٢٣٨، ٢٢٥، ١٦١
الغوطتان ١٣٢ | . ٢٨٠

﴿ حرف الفاء ﴾

فلسطين ١٥٨، ١٦٢، ٢٠٧، ٢٧٩ | الفرات (نهر) ١٢٨، ١٢٦، ٣٤
٣٠٨ | ١٩٠، ١٣٦، ١٣٤، ١٣١
الفلوجة ١١٥ | فرنسا ٢١٨، ١٤١، ٨٠، ٧٩، ٤٣

﴿ حرف القاف ﴾

٢٨٤، ٢٤٠، ٢١٩، ٢١٦ | القاهرة ١١، ٦٠، ١٢٦، ١٧٩
٢١٣، ٢٠٦، ٢٠٣، ١٩٦

﴿ حرف الكاف ﴾

كلية الآداب (في بغداد) ٨ | الكاظمية ١٥٤
الكنانة ١٩٦ - ١٩٨ | كربلاء ١٥٤
الكوفة ١٢٨ | الكرخ (في بغداد) ١٦٧

﴿ حرف اللام ﴾

لبنان ١٥٣، ١٥٤، ٢٩٤، ٢٩٥

﴿ حرف الميم ﴾

١٩٣ ، ١٢٠

مدائن كسرى ١٩٦

مجلس الأعيان (في بغداد) ٧٢ ، ٧٣ ،

الشعوب والجماعات والفرق

﴿ حرف الالف ﴾

٢٨٠ ، ٢٧٨

الافرنج (الافرنجي) ٣٥ ، ٢١٩ ،

٢٣٧ ، ٢٣٩ ، ٢٤٢

الألمان (الالمانى ، الالمانية) ٧٣ ،

١٣٠ ، ٢٢٦

الامريكى (الامريكى) ٢٥٣ ، ٢٥٠ ،

٢٨٣ ، ٢٨٢

الاندلسيون ٢٨١

الانكليز (الانكليزي الانكليزية)

١٧ ، ١٨ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٦٤ - ٦٨

١٠٢ - ١٠٤ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ،

١١١ ، ١١٧ ، ١٣٠ ، ١٣١ ،

١٤١ ، ١٤٢ ، ١٦٣ ، ١٦٧ ،

١٨٥ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٣ ،

٢٢٣ ، ٢٢٦ ، ٢٦٥ ، ٢٧٦ ،

آل الحسين ١٨١

آل محرق ١٣٣ ، ١٤٠ ،

ابولو (جماعة) ٢٨٦

الاتحاديون ١٠٧ ، ١٦٧ ،

الاتراك ٣٣ ، ٣٤ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٨ ،

٧٠ ، ١٠٧ ، ١٠٩ ، ١٦٧ ،

٢٢٦ ، ٢٤٢

الاسرائيلي ٣١٧

الاسلام (الاسلامى ، الاسلامية) ٥٠ ،

٧ ، ٨ ، ١١ ، ١٦ ، ٢١ ، ٢٣ ،

٢٥ ، ٣٠ ، ٣٢ - ٣٥ ، ٥٢ ،

٦١ ، ٦٣ ، ٧٩ ، ٩٩ ، ١٠٦ ،

١٠٧ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٣٠ ،

١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٨٤ ، ١٨٦ ،

١٨٨ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢٧٧ ،

٣٥ ، ٣٦ ، ٤٣ - ٤٥ ، ٤٩ ،

٥٣ ، ٢٢٣ ، ٢٧٧ ، ٢٨٠ ، ٢٨٣

اياد ١٣٣ ، ١٤٠

٢٧٧ ، ٢٧٩ ، ٢٨٢ - ٢٨٤ ،

٢٨٩ ، ٣٠٧

الاوربيون (الاوربي) ١٦ ، ٣٠ ،

﴿ حرف الباء ﴾

١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩١ ، ٢١٤

البربر ٢٣٦

البريطاني (البريطانية) ١٠٢ ، ١٤٢ ،

﴿ حرف التاء ﴾

٢٢٦ ،

التريك (التركي . التركية) ٣٣ ،

التميسيون ١٠٩

١٥٣ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ٢١٥ ،

﴿ حرف الجيم ﴾

١٠٦ ، ١٨٠ ، ١٨٥ ، ١٨٧ ،

١٨٨ ، ١٩١ ،

الجاهلي (الجاهلية) ٢٠٥ ، ٢٠٦ ،

١٢٦ .

جمعية الاتحاد والترقي ٥٣ ، ٥٩ ، ٦٧ ،

﴿ حرف الحاء ﴾

حزب الحربة والائتلاف ١٨٧

حزب العمال (البريطاني) ١٦٠

الحسينيون ١٠٦

الحلفاء ٥٩ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١٤١

الحجازي ٣٠

حزب الائتلاف ١٨٠ ، ١٨٧ ،

حزب الاتحاد السوري ٢١٦

حزب الحر المعتدل ٦٧ ، ٦٨ ،

﴿ حرف الخاء ﴾

خلفاء النبي ٠٣

﴿ حرف الزاء ﴾

الروس (الروسية) ١٦٧ ٢٢٣٤

الرومانية ٤٤ ٤٦٦

رابطة الأدب الحديث ١١

الرفاعية ١٣

﴿ حرف السين ﴾

السوري ١٦٢ ٢١٦٦

﴿ حرف الشين ﴾

٢٩٨ ٢٩٩٦

(الشرق . الشرقية)

٦٣٥ ٦٣٧ ٦٣٧ ٦٣٩ ٦٣٠

﴿ حرف الصاد ﴾

الصقالبة ٢٣٦

﴿ حرف الطاء ﴾

الطورانية ٣٣

﴿ حرف العين ﴾

١٥٤ ١٥٥ ١٥٧ ١٥٩ ١٥٤

١٦١ ١٧٢ ١٧٣ ١٨٤ ١٦١

١٨٧ ١٩١ ١٩٢ ١٩٤ ١٨٧

١٩٥ ٢٠٣ ٢٠٦ ٢٢١ - ٢٢١

٢٢٥ ٢٢٨ ٢٢٩ ٢٣٠ ٢٢٣

العراقيون (العراق . العراقية) ١٥

١٧ ٣٤ ٥٥ ٦٧ ٧٠ ٦٧

١٠٢ ١٠٦ ١٠٩ ١٢٣ ١٠٢

١٢٤ ١٢٨ ١٣٠ ١٣٢ - ١٣٢

١٣٤ ١٤ ١٤٢ ١٤٤ ١٤٤

٢٠٨ ، ٢١٠ - ٢١٤ ، ٢١٦

٢١٩ ، ٢٢٣ - ٢٢٥ ، ٢٢٧

٢٣٠ ، ٢٣٦ - ٢٣٩ ، ٢٤١

٢٤٢ ، ٢٤٥ ، ٢٤٨ ، ٢٥٣

٢٥٨ ، ٢٧٥ ، ٢٧٧ ، ٢٧٩ -

٢٨٥ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٤

٢٩٥ ، ٢٩٧ ، ٣٠٢ ، ٣٠٧

٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣١١ ، ٣١٣

٣١٦ ، ٣١٩ .

العمانيون (العثماني . العمانية) ١٤ ،

١٦ ، ٣٠ ، ٤٧ ، ٥٣ ، ٥٩

٦١ ، ٦٣ ، ٦٥ ، ٦٨ ، ٧٠

١٠٦ ، ١٢٣ ، ١٢٩ - ١٣١ ،

١٣٤ ، ١٤٣ ، ١٥٣ ، ١٥٩

١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨٤ ، ١٨٥

١٨٧ ، ١٩١ ، ٢١٤ ، ٢١٥

٢٧٧ .

٢٣٢ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٧٢

٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٧٩ .

العباسي (عباسية) ٢٥ ، ٣٥ ، ٢٣٦

٢٩٤ .

العرب (العربي . العربية . العروبة)

٣ ، ٥ - ١١ ، ١٤ - ١٩ ،

٢٥ ، ٢٦ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٣ - ٣٥

٣٩ ، ٤٠ ، ٤٤ ، ٤٩ ، ٥١

٦٠ - ٦٢ ، ٦٤ ، ٦٦ ، ٦٩ ، ٧٣

٨٠ ، ٩٥ ، ١٠٢ ، ١٠٦ ، ١٠٧

١٠٩ ، ١١١ ، ١١٩ ، ١٢٣ -

١٢٥ ، ١٢٨ ، ١٣١ - ١٣٤ ،

١٣٩ ، ١٤٠ - ١٤٤ ، ١٥٣

١٥٤ ، ١٥٦ ، ١٥٨ ، ١٦٩

١٦٣ ، ١٦٧ ، ١٦٩ ، ١٧٨ -

١٨٧ ، ١٩١ ، ١٩٣ ، ١٩٤

١٩٦ - ١٩٨ ، ٢٠٣ ، ٢٠٦

* حرف الغين *

٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩

٢٧٨ ، ٢٨٤ .

الغربيون (الغربي . الغربية) ٣٥ ، ٣٩

٤٥ ، ٤٧ ، ١٢٥ ، ١٣٠ ، ٢١٦

٢٧٢ د ٨٥٧ د ٦٥٢ د	حرف الفاء	٨٠٧ د ٠١٢ - ٣١٢ د ٢١٢ د
٢٧٢ د ٧٧٢ د ٧١٤٧ د	الفرعونية	٣٤ ، ٣٣ (الفارسية)
٥٢٨٥ د (قيسلج) رصليبا	القرنجي	د الفرنسيون (الفرنسي) . الفرنسية)
٣٨٢ ٢٩٥	الفاستينية	٨٠ ، ٥٣٧ ، ٤٤٧ ، ١٥٦ ، ١١١ ، ٦٥٢ د
(الفندال) ٣٣٦ د		١٥٣ ، ٨٥ ، ١٣١ ، ٥٦١ ، ٠٦٧ ، ٢١٩ ، ٤٦٧ د
٣١٥ - ٨٠١ د		٥٨٣ ، ٠٨٥ ، ٢٢٦ ، ٤٢٣ ، ٣٦٢ د
٥٢٥ د ٢٢٥ د ٨٢٥ د ٠٦٥ د	حرف القاف	٥٨٢ د ٧٨٢ د ٢٠٣ د ٧٠٣ د
٨٣٥ د ٠٣٥ د ٣٣٥ د ٨٣٥ د	القياصرة ٧٩	٨٠٣ د ٨٠٣ د ١١٣ د ٧١٣ د
٠٢ - ٢٢٢ د ٣٢٢ د ٢٢٢ د ٦٧		٢١٣ د ٢١٣ د ٢٣٦
٠٨٥٥٨ د ٢٠١٥٠ د ٠١٥٧٠١		٣١ د (قيسلجا ، رصليبا) ن رصليبا
٨٠١ د ١١١ د ٨١١ د ٧١١ د	حرف الكاف	٢١١ د ٠٣١ د ٧٣١ د ٦٥١ د
٥٢١ د ٨٢١ د ١٦١ - ٣٦١ د		١٢١ د ٦٢١ د ٥٢١ د ٨٢١ د
٢٦١ د ٠٣١ د ٣٣١ د ٠٣١ د	حرف اللام	٢٠١ د ٣٢١ د ٢٢١ د ١٦١ د
٣٥١ د ٢٥١٤٠٨٥١٣٣ د	الحلم	٣٦١ د ٦٣٤٦ ، ٤٣
٦٢١ د ٧٢١ د ٢٢١ د ٧١١ د	حرف الميم	٢٧١ د ٠٨١ د ٣٨١ د ٥٨١ د
٧٨١ د ١٢١ د ٣٢١ د ٣٢١ د	المصريون (المصري . المصرية) ، ٣٤	٧٨١ د ١٢١ د ٣٢١ د ٣٢١ د
٢٢١ - ٨٢١ د ٣٠٢ د ٢٠٢ د		٢٤٢ ، ٢٣٩ (المتفرنجون)
٢٢٥ ، ٢١٤ ، ١٥٤		٧٧٢
٢٨٨ ، ٢٧٥	المهجري	٣٧ ، ٣٠ (المسلم . مسلمة)
٣٣٦ د (قيسلجا ، رصليبا) ن رصليبا	الموالي	١٧٩ ، ١٦٨ ، ١٦٧ ، ٦٢ ، ٦١
٥٣٥ د ٧٣٥ د ٥٢١ د ٠٧١ د ٢١٢ د		٠٧٢ د ١٦٢٢١٢٥١٨٤ د ٦٧٢ د
		٨٧٢ د ٣٨٢ د ٢١

- | | | | | | | | |
|----------|--------------------|--------|--------------------------|-----|----------------------|-----|--------|
| ٨٨٦ | شمال | ١٩٠٠ | حرف النون | ٦٨٦ | ذرة طلوع | ١٥٠ | لنقلها |
| ١٥٦، ١٥٥ | النجفي | ١٣ | حرف الهاء | ٢١٣ | نصرانية | ١٥٦ | ٦٨٦ |
| ٤٧ | الترويحي | ١٣ | حرف الواو | ١٣ | النقشبندية | ١٤٧ | ١٠٩ |
| ١٩١ | الهواشم | ١٩١ | حرف الياء | ٢٢٢ | اليوناني (اليونانية) | ٤٤ | ٤٦ |
| ٣٧٥ | (قديج) له كالا | ٢٠١ | المصادر والمراجع والماخذ | ٣٧٥ | حرف الالف | ٣٢٦ | ٨٢٦ |
| ٧٠، ٦٢ | الوهامية (الوهاني) | ٧٠، ٦٢ | الابناء والبنون | ٢٢٦ | الابناء والبنون | ٢٢٦ | ٧٣٦ |
| ١٧ - ٢٢ | حرف الالف | ٢٢٦ | ابو احمد (جريدة) | ١١٥ | ابو احمد (جريدة) | ١١٥ | ٣٢٦ |
| | حرف الالف | | ابو القاسم الشامي | ٨٩ | ابو القاسم الشامي | ٨٩ | |

المصادر والمراجع والماخذ

- | | | | |
|---------------|-------------------------------|---------------|--------------------------|
| ٨٢٦ | (قديج) الالف | ٢٢٦ | الابناء والبنون |
| ٢٨٤ | ازهار ذابذة لبدري شاكر السياب | ٢٢٦ | ابو احمد (جريدة) |
| ٢٦٣، ٢٦٢ | الاستقلال (جريدة) | ٢٦٣، ٢٦٢ | ابو القاسم الشامي |
| ٢٦٤، ٢٦١، ٢٧٣ | الاسوار لخالد الشواف | ٢٦٤، ٢٦١، ٢٧٣ | احرار وعبيد لشالوم درريش |
| ٢٢٢ | اسورة من نحاس لمحمد الهاشمي | ٢٢٢ | الاخلاق (مجلة) |
| ١٦٩ | الاصابة (مجلة) | ١٦٩ | الادب العصري لرفائيل بطي |
| ٧٥ | الاعتدال (مجلة) | ٧٥ | |
| ١٣٩ | | ١٣٩ | ١٨٥، ٧٥، ٦٦ |

الفية ابن مالك ٢٨٩
ام القرى للكواكي ٣١
امام الباب المغلق لعدوى طوقان ٣٠٤
٣٠٧ ، ٣١٠ .
امرأة سيئة السمعة لبسيم الذويب ٢٣١
الأم (جريدة) ١٠٧ ، ١٠٢ ، ٧٤
انطوان تسيخوف لساكر خصباك ٢٣٠
اهل الكهف لخضر الطائي ٢٥
الاوشال للزهاوي ٦٩ - ٧١

اعطنا حباً لعدوى طوقان ٢٩٦ ، ٢٩٧ ،
٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠٤ ،
٣٠٦ .
اعباد لعبدالله نيازي ٢٣١
اغاني الحياة لابي القاسم الشابي ٩٠ ،
٩١ ، ٩٤ ، ٩٥
اقاصيص شتي للدكتور صلاح الدين
الناهي ٢٢٩
الف ليلة وليلة ٢٧٦

﴿ حرف الباء ﴾

البلاغ (مجلة) ١٤٩
البلد (جريدة) ١٤٩
البند في الادب العربي لعبدالكريم
الدجيلي ٢٣٧ .

البرق (جريدة) ١٢٨
بعض الناس لشالوم درويش ٢٢٨
بغداد (جريدة) ٢٦٨
البلاد (جريدة) ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٦٩

﴿ حرف التاء ﴾

التسكيت والتبكييت (مجلة) ٣٥

تثنية الأقاويص للدكتور صلاح الدين
الناهي ٢٢٩ .

﴿ حرف الشاء ﴾

الثقافة (مجلة) ١٥٤ ، ١٨٤

الثمالة للزهاوي ٣٤

﴿ حرف الجيم ﴾

جهد المغرب العربي (ليعقوبي) ١٥٩	جلال و خالد محمود أحمد السيد ٢٢٧
	الجزيرة الأولى ليعقوب بلبول ٢٢٩

﴿ حرف الحاء ﴾

الهاشمي ١٦٨	الحارس (جريدة) ١٢٣
الحرية (مجلة) ١٤٨ ، ٢٤١ ، ٢٤٣ ،	الحب أقوى لحازم مراد ٢٣١
٢٤٤ ، ٢٤٨ ، ٢٥٢ - ٢٥٤ ،	حزبوز (جريدة) ١١٥
٢٥٧ ، ٢٥٨	حبل الاعتصام في وجوب الخلافة في
الحصاد الاول لانور شاؤول ٢٢٨	الاسلام لمحمد حبيب العبيدي ٦١
الحصاد الثاني لانور شاؤول ٢٢٨	الحديث (الشريف) ١٤٥
حصاد الشوك لعبد الرزاق الشيخ علي	الحديث الحلبية (مجلة) ٢٢٥ ، ٢٢٧
٢٢٩ .	حديث عن أحسن الحديث لمحمد

﴿ حرف الخاء ﴾

خيرى الهنداوي حياته وشعره للدكتور	خلاصة تاريخ تونس ٨٠
يوسف عز الدين ١٩٨	خطوات الى الافق البعيد لبرهان
	الخطيب ٢٣١

﴿ حرف الدال ﴾

الدراسات الشرقية (مجلة) ٢٢٧	دائرة المعارف البريطانية ٤٣
دليل الجمهورية العراقية ١٤٢	دائرة معارف جامبررز (لندن) ٤٤

ديوان الشيبني ١٢٦٠، ٣٥ - ١٣٠،

١٣٣٧ - ١٤٠١، ١٤٢، ١٤٤، ١٤٤، ١٤٤

١٤٩٧ ناقدت بمقتضى راجع كلاً على

ديوان الكاظمي (الأول) ٢٠٧،

٢٠٨، ٢١٠، ٢١١، ٢١٦، ٢٠٨

٩٢١ (مقدّم) راجع

ديوان الكاظمي (الثاني) ٢٠٣-٢٠٦

٧٧٢ راجع في المطبوع

٢٠٩، ٢١١، ٢١٢، ٢١٥، ٢١٨،

٥١١ (مقدّم) راجع

ديوان اليعقوبي ١٥٨، ١٥٩، ١٦١

١٦٣ - راجع في المطبوع

١٦٣ - راجع في المطبوع

٥٥١ (مقدّم) راجع

حرف الراء

رسالة الشاعر العربي اليوم للدكتور

يوسف عز الدين ٢ راجع في المطبوع

الرصافي لمصطفى علي ١١٠٠، ١١٤، ١١٩

رماد الليل لعامر رشيد السامرائي ٢٣١

١٣٢ راجع في المطبوع

حرف الزاي

الزهور (صحيفة) ١٢٨

زهور البنفسج لسعيد الشهابي ٢٢٦

الزوراء الرسمية (جريدة) ٦٦

٦٦ (جريدة) راجع في المطبوع

دموع الوداع لعبد الوهاب النعمي ٢٣١

دون كيشوت ٢٢٦ راجع في المطبوع

الديلي ميورور (جريدة) ١٦٠

الديوان (للعقاد والمازني وشكري) ٤٩

ديوان الحماسة ١١٥

ديوان الرصافي ٣٠، ٣٢، ٣٩، ٤٨

٣٥٢، ٣٥٤، ٣٥٥، ١٠٠، ١٠١

٣٥٢ - ٣٥٢، ٨٣٢، ٣٣٢

١٠٤، ١١٢، ١١٣، ١١٧، ١١٨

٨٥٢، ٧٥٢

ديوان الزهاوي ٧٢، ٤٠

٨٢٢ راجع في المطبوع

٨٢٢ راجع في المطبوع

رباب لعبد الزقاق الشيخ علي ٢٢٩

رباعيات الخيام ترجمة محمد الهاشمي ١٦٨

الربيعات لرفائيل بطي ٢٦٦

الرسالة (مجلة) ١٥٤، ١٨٤

٨٦١ راجع في المطبوع

الزقاق المسدود لياسين حسين ٢٣١

الزمان (جريدة) ٢٢٦

الزنبقة (مجلة) ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥١

٢٥١ راجع في المطبوع

﴿ حرف السين ﴾

سجع القمريّة في ربيع المدرسة القمريّة
 محمود ابو الشاء الآلوسي ٢٢٥
 السيف والسفينة لعبد الرحمن الربيعي ٢٣١

﴿ حرف الشين ﴾

الشابي وجبران محمد خليفة التليسي ٨٩
 شاعران معاصران للدكتور فروخ ٩٣
 شخصيات عراقية لخيري العمري ٦٦
 شط العرب (جريدة) ٧١
 شظايا ورماد لنازك الملائكة ٢٨٥
 شعراء الغري لعلي الخاقاني ١٤٥
 شعراء الوطنية للرافعي ٣٨
 الشعر العراقي الحديث للدكتور يوسف
 عز الدين ٦٠، ٦٢، ١٥٤
 الشعر العراقي في القرن التاسع عشر
 للدكتور يوسف عز الدين ١٤، ٦٣
 شمسو لخالد الشواف ٢٥
 الشيطان لمراد ميخائيل ٢٤٥

﴿ حرف الصاد ﴾

الصحيفة (مجلة) ٢٥٩، ٢٦١، ٢٦٢
 صدى بابل (جريدة) ١٦١، ١٨١
 صراع لشاكر خصباك ٢٣٠

﴿ حرف الطاء ﴾

طباع الاستبداد للكواكبي ٣١، ٣٢
 طريق الشوك لعبد الواحد خماس ٢٢٣

✽ حرف الظاء ✽

الظامثون لعبد الرزاق المطلبي ٢٣١ | ظلام الغيوم لصالح جواد الطعمة ٢٨٧

✽ حرف العين ✽

عالم الاسلام (جريدة) ١٦٧
 العالم العربي (مجلة) ٢٠٣
 العراق (جريدة) ١٠٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٥٨ ،
 ٢٦٧ - ٢٦٩ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤
 عراقيات للكاطمي ٢٠٦
 عراقيات الكاطمي للدكتور حسين
 علي محفوظ ٢٠٦
 عباس افندي لعبد الرزاق الشيخ علي
 . ٢٣١
 العرب (جريدة) ٦٤ ، ١١١ ، ١٨١
 العرفان (مجلة) ١٤٨
 عفيفة لعبد المجيد لطفي ٢٢٨
 علي الحديد لعبد الرزاق الشيخ علي ٢٢٩
 عهد جديد لشاكر خصباك ٢٣٠

✽ حرف الفاء ✽

الفجر الصادق للزهاوي ٦٢ ، ٦٣
 فن الشعر لارسطو ٤٣
 في زحام المدينة لأ نور شاؤول ٢٣١
 في ساع من الزمن لمحمود احمد السيد ٢٢٧
 في شارع النهر لخير الدين سلطان ٢٣١
 في ضمير الزمن للدكتور يوسف
 عز الدين ٢٨٦

✽ حرف القاف ✽

القرآن الكريم ٣٢ ، ٣٣ ، ١٤٦
 القصاصد الغنائية لكلورج ٤٣ ، ٥٥
 ووردز ورث
 قانون العقوبات الهندي ٢٧٨

قيس لبي لخضر الطائي ٢٥

القضاء بين يديك محمد الهاشمي ١٦٨

قضايا الشعر المعاصر لنانك الملائكة ٢٨٩

✽ حرف الكاف ✽

الكلم المنظوم للزهاوي ٢٤٠، ٦٤

. ٢٧٥

الكتاب المصري (مجلة) ٦٨

الكلام (جريدة) ٢٧٢، ٢٦٨

✽ حرف اللام ✽

ليل بلا عيون لعبد اللطيف الراوي ٢٣١

ليلي (مجلة) ٧٤

لواء الاستقلال (جريدة) ٢٣٥، ٣

لواء الاسلام (جريدة) ١٨١

✽ حرف الميم ✽

المساء الأخير لشاذل طاقه ٢٨٧

المفيد (جريدة) ٦١

مقالات مختارة من الادب الانكليزي

الحديث لياثين ٤٤

المقتبس (مجلة) ١٦، ٢٨، ٥١

. ١٧٩، ١٥٤

المقتطف (مجلة) ١٦، ٥١، ١٢٨

١٨٤، ١٨١، ١٧٩، ١٥٤

مقصورة ابن دريد ١٦٧

المقطم (جريدة) ١٦، ٦٥

ما هي القومية لساطع الحصري ٣٤

المبدأ (جريدة) ٢٢٦

الثاني لمحمد الهاشمي ١٦٥، ١٦٩، ١٧٤

مجاهدون لمحمود أحمد السيد ٢٢٧

المجمل مما أرى للزهاوي ٣٨، ٦٨

مجموعة شبلي الشميل ٣٧

مجنون ليلي للدكتورة عاتكة وهي

الجزر جي ٢٥

المدينة تحتضن الرجال لموفق خضر ٢٣١

مذكرات مس بل ٦٧

ملوك العرب لأبي البرجاني ٢٦٧
من الوجهة النفسية لمحمد خلف الله احمد
٢٨١

مؤلفات وردن وورث جمع تونس
٤٣١
مولود آحر الغائب طعمة فرمان ٢٣١

المؤخر (جريدة) ٢٠٦
٥٣٥٠٥٣٥
٥٧٢ حرف

المؤيد (جريدة) ١٦٦، ١٥٤، ١٧٩
٨٢٢ (تاريخ) رد سيات كرا
٧٢ (تاريخ) ٨٢٢ (تاريخ) ٨٢٢

الشهيد الخديعة (جريدة) ٧٣، ١٠٧
نداء الشعب (جريدة) ٢٢٦
١٩٢٢
٥٧ (تاريخ) حرف
علاء تونس ٨٠

نشيد الارض لعبد الملك نوري ٢٣١
الديكتاتور لمحمود حمد السيد ٢٢٧
٥٣٢ (تاريخ) ٣٠٠
١٨٢ (تاريخ) حرف
الجمال (تاريخ) ٦، ٥١، ٥١، ١٧٩

٧٨٢
٥٠٥
٥٧٢
٧٢٢
١٥٠، ٨٢، ٣١ (تاريخ) حرف
٥٠١
١٥٠، ٨٢، ٣١ (تاريخ) حرف
٥٨١، ١٨١، ٦٧١، ٥٠١

٥٧٢
٧٢٢
٨٦، ٥٢
٧٦
٥٢

٧٢١
٣١، ٥٢
٧٢١

١٣٢
٧٢

محتويات الكتاب

- المقدمة
- ٣
- ٢٥ - ٩ النبوءات الاربعة في العراق
- الدين ، المديح ، المناسبات ، الصوفية ، النقلة ، ثورة ١٩٢٠ ، القومية ، الاحتلال ، المرأة ، الاقطاع ، الفقر ، الشواغر .
- ٤٠ - ٢٧ أثر الفكر في الادب الحديث
- التيار الديني ، التيار العربي ، الاشتراكية ، العلم
- ٥٦ - ٤١ تجرير الرصافي
- تمهيد ، تجديد الرصافي ، المخترعات الحديثة ، الفلسفة ، ثورة الرصافي ، تجاربه
- ٧٦ - ٥٧ الزهاوي الشاعر القلوب
- عصر الزهاوي ، العصر العثماني ، احتلال العراق ، ثورته ، الجرائد ، مقارنة وخاتمة .
- ٩٥ - ٧٧ ابو القاسم الشابي
- الثورة ، أدب الثورة ، فرنسة وتونس ، الشابي ، شهرته ، الطفولة في شعره ، زواجه ، ثورة الشاعر ، خاتمة .
- ١٢٠ - ٩٧ رأى في ثورة الرصافي
- الرصافي والوطن ، صبره ، الادارة ، الرصافي والانكلز ، فلسفته ، فيصل الأول ، عبدالمحسن السعدون ، الثعالي ، الثورة ، الحكم ، مساعدته ، تناقض .

١٤٩ - ١٢١

محمّد رضا الشّيباني

العراق في العهد العثماني ، بدء النهضة ، دور الشّيباني ، الملك حسين ، الدين ، الدستور ، السّاسة ، الحلفاء والنضال السياسي ، الشّيباني صدى عصره ، ميزات شعره ، تأثيره الديني .

١٦٣ - ١٥١

محمّد علي البعقوبي

مقدمة ، مكانة الشاعر ، مدرسة النجف ، التجديد والبيئة ، السياسة والشعر ، الوطن العربي .

١٧٤ - ١٦٥

المثاني ومحمّد الرهاشمي

حياة الشاعر ، المثاني ، الدولة ، نظام الحكم ، الاجنبي ، الثورة ، الصناعة ، النفط ، التمر العامل .

١٩٩ - ١٧٥

فهيدي الرهراوي

مقدمة ، مقارنة ، اثر مصر ، محيط الشاعر ، الشعر معاناة ، تنقلات الشاعر ، السياسة والقومية ، الاتحاد والترقي ، القومية ، الدستور ، الحرب العظمى ، ذكريات الحكم الوطني ، نفحات من شعره .

٢٢٠ - ٢٠١

عبد المحسن الطاطمي

نظرة في ديوانه الثاني ، الشباب ، الاسلوب ، طابعه الخاص ، شوقي ، حافظ ، الوحدة العربية ، ارتجال الكاطمي وهجرته ، حبه السفر ، ارتجاله ومنطق الطبيعة ، الكاطمي لم يرتجل ، حادثة سليم سر كيس ، حادثة شذودي .

القصة العربية ، العوامل المؤثرة ، قصر عمر القصة ، هاملتون كب ،
ابو الثناء الآلوسي ، الترجمة ، محمود أحمد السيد ، الخليلي ، ذوالنون أيوب ،
عبدالمجيد لطفي ، انور شاؤول ، كتاب آخرون ، اسماء القصص .

نقاش ، الاضطراب النفسي ، القدرة على الشعر ، الزهاوي أول من
دعا للشعر الحر ، رأي الرصافي ، شكري الفضلي ، محمد الهاشمي ، أمين
الريحاني ، رفائيل بطي ، وايت وبتان ، المازني ، ابن الخليفة ، بسيم
الذويب ، خضر صالح ، انور شاؤول ، عبد الستار القره غولي ، طارق
عبد الحافظ نور الدين ، كمال ابراهيم ، الياس ابو شبكة ، حسين تيمور ،
خلاصة ، الحرب الثانية ، الجيل الجديد ، الثورة على الشكل والمضمون ،
بدر شاكر ونازك الملائكة ، البياتي ، شاذل طاقة ، القصيدة العربية ،
شعراء ساهموا في الشعر الحر .

الادب النسوي ، المرأة والشعر ، مكانة فدوى ، الرجل ، الوفاء ،
الرجل الشرقي والمرأة ، ظمأ الروح ، الشعور بالوحدة ، المجتمع والشاعرة ،
الذكريات العذاب ، القومية ، وعد بلفور ، أثر أخيها ، موته ،
العرب والساسة ، أسلوبها ، اللاجبي العربي ، شعر الكفاح ، الحرمان
والقلق ، خيبة المسعى ، أمل الشاعرة بالشعب .

من مطبوعات المؤلف

- ١ - الشعر العراقي في القرن التاسع عشر الطبعة الاولى بغداد ١٩٥٨
الطبعة الثانية الدار القومية القاهرة ١٩٦٥ .
- ٢ - الشعر العراقي الحديث وأثر التيارات السياسية والاجتماعية فيه
الطبعة الاولى بغداد ١٩٦٠
الطبعة الثانية الدار القومية القاهرة ١٩٦٥
- ٣ - الشعر العراقي الاجتماعي (بالانكليزية) بغداد ١٩٦٢
- ٤ - خيرى الهنداوي حياته شعره من محاضرات القيت في معهد الدراسات والبحوث
العربية - القاهرة ١٩٦٥
- ٥ - داود باشا ونهاية المهالك في العراق بغداد ١٩٦٧
- ٦ - مخطوطة شعر الاخرس (تحقيق) بغداد ١٩٦٥
- ٧ - الاشتراكية والقومية وأثرهما في الشعر الحديث
محاضرات القيت في معهد الدراسات والبحوث العربية القاهرة ١٩٦٨
- ٨ - في الادب العربي الحديث مقالات وبحوث ١٩٦٧
- ٩ - في الادب العربي الحديث وثائق ونصوص تحت الطبع
- ١٠ - مخطوطات عربية في مكتبة صوفيا الوطنية
مطبوعات المجمة العلمي العراقي ١٩٦٨
- ١١ - في ضمير الزمن (شعر) مصر ١٩٥٠
- ١٢ - الحان (شعر) مصر ١٩٥٣
- ١٣ - لهاث الحيات (شعر) بيروت ١٩٦٠

شكر وتقدير

لابد لي ان اشكر الاخ العزيز السيد هاشم الخطاط البغدادي على خطه
العنوان و الاخ الفنان نوري الراوي على تصميم الغلاف والاخ السيد صبيح
رديف على اعداد الفهارس والاخ الشاعر صبيح البصيام على تصليح جانب
كبير من الكتاب .

MODERN ARABIC
LITERATURE
DIPLOMA & ESSAYS

Yousif Issidien B. A., M. A., Ph. D.
Prof. of Arabic Literature, Baghdad University
Secretary General, Ibad Academy

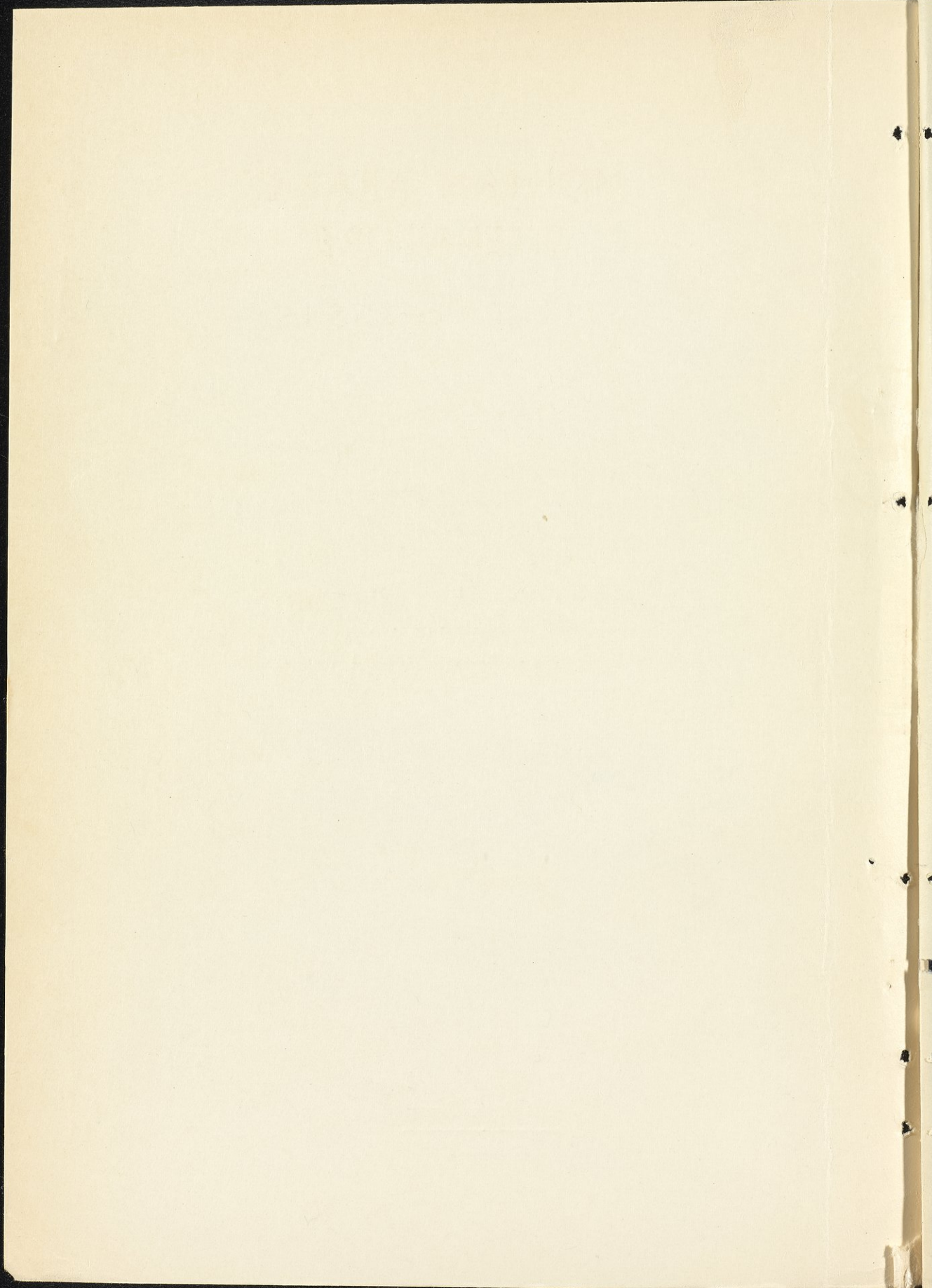
Al-Basit Press
Baghdad 1968

MODERN ARABIC
LITERATURE
STUDIES & ESSAYS

Yousif Izzidien B . A . , M . A . , Ph . D
Prof . of Arabic Literature, Baghdad University
Secretary General, Iraq Academy

Al- Basri Press

Baghdad 1968

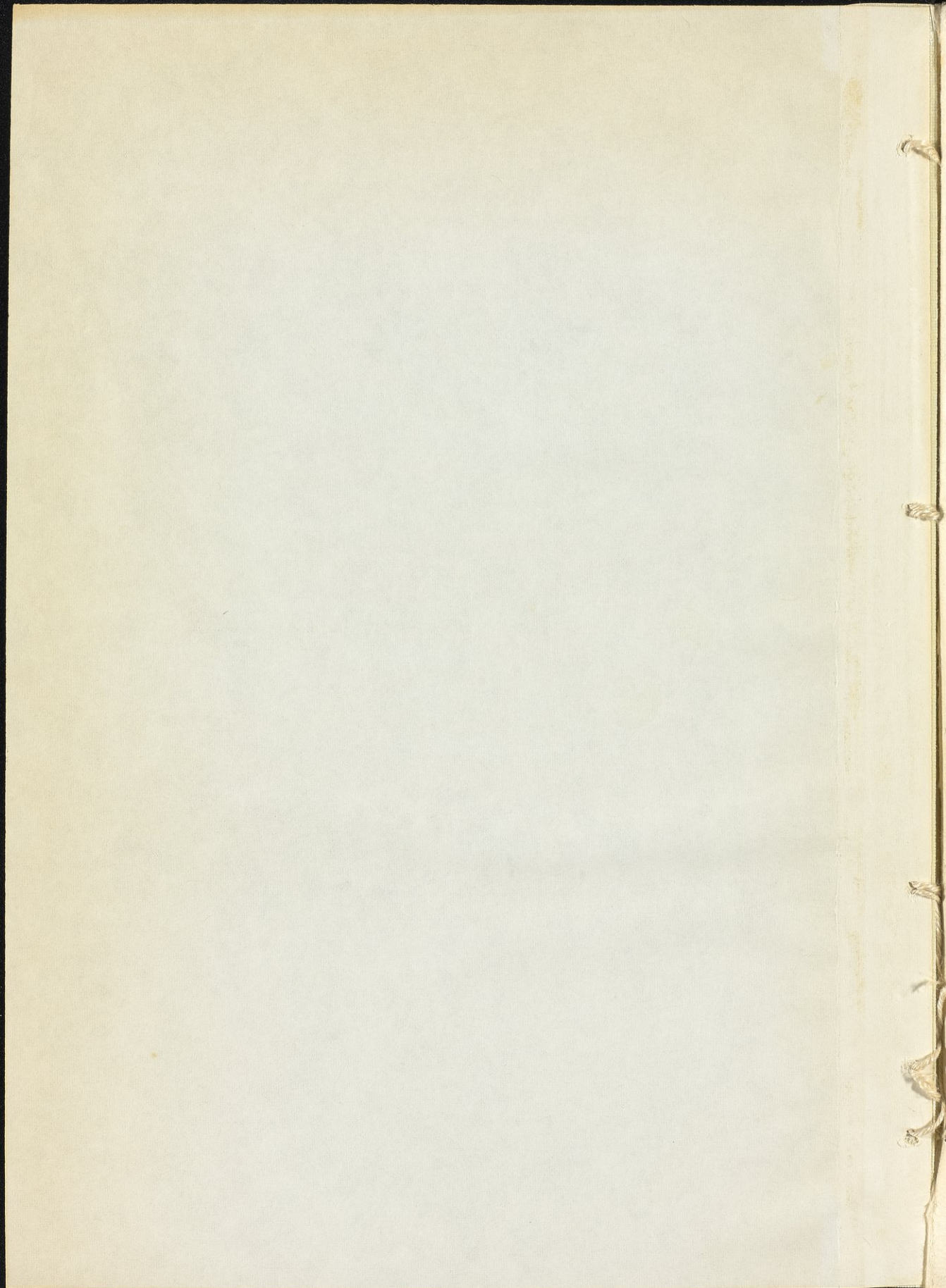


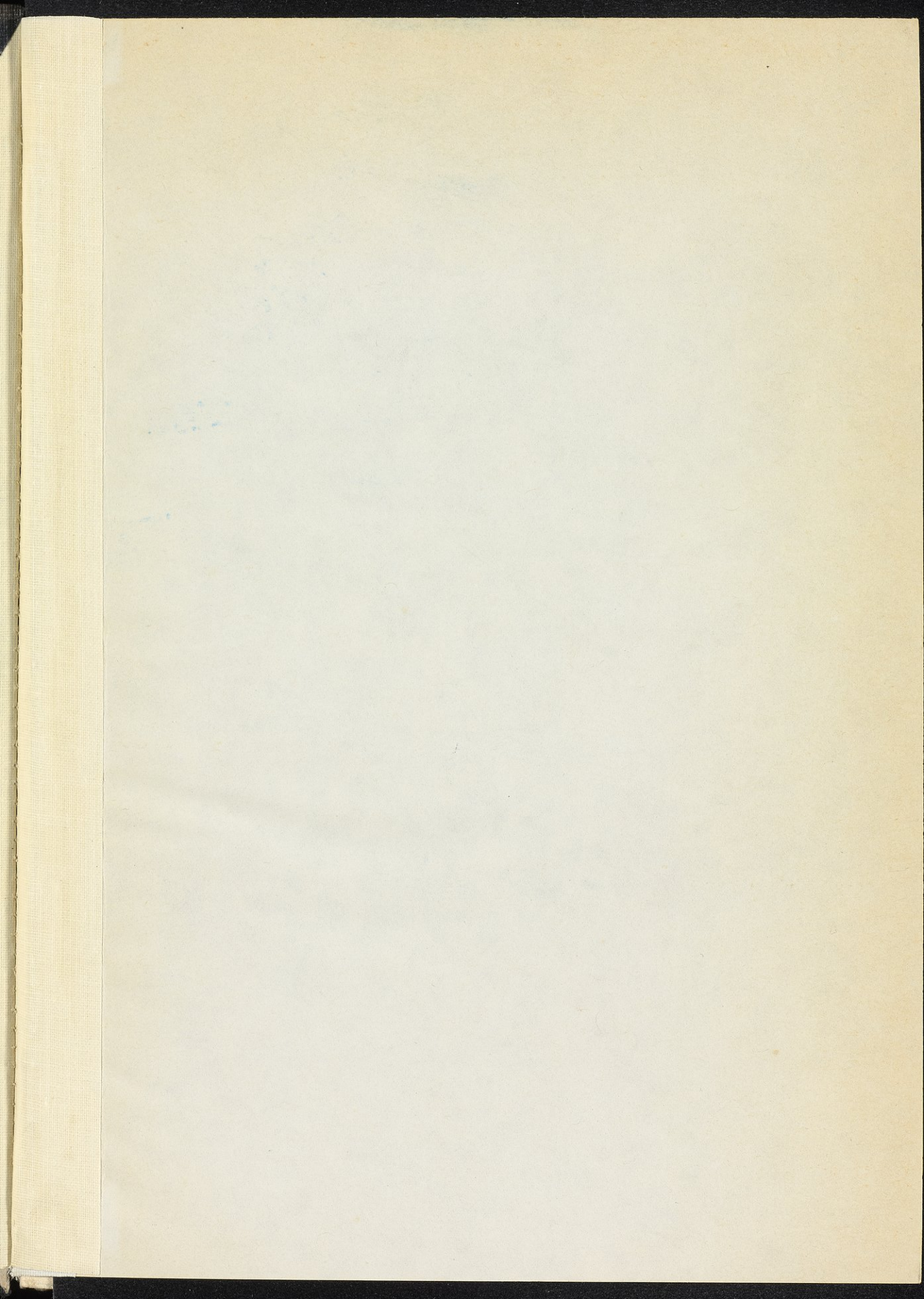
MODERN ARABIC
LITERATURE
STUDIES & ESSAYS


Yousif Izzidien B. A., M. A., Ph. D
Prof. of Arabic Literature, Baghdad University
Secretary General, Iraq Academy

Al- Basri Press

Baghdad 1968







LIBRARY
OF
PRINCETON UNIVERSITY

Princeton University Library



32101 073584227